تأليف

ابراهيم علي عمر

المدرس بالأزهر الشريف بمصر
ودار القرآن الكريم بالكويت

مكتبة الفلاح

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

مكتبة الفلاح - الكويت

ص.ب ٤٨٤٨ - الكويت - شارع بيروت - عمارة الحساوي

مقابل بريد حولي - تلفون ٥٤٧٧٨٤

القرآن الكريم
تاريخه وآدابه

مقدمة

للاستاذ الجليل فضيلة الشيخ : حسن مراد مناع

رئيس قسم الثقافة الإسلامية بوزارة الأوقاف
والمشرف العام على دور القرآن الكريم بالكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

مما لا شك فيه ان القرآن الكريم أنقذ البشرية من ضلالها وهداها من حيرتها وأخرج الناس من الظلمات الى النور .

وصدق الله العظيم : قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم الى صراط مستقيم .

وهو بحق معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم الخالدة الباقية حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

وكل جهد يبذل في نشره وبيان فضله انما هو بتوفيق الله الذي تكفل بحفظه حيث قال سبحانه . إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون . وفي سبيل خدمة القرآن الكريم يسهم الأستاذ الشيخ إبراهيم عمر المدرس في دار القرآن بهذه الرسالة التي سماها . القرآن الكريم : تاريخه وآدابه .

وإنا لنرجو أن ينتفع بها القراء وان يستزيدوا بها حباً للقرآن ومعرفة بكثير من أحكامه . وأن يجزي المؤلف خير الجزاء .

والله ولي التوفيق

حسن مراد مناع

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ

الحمد لله والصلاة على نبيه ومصطفاه سيدنا محمد بن عبدالله خاتم النبيين والمرسلين وعلى رسل الله أجمعين ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين . . « وبعد »

فقد اطلعت على الرسالة المسماة : « القرآن الكريم / تاريخه وآدابه »

التي جمعها ورتبها ونسقها أخي الفاضل الشيخ إبراهيم علي عمر ـ فوجدتها بحق رسالة قيمة ولتاريخ القرآن وآدابه مبيّنةً ـ وموضحة وزاد في قيمتها تدعيم مسائلها بالشواهد الصحيحة من الأحاديث الشريفة حسبما تأوّلها العلماءُ المحققون .

هذا إلى جانب ما اشتلمت عليه الرسالة من الإجابة الصريحة على كثير من أسئلة الحائرين في زماننا هذا .

والذي لا شك فيه أنها رسالة مفيدة وذات قيمةٍ لكل مسلم ومسلمة ـ

ولقد أحسن مؤلفها إذ صاغها في قالب سهلٍ وأسلوب رائق تستريح لهما النفوس وتنشرح لهما الصدور . .

فجزاه الله خير الجزاء وأجزل له المثوبة والعطاء ورزقني وإياه التوفيق لخدمة كتاب الله . . آمين

والحمد لله رب العالمين .

عبد الرؤوف محمد سالم

المدرس بدار القرآن الكريم بالكويت

٢١ من مارس سنة ١٤٠٢ هـ الأحد في ٢٥ من جمادي الأولى سنة ١٤٠٢ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وسيد المرسلين ، سيدنا محمد النبي الأمي الكريم وعلى آله وأصحابه ومن دعا بدعوته وتمسك بسنته إلى يوم الدين .

وبعد :

فإن فضل القرآن الكريم على سائر الكلام كفضل الله تعالى على سائر خلقه ، وقد جعله الله تعالى آخر رسالاته إلى الأرض لهداية البشرية ، وتحقيق مصالحها الدينية والدنيوية، ولن يخلص البشرية من كل ما تعانيه إلا الرجوع إلى كتاب الله ففيه الغناء والشفاء والرحمة والهداية والسعادة والبشرى . قال تعالى : (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين)

وعن علي رضى الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ستكون فتن كقطع الليل المظلم قلت يا رسول الله وما المخرج منها ؟ قال : كتاب الله تبارك وتعالى ، فيه نبأ من قبلكم ،وخبر من بعدكم ، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين، ونوره المبين ، والذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا

تتشعب معه الآراء ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يمله الأتقياء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقض عجائبه ، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته إذ قالوا : (إنا سمعنا قرآنا عجبا) من علم علمه سبق ،ومن قال به صدق،ومن حكم به عدل ،ومن عمل به أجر ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم ، فالقرآن الكريم هو الدستور الدائم لاصلاح الخلق ، وقانون السماء لهداية الأرض ، وهو حجة الرسول وآياته الكبرى ، وهو منهج الله الذي لا تصلح الحياة إلا به ، وهو أساس سعادة البشرية في الدنيا والآخرة: (إن هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم) من أجل هذا عُنيَ المسلمون منذ فجر الاسلام بالقرآن الكريم ، فتضافرت جهودهم في الاستفادة منه والعناية به ، وقد حاولت ـ بجهدي المتواضع ـ أن أجمع شيئا مما يتعلق بالقرآن الكريم ، عن تاريخه وآداب تلاوته وفضل حملته وسميت ذلك (القرآن الكريم ـ تاريخه وآدابه) والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم . وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم /

ابراهيم علي عمر

تاريخ القرآن الكريم

تعريف القرآن الكريم :

(١) لفظ القرآن في اللغة مصدر مرادف للقراءة ومنه قوله تعالى :

(إن علينا جمعه وقرآنه ـ فاذا قرأناه فاتبع قرآنه[١] ثم صار علماً شخصيا لذلك القرآن الكريم ، يطلق بالاشتراك اللفظي على مجموعه ، ويطلق على بعضه .

(إن هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم)[٢] (وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون)[٣] وروعي في تسميته قرآنا كونه متلوا بالألسن ، كما روعى في تسميته كتابا كونه مدونا بالأقلام .

فكلتا التسميتين من تسمية شيء بالمعنى الواقع عليه . . . وفي تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أن من حقه العناية بحفظه في موضعين لا في موضع واحد ، أعني أنه يجب أن يحفظ في الصدور والسطور جميعا .

فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتى يوافق الرسم المجمع عليه من الأصحاب المنقول إلينا جيلا بعد جيل ، على هيئته التي وضع عليها أول مرة . ولا ثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافق ما هو عند الحفاظ بالأسناد الصحيح المتواتر . . . وبهذه العناية المزدوجة التي بعثها الله في نفوس الأمة الاسلامية اقتداءً بنبيها صلى الله

(١) القيامة : ٧ ـ ٨

(٢) الاسراء : ٩

(٣) الأعراف : ٢٠١

عليه وسلم بقي القرآن محفوظا في حرز حريز ، إنجازا لوعد الله الذي تكفل بِحِفْظِهِ حيث يقول سبحانه : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)[1] . ولم يصبه ما أصاب الكتب الماضية من التحريف والتبديل وانقطاع السند ، حيث لم يتكفل الله بحفظها ، بل وكلها إلى حفظ الناس ، فقال تعالى : (والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله)[2] أي بما طلب إليهم حفظه . . . . والسر في هذه التفرقة أن سائر الكتب السماوية جيء بها على التوقيت لا التأبيد ومهيمنا عليها ، فكان جامعاً لما فيها من الحقائق الثابتة ، زائداً عليها ، بما شاء الله زيادته ، وكان ساداً مسدَّها ، ولم يكن شيء منها ليسدَّ مسدَّة ، فقضى الله أن يبقى حجة إلى قيام الساعة ، وإذا قضى الله أمراً يسر له أسْبَابَهْ ، وهو العليم الحكيم . . .

واذا رجعنا إلى أصل الأسماء وجدنا مادتَيْ (ك ت ب) و (ق ر أ) تدوران على معنى الجمع والضم مطلقا . . . وهذا لا يعني فقط أن هذا المسمى جامع للسور والآيات ، أو أنه مجموعُ تلك السور والآيات ، من حيث هي نصوص مؤلفة على صفحات القلوب ، أو من حيث هي نقوش مصفوفة في الصحف والألواح ، أو من حيث هي أصوات مُرَتَّلَةٌ ، منطوقة على الألسنة ، بل يعني شيئا أدق من ذلك كله ، وهو أن هذا الكلام قد جمع فنون المعاني والحقائق ، وأنه قد حُشِدَتْ منه كتائب الحِكَمْ والأحكام .

(٢) وعرفه علماء الشريعة فقالوا : (القرآن هو كلام الله تعالى ، المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، المتعبد بتلاوته) . . .

وبعضهم يزيد على هذا التعريف قيوداً أخرى مثل المتواتر ، أو المعجز ، أو المُتَحَدَّى بأقصر سورة منه ، أو المكتوب بين (دفتي المصحف أو المبدوء بسورة الفاتحة

(١) الحجر : ٩

(٢) المائدة : ٤٤

والمختوم بسورة الناس . . . والواقع أن هذه القيود يقصد بها زيادة بذكر بعض خصائص القرآن الكريم التي يتميز بها عما سواه .

والتعريف الذي ذكرناه جامع مانع ، لا يحتاج إلى زيادة قيد آخر . . . .

ومعلوم أن للقرآن صفات لا يشاركه فيها غيره من كلام الله تعالى أو كلام البشر . . . أما بالنسبة لكلام الله فهناك الكلام الالهي الذي استأثر الله به ، أو ألقاه إلى ملائكته ليعملوا به لا لينزلوه على أحد من البشر ، إذ ليس كل كلامه تعالى منزلا ، بل الذي أنزل منه قليل من كثير .

(قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا)[1] .

(ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سَبْعَةُ أبحرٍ ما نَفدت كلمات الله)[2]

وهناك ما أنزل على الأنْبياء السابقين ، كالصحف المنزلة على إبراهيم ، والتواراة المنزلة على موسى ، والانجيل المنزل على عيسى ، والزبور المنزل على داود ، عليهم السلام . . . وأما بالنسبة لكلام البشر فهذا واضح ، وذلك كوصف كونه عربيا الذي يشاركه فيه الحديث الشريف ، وكوصف كونه متواترا الذي يشاركه فيه بعض الأحاديث[3] .

---

(١) الكهف : ١٠٩

(٢) لقمان : ٢٧

(٣) مذكرات في الثقافة الاسلامية : د. سعد المرصفى : ١٠ ـ ١٢ طبعة جامعة الكويت .

أسماء القرآن الكريم

من خصائص القرآن الكريم أن له عدة أسماء ، وهـذا يدل على شرفـه ، وعلو منزلته ، فكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى وعُلُوِّ قدره ومن هذه الأسماء .

القرآن : قال تعالى : (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدىً للنـاس وبينات من الهدى والفرقان)[١]

الفرقان : قال تعالى : (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده)[٢]

الكتاب : قال تعالى : (ما فرطنا في الكتاب من شيء)[٣]

الذكر : قال تعالى : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)[٤]

الوحي : قال تعالى : (قل إنما أنذركم بالوحي)[٥]

التنزيل : قال تعالى : (الله نَزَّل أحسن الحديث)[٦]

القصص : قال تعالى : (إن هذا لهو القصص الحق)[٧]

---

(١) البقرة : ١٨٥
(٢) الفرقان : ١
(٣) الأنعام: ٣٨
(٤) الحجر : ٢٩
(٥) الأنبياء : ٤٥
(٦) الزمر : ٢٣
(٧) آل عمران : ٦٢

الروح : قال تعالى : (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا)[1]

المثاني : قال تعالى : (الله نَزَّل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى)[2]

والهدى ، والبيان ، والتبيان ، والموعظة ، والرحمة ،والبشير، والنذير ، والعزيز ، أي الذي لا ير ام فلا يؤ تى بمثله ، والحكيم أي المحكم ، بفتح الكاف ، والمهيمن ، وهو الشاهد ، والشفاء ، والمجيد ، لشرفه على كل كلام والنور . وقد أوصلها بعضهم الى نيف وتسعين اسماً[3]

---

(١) الشورى : ٥٢

(٢) الزمر : ٢٣

(٣) أنظر البرهان للزركشي (١ ـ /٢٧٣) ولطائف الإرشادات للقسطلاني (١/١٨/١٩)

الفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسي والحديث النبوي

الحديث القدسي لفظه ومعناه من عند الله سبحانه وتعالى ، عند كثير من العلماء ، ولما كان القرآن الكريم كذلك لفظه ومعْناهُ من عند الله جل وعلا ، كان لا بد من بيان الفرق بينهما حتى يتضح الأمر ويزول الاشكال، واليك بعض هذه الفروق .

الفرق الأول:

القرآن الكريم لا يكون إلا بوحى جَلِيٍّ بأن ينزل به جبريل عليه السلام على النَّبِي صلى الله عليه وسلم يقظة فلا شيء من القرآن يوحي إليه بالهام أو منام وأما ما رواه مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رضى الله عنه من قوله (بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا إذْ غَفَا إِغْفَاءَةً ثم رفع رأسه مبتسما فقلنا ما أضحكك يا رسول الله فقال: نزل على آنفا سورة فقرأ الكوثر . مما يوهم بأن سورة الكوثر نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فهو في واقع الأمر ليس كذلك لأن هذه الإغفاءة ليست إغْفَاءَةَ نوم بل هي الحالة التي كانت تعتريه عند نزول الملك عليه من شدة الوحي ولا يرى الجالس معه سوى مظاهر ذلك عليه من ثِقَلِ جسمٍ وتصبب عرق وشبه إغفاءةَ ونوم .

والحديث القدسي يجوز كما علمت أن يوحي بوحي جلي أو بوحي خفي .

الفرق الثاني

القرآن الكريم معجز للإنس والجن قال سبحانه وتعالى (قل لئن اجتمعت

الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بَعضهم لبعض ظهيرا)[1] متحديا بأقصر سورة منه كقوله تعالى (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين)[2] محفوظا من التغيير والتبديل بحفظ الله تعالى له قال سبحانه وتعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون[3] والحديث القدسي ليس كذلك في جميع ذلك .

الفرق الثالث

ان القرآن الكريم يتعبد بتلاوته بفهم وغير فهم فيثاب قارئه على كل حرف منه بعشر حسنات .

والحديث القدسي ليس كذلك .

الفرق الرابع

القرآن الكريم تحرم روايته بالمعنى . .

والحديث القدسي لا تحرم روايته بالمعنى .

الفرق الخامس

القرآن الكريم يحرم على المحدث مسه ويحرم على الجنب تلاوته ومسه .

الفرق السادس

القرآن الكريم نقل إلينا بطريق التواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم أما الحديث القدسي فقد رُوِيَ آحادا عن النبي صلى الله عليه وسلم .

---

(١) الاسراء (٨٨)

(٢) البقرة (٢٣)

(٣) الحجر (٩)

الفرق السابع

القرآن الكريم يحرم بيعه عند الإمام أحمد رضى الله عنه ، ويكره عند الإمام الشافعي رضى الله عنه .

والحديث القدسى ليس كذلك .

الفرق الثامن

القرآن الكريم يتعين في الصلاة ولا تصح للقادر عليه إلا به والحديث القدسى ليس كذلك .

الفرق التاسع

أن جاحد القرآن يكفر ، بخلاف الحديث القدسى .

الفرق العاشر

ان القرآن الكريم لفظه من الله تعالى ، بخلاف الحديث القدسي فيحوز أن يكون اللفظ من النبي صلى الله عليه وسلم

الفرق الحادي عشر

أن القرآن الكريم قد حفظه الله من التغيير والتبديل مصداقا لقوله تعالى : (إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)[1]

الفرق الثاني عشر

أن القرآن الكريم بعضه يسمى آية ، وسورة ، والأحاديث القدسية ليست كذلك[2] .

---

(١) الحجر (٩)

(٢) راجع الاتحافات السنيَّة ، المنهج الحديث في علوم القرآن ، شرح الأربعين النووية لابن حجر الهيثمى .

الحديث النبوي : هو كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومعناه من عند الله ، ولفظه من عند الرسول صلى الله عليه وسلم ، وليست ألفاظه مناط إعجاز ، ومن هنا تجوز روايته بالمعنى[1] .

---

(١) قبسات من السنة الشيخ أحمد البسيوني (١٥)

مراحل نزول القرآن الكريم

شرف الله هذا القرآن بأن جعل له ثلاث تنزلات :

التنزل الأول : إلى اللوح المحفوظ . دليل ذلك قوله سبحانه وتعالى : (بل هو قرآن مجيد ـ في لوح محفوظ)[1] . وكان هذا الوجود بطريقة ووقت لا يعلمهما إلا الله ، ومن أطلعه الله على غَيْبِه :

وكان جملة لا مفرقا ، لأنه الظاهر من اللفظ عند الإطلاق ، ولا صارف عنه ، ولأن أسرار تنجيم القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم لا يعقل تحققها في هذا التنزل . وحكمة هذا النزول ، ترجع إلى الحكمة العامة من وجود اللوح نفسه ، وإقامته سجلاً جامعا لكل ما قضى الله وقدر ، وكل ما كان ويكون من عوالم الإيجاد والتكوين . ولا ريب أن الايمان به يقوى إيمان العبد بربه من هذه النواحي ، ويبعث الطمأنينة إلى نفسه ، والثقة بكل ما يظهر الله لخلقه ، من ألوان هدايته وشرائعه وكتبه ، وسائر أقضيته وشؤونه في عباده . وللايمان باللوح والكتابة فيه أثر صالح في استقامة المؤمن على الجادة ، وتفانيه في طاعة الله ، وبعده عن سخطه لاعتقاده أنها مسطورة عند الله في لوحه ، مسجَّلة لديه في كتابه كما قال جل علاه : (وكل صغير وكبير مستطر)[2] .

التنزل الثاني : نزول القرآن الكريم إلى بيت العزة في السماء الدنيا :

---

(١) البروج : (٢١ ـ ٢٢)

(٢) القمر : (٥٣)

اختلف في كيفية إنزاله من اللوح المحفوظ على ثلاثة أقوال :

القول الأول : وهو الأصح الأشهر : أنه نزل الى السماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة ، ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة ، أو ثلاث وعشرين سنة ، أو خمس وعشرين سنة ، على حسب الخلاف في مدة إقامته صلى الله عليه وسلم بمكة بعد البعثة . دليل ذلك قوله سبحانه وتعالى : (إنا أنزلناه في ليلة مباركة)[1] . وقوله : (إنا أنزلناه في ليلة القدر)[2] . وقوله : (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان)[3] .

دلت هذه الآيات الثلاث على أن القرآن الكريم أنزل من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في ليلة واحدة ، توصف بأنها مباركة أخذا من آية الدخان ، وتسمى ليلة القدر أخذا من آية سورة القدر ، وهي من ليالي شهر رمضان أخذا من آية البقرة .

وإنما قلنا ذلك جمعا بين هذه النصوص في العمل بها ، ودفعاً للتعارض فيما بينها ، ومعلوم بالأدلة القاطعة ـ كما يأتي ـ أن القرآن أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم مفرقا لا في ليلة واحدة بل في مدى سنين عددا .

فينبغي أن يكون هذا النزول الذي نوهت به هذه الآيات الثلاث نزولا آخر غير النزول على النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد جاءت الأخبار الصحيحة مبينة لمكان هذا النزول وأنه في بيت العزة من السماء الدنيا ، كما تدل الروايات الآتية :

١ ـ أخرج الحاكم بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال : (فُصِلَ القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا فجعل جبريل ينزل به

---

(١) الدخان : (٣)
(٢) القدر : (١)
(٣) البقرة : (١٨٥)

على النبي صلى الله عليه وسلم) .

٢ ـ وأخرج النسائي والحاكم والبيهقي من طريق داود ابن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال : (أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا ليلة القدر ، ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة ثم قرأ : (ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسير ١)[١] (وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا)[٢] .

٣ ـ وأخرج الحاكم والبيهقي وغيرهما من طريق منصور عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : (انزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا ، وكان بمواقع النجوم ، وكان الله ينزله على رسوله صلى الله عليه وسلم بعضه في إثر بعض)

٤ ـ وأخرج ابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس أنه سأله ابن الأسود فقال : أَوْقَعَ في قلبي الشك قوله تعالى : (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن)[٣] وقوله : (إنا أنزلناه في ليلة القدر)[٤] . وهذا أنزل في شوال ، وفي ذي القعدة ، وفي ذي الحجة ، وفي المحرم ، وصفر ، وشهر ربيع ، فقال ابن عباس : (إنه أنزل في رمضان في ليلة القدر جملة واحدة ، ثم أنزل على مواقع النجوم رِسْلاً في الشهور والأيام) قال أبو شامة رِسْلاً أي رفقاً . وعلى مواقع النجوم أي على مثل مساقطها .

يريد أنزل مفرقا يتلو بعضُه بعضا على تؤدة ورفق . هذه أحاديث أربعة من جملة أحاديث ذكرت في هذا الباب ، وكلها صحيحة كما قال السيوطي ، وهي أحاديث موقوفة عن ابن عباس ، غير أن لها حكم المرفوع إلى النبي صلى الله

---

(١) الفرقان (١٣٣)

(٢) الأمراء : (١٠٦)

(٣) البقرة : (١٨٥) .

(٤) القدر ؛ (١)

عليه وسلم لما هو مقرر من أن قول الصحابى ما لا مجال للرأي فيه ولم يعرف بالأخذ عن الاسرائيليات حكمه حكم الرفوع .

ولا ريب أن نزول القرآن إلى بيت العزة من أنباء الغيب التي لا تعرف إلا من المعصوم ، وابن عباس لم يعرف بالأخذ عن الإسرائيليات فثبت الاحتجاج بها .

القول الثاني : أنه نزل إلى السماء الدنيا في عشرين ليلة قدر أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين من كل ليلة ما يُقَدِّرُ الله إنزاله في كل السنة ، ثم نزل بعد ذلك منجما في جميع السنة على النبي صلى الله عليه وسلم .

القول الثالث : أنه ابتدئ إنزاله في ليلة القدر ، ثم نزل بعد ذلك منجما في أوقات مُختلفة ، من سائر الأوقات ، على النبي صلى الله عليه وسلم ،وبه قال الشعبى .

وكأن صاحب هذا القول ينفى النزول جملة واحدة إلى بيت العزة في ليلة القدر . قال ابن حجر في شرح البخارى : والأول هو الصحيح المعتمد . وقد حكى الماوردي قولا رابعا أيضا : هو أنه نزل من اللوح المحفوظ جملة واحدة وأن الحفظة نجمته على جبريل في عشرين ليلة وأن جبريل نجمه على النبي صلى الله عليه وسلم في عشرين سنة . وهذا أيضا غريب ، والمعتمد أن جبريل كان يعارضه في رمضان بما ينزل عليه في طول السنة .

فالأقوال الثلاثة الأخيرة بمعزل عن التحقيق ، وهي محجوجة بالأدلة التي سقناها بين يديك تأييداً للقول الأول .

والحكمة في هذا النزول : على ما ذكره السيوطي نقلا عن أبي شامة ، هي تفخيم أمره ـ أي القرآن ـ وأمر من ينزل عليه بإعلام سكان السموات السبع أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم ، وبإنزاله مرتين ، مرة

جملة واحدة ومرة مفرقا بخلاف الكتب السابقة فقد كانت تنزل جملة مرة واحدة .

وذكر بعضهم أن النزول إلى السماء الدنيا كان إهلاباً لشوق النبي صلى الله عليه وسلم إليه على حد قول القائل :

وأعظم ما يكون الشوق يوما : إذا دنت الخيام من الخيام أقول : وفي تعدد النزول وأماكنه ، مرة في اللوح المحفوظ ، وأخرى في بيت العزة ، وثالثة على قلب النبي صلى الله عليه وسلم ، في ذلك التعدد مبالغة في نَفْى الشك عن القرآن وزيادة للإيمان به ، وباعث على الثقة فيه ، لأن الكلام إذا سجل في سجلات متعددة ، ووجدت له وجودات كثيرة ، كان ذلك أنفى للريب عنه ، وإدعى إلى التسليم بثبوته ، وأدنى إلى وفرة الإيقان به ، مما لو سجل في سجل واحد ، أو كان له وجود واحد .

التنزل الثالث :

التنزل الثالث للقرآن الكريم هذا هو واسطة عقد التنزلات لأنه المرحلة الأخيرة التي فيها شع النور على العالم ، ووصلت هداية الله إلى الخلق ، وكان هذا النزول بواسطة أمين الوحي جبريل يهبط به على قلب النبي صلى الله عليه وسلم ، ودليله قول الله تعالى : في سورة الشعراء مخاطبا الرسول عليه الصلاة والسلام : (نزل به الروح الأمين ـ على قلبك لتكون من المنذرين ـ بلسان عربي مبين)[1] .

---

(١) الشعراء : (١٩٣ ـ ١٩٥) .

كيفية أخذ جبريل للقرآن ، وعمن أخذ ؟

هذا من أنباء الغيب فلا يطمئن الإنسان إلى رأي فيه إلا إن ورد بدليل صحيح عن المعصوم صلى الله عليه وسلم ، وكل ما عثرنا عليه أقوال منثورة هنا وهناك ، نجمعها فيما يأتي مع إبداء رأينا في كل منها :

أولها : قال الطيبى : (لعل نزول القرآن على الملك أن يتلقفه تلقفا روحانيا أو يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به على النبي صلى الله عليه وسلم فيلقيه إليه) أ هـ وأنت خبير بأن كلمة (لعل) هنا لا تشفى غليلا ـ ولا تهدينا إلى المقصود سبيلا ، ولا نستطيع أن نأخذ منها دليلا .

ثانيها : حكى الماوردي أن الحفظة نجمت القرآن على جبريل في عشرين ليلة ، وأن جبريل نجمه على النبي صلى الله عليه وسلم . في عشرين سنة أ هـ ـ ومعنى هذا أن جبريل أخذ القرآن عن الحفظة نجوما عشرين ـ ولكنا لا نعرف لصاحب هذا الرأي دليلا ولا شبه دليل

ثالثها : قال البيهقى في معنى قوله تعالى : (إنا أنزلناه في ليلة القدر)[1] (يريد ـ والله أعلم ـ إنا أسمعنا الملَك وأفهمناه إياه وأنزلناه بما سمع) أ هـ ـ ومعنى هذا أن جبريل أخذ القرآن عن الله سماعا ـ وذلك فيما أرى أمثل الأقوال من ناحية أخذ جبريل عن الله لا من ناحية تأويل النزول في الآية بابتداء النزول ، ويؤيد ما أخرجه الطبراني من حديث النواس بن سمعان مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه

(١) القدر (١)

وسلم : (إذا تكلم الله بالوحي أخذت السماء رجفة شديدة من خوف الله ، فإذا سمع أهل السماء صعقوا وخروا سجدا ويكون أولهم يرفع رأسه جبريل ، فيكلمه الله بوحيه بما أراد ، فينتهى به إلى الملائكة فكلما مر بسماء سأله أهلها ماذا قال ربنا ؟ قال : الحق ، فينتهي به حيث أُمر) .

ما الذي نزل به جبريل عليه السلام ؟

الذي نزل به جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم هو القرآن الكريم باعتبار أنه الألفاظ الحقيقية المعجزة من أول الفاتحة إلى آخر سورة الناس ، وتلك الألفاظ هي كلام رب العالمين وحده ، لا دخل لجبريل ولا لمحمد في إنشائها وترتيبها ، بل الذي رتبها أولا هو الله سبحانه وتعالى ، ولذلك تنسب إليه دون سواه ، وإن نطق بها جبريل ومحمد وملايين الخلق من بعدهما من لدن نزل القرآن إلى يوم الساعة .

فالله ـ جلت قدرته ـ هو الذي أبرز القرآن وكلماته مرتبة على وفق ترتيب كلماته النفسية لأجل التفهيم والتفهم ، ولا ينسب الكلام بحال إلا إلى من رتبه في نفسه أولا دون من إقتصر على حكايته وقراءته ، ولذلك لا يجوز إضافة القرآن على سبيل الأنشاء إلى جبريل أو محمد ولا لغيرهما ، كما لا يجوز نِسْبَةُ كلام أنشأه شخص ورتبه في نفسه أولا إلى شخص آخر حكاه وقرأه حين إطلع عليه أو سمعه .

وقد أثم بعض الناس فزعم أن جبريل كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم بمعاني القرآن ، والرسول يعبر عنها بلغة العرب .

وزعم آخرون أن اللفظ لجبريل وأن الله كان يوحى إليه المعنى فقط ، وكلاهما قول باطل ، مصادم لصريح الكتاب والسنة والاجماع ، ولا يساوى قيمة المداد الذي يكتب به ، ونعتقد أن ذلك مدسوس على المسلمين في كتبهم . وإلا فكيف يكون القرآن حينئذ معجزا ، واللفظ لمحمد أو جبريل ؟

ثم كيف تصح نسبته إلى الله واللفظ ليس لله ؟ مع أن الله يقول : (حتى يسمع كلام الله)[1] إلى غير ذلك مما يطول بنا تفصيله ، والحق أنه ليس لجبريل في هذا القرآن سوى حكايته للرسول صلى الله عليه وسلم وإيحائه إليه ، وليس للرسول صلى الله عليه وسلم في هذا القرآن غير وعيه وحفظه ثم حكايته وتبليغه ، ثم بيانه وتفسيره ، ثم تطبيقه وتنفيذه :

نقرأ في القرآن نفسه ما يدل على أنه ليس من إنشاء جبريل ولا محمد صلى الله عليه وسلم قال سبحانه وتعالى : (وإنك لَتُلَقَّى القرآن من لدن حكيم عليم)[2] ونحو : (وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها ـ قل إنما أتبع ما يوحى إلى من ربى)[3] ونحو : (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله ـ قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسى إن أتبع إلا ما يوحي إلى إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم)[4] ونحو : (ولو تَقَوَّلَ علينا بعض الأقاويل ـ لأخذنا منه باليمين ـ ثم لقطعنا منه الوتين ـ فما منكم من أحد عنه حاجزين)[5]

ثم إن ما ذكرناه هو تحقيق ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم من القرآن وان كان قد نزل عليه أيضا غير القرآن ، نقل السيوطى عن الجوينى أنه قال (كلام الله المنزل قسمان ؛

(قسم) قال الله لجبريل : قل للنبي الذي أنت مرسل إليه : إن الله يقول إفعل كذا وكذا ، وأمر بكذا وكذا ففهم جبريل ما قاله ربه ، ثم نزل على ذلك النبي ، وقال له ما قاله ربه ، ولم تكن العبارة تلك العبارة ، كما يقول الْمَلِكُ لمن

(١) التوبة (٦)
(٢) النحل (٦)
(٣) الأعراف (٢٠٢)
(٤) يونس (١٥)
(٥) الحاقة (٤٤ ـ ٤٧)

يثق به قل لفلان يقول لك الملك اجتهد في الخدمة واجمع جندك للقتال، فان قال الرسول يقول لك الملك لا تتهاون في خدمته ولا تترك الجند يتفرق وحثهم على المقاتلة لا ينسب إليه كذب ولا تقصير في أداء الرسالة (وقسم) آخر قال الله لجبريل إقرأ على النبي هذا الكتاب، ونزل به جبريل من عند الله من غير تغيير كما يكتب الملك كتابا ويسلمه إلى أمين ويقول إقرأه على فلان لا يغير منه كلمة ولا حرفا» أ هـ .

وقال السيوطى بعد ذلك قلت : القرآن هو القسم الثاني ، والقسم الأول هو السنة ، كما ورد أن جبريل كان ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن ومن هنا جاز رواية السنة بالمعنى لأن جبريل أداها بالمعنى ولم تجز القراءة بالمعنى لأن جبريل أدى القرآن باللفظ ، ولم يبح له أداؤه بالمعنى ، والسر في ذلك أن المقصود من القرآن التعبد بلفظه والاعجاز به ، فلا يقدر أحد أن يأتي بلفظ يقوم مقامه وأن تحت كل حرف منه معان لا يحاط بها كثرة ، فلا يقدر أحد أن يأتي بدله بما يشتمل عليه والتخفيف على الأمة حيث جعل المنزل إليهم على قسمين : قسم يروونه بلفظه الموَحى به ، وقسم يروونه بالمعنى ، ولو جعل كله مما يروى باللفظ لشق عليهم ذلك أو بالمعنى لم يؤ من التبديل والتحريف أقول : هذا كلام نفيس ، بَيْدَ أنه لا دليل أمامنا على أن جبريل كان يتصرف من الألفاظ الموحاة إليه في غير القرآن ، وما ذكره الجوينى فهو احتمال عقلي لا يكفي في هذا الباب .

ثم إن هذا التقسيم خلا من قسم ثالث في الكتاب والسنة وهو الحديث القدسى الذي قاله الرسول صلى الله عليه وسلم حاكياً عن الله تعالى فهو كلام الله تعالى أيضاً ، غير أنه ليست فيه خصائص القرآن التي امتاز بها عن كل ما سواه ، ولله تعالى حكمة في أن يجعل من كلامه المنَزَّل معجزاً وغير معجز ، لمثل ما سبق في حكمة التقسيم الآنف ، من إقامة حجة للرسول ولدين الحق بكلام الله المعجز ، ومن التخفيف على الأمة بغير المعجز ، لأنه تصح روايته بالمعنى ، وقراءة الجُنُب وحمله له ومَسُّهُ إياه إلى غير ذلك .

وصفوة القول في هذا المقام أن القرآن الكريم أوحِيَتْ ألفاظُهُ من الله تعالى إتفاقاً وأن الحديث القدسي أوحِيَتْ ألفاظه من الله على المشهور والحديث النبوي أوحيت معانيه في غير ما اجتهد فيه الرسول ، والألفاظ من الرسول صلى الله عليه وسلم .

بَيْدَ أن القرآن له خصائصه من الإعجاز والتعبد به ووجوب المحافظة على أداءه بلفظه ونحو ذلك ، وليس للحديث القدسى والنبوي شيء من هذه الخصائص .

والحكمة من هذا التفريق أن الإعجاز منوط بألفاظ القرآن ، فلو أبيح أداءه بالمعنى لذهب إعجازه وكان مظنة للتغيير والتبديل ، واختلاف الناس في أصل التشريع والتنزيل .

أما الحديث القدسى والحديث النبوي فليست ألفاظهما مناط إعجاز ، ولهذا أباح الله روايتهما بالمعنى ، ولم يمنحهما تلك الخصائص والقداسة الممتازة التي منحها للقرآن الكريم تخفيفاً على الأمة ورعاية لمصالح الخلق في الحالين من مَنْحٍ وَمَنْعٍ (إن الله بالناس لرؤ وف رحيم)[1]

مدة هذا النزول :

إبتدأ إنزال القرآن الكريم من مبعثه صلى الله عليه وسلم ، وانتهى بقرب انتهاء حياته الشريفة ، وتقدر هذه المدة بعشرين أو ثلاثة وعشرين أو خمسة وعشرين عاما ، تبعا للخلاف في مدة إقامته صلى الله عليه وسلم في مكة بعد البعثة ، أكانت عشر سنين أم ثلاث عشرة أم خمس عشرة سنة . أما مدة إقامته بالمدينة فعشر سنين اتفاقا كذلك قال السيوطى .

---

(١) البقرة : (١٤٣)

ولكن بعض محققي تاريخ التشريع الإسلامي يذكر أن مدة مقامه بمكة إثنتا عشرة سنة وخمسة أشهر وثلاثة عشر يوما من ١٧ رمضان سنة ٤١ من مولده الشريف إلى أول ربيع الأول سنة ٥٤ من مولده .

أما مدة إقامته في المدينة بعد الهجرة فهي تسع سنوات وتسعة أشهر وتسعة أيام من أول ربيع الأول سنة ٥٤ من مولده إلى تاسع ذي الحجة سنة ٦٣ ، منه ويوافق ذلك سنة عشر من الهجرة . وهذا التحقيق قريب من القول بأن مدة إقامته صلى الله عليه وسلم في مكة ثلاث عشرة سنة وفي المدينة عشر سنين وأن مدة الوحي بالقرآن الكريم ثلاثة وعشرون عاما . لكن هذا التحقيق لا يزال في حاجة إلى تحقيقات ثلاثة ، ذلك لأنه أهمل من حسابه باكورة الوحي إليه عن طريق الرؤ يا الصادقة ستة أشهر ، على حين أنها ثابتة في الصحيح .

ومعلوم أن هذا الوحي كان فيما يتعلق بغير القرآن فان خصائص القرآن أن ينزل على الرسول يقظة لامناما كما سبق .

ثم جرى فيه على أن إبتداء نزول القرآن كان ليلة السابع عشر من رمضان وهي ليلة القدر على بعض الآراء ، غير أنه يخالف المشهور الذي يؤ يده الصحيح وهو أن ذلك في ليلة سبع وعشرين .

ثم ذهب فيه مذهب القائلين بأن آخر ما نزل من القرآن هو آية (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا)[1] وذلك في تاسع ذي الحجة سنة عشر من الهجرة ، وسيأتي في مبحث (آخر ما نزل من القرآن) أن هذا المذهب غير صحيح .

(١) المائدة : (٣)

دليل تنجيم نزول القرآن الكريم :

قال الله تعالى : (وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا)[2] وقال سبحانه : (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ـ ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا)[1] روى أن الكفار من يهود ومشركين عابوا على النبي صلى الله عليه وسلم نزول القرآن مفرقا ، واقترحوا عليه أن ينزل جملة ، فأنزل الله هاتين الآيتين ردا عليهم ، وهذا الرد يدل على أمرين :

أحدهما : أن القرآن نزل على النبي صلى الله عليه وسلم مفرقا .

ثانيهما : أن الكتب السماوية من قبله نزلت جملة كما اشتهر ذلك بين جمهور العلماء حتى كاد يكون إجماعا .

الحكم والأسرار في نزول القرآن منجما :

معلوم أن القرآن الكريم لم ينزل دفعة واحدة ، بل نزل منجما ومفرقا لحكم يعلمها الله سبحانه وتعالى ، وذلك بخلاف الكتب السماوية الأخرى مثل الألواح العشرة التي نزلت على موسى عليه السلام ، والزبور الذي نزل على داود عليه السلام ، فكان هذا التنجيم مثار اعتراض المشركين كما حكى القرآن الكريم في قوله تعالى : (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ـ ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسير ١)[2] . لأنهم لم يفهموا الحكمة من نزول القرآن منجما ومفرقا ، لذا سنذكر بعض الحكم والأسرار لنزول القرآن الكريم منجما .

(١) الاسراء : (١٠٦)

(٢) الفرقان : (٣٢ ـ ٣٣) .

(٣) الفرقان : (٣٢ ـ ٣٣) .

الحكمة الأولى :

تثبيت فؤ اد النبي صلى الله عليه وسلم وتقوية قلبه وذلك من وجوه خمسة :

الوجه الأول : أن في تجدد الوحي وتكرار نزول المَلكِ به من عند الله إلى النبي صلى الله عليه وسلم سرورا يملأ قلب الرسول ، وغبطة تشرح صدره .

الوجه الثاني : أن في التنجيم تيسيرا على النبي من الله في حفظ القرآن وفهمه ، ومعرفة أحكامه وحكمه ، وذلك مطمئن له على وعي ما يوحي إليه حفظا وفهما ، وأحكاما وحكما ، كما أن فيه تقوية لنفسه الشريفة على ضبط ذلك كله .

الوجه الثالث : أن في كل نوبة من نوبات هذا النزول المنجم معجزة جديدة غالبا حيث تحداهم كل مرة أن يأتوا بمثل نوبة من نُوَبْ التنزيل ، فظهر عجزهم عن المعارضة وضاقت عليهم الأرض بما رحبت .

الوجه الرابع : أن في تأييد حقه ودحض باطل عدوه ـ المرة بعد الأخرى ـ تكرارا للذة فوزه وفَلجَهِ بالحق والصواب .

الوجه الخامس : تعهد الله إياه عند اشتداد الخصام بينه وبين أعدائه بما يهون عليه هذه الشدائد . .

ولا ريب أن تلك الشدائد كانت تحدث في أوقات متعددة فلا جرم أن كانت التسلية تحدث هي الأخرى في مرات متكافئة ، فكلما أحرجه خصمه سلاه ربه .

الحكمة الثانية :

التدرج في تربية هذه الأمة الناشئة علما وعملا ، وينضوى تحت هذا الاجمال أمور خمسة أيضا :

أولها : تيسير حفظ القرآن على الأمة العربية وهي كما علمت كانت أمة

أمية ، وأدوات الكتابة لم تكن ميسورة لدى الكاتبين منهم على ندرتهم ، وكانت مشتغلة بمصالحها المعاشية وبالدفاع عن دينها الجديد ، فلو نزل القرآن جملة واحدة لعجزوا عن حفظه فاقتضت الحكمة العليا أن ينزله الله إليهم مفرقا ليسهل عليهم حفظه ، ويتهيأ لهم استظهاره .

ثانيها : تسهيل فهمه عليهم كذلك مثل ما سبق في توجيه التيسير في حفظه .

ثالثها : التمهيد لكمال تخليهم عن عقائدهم الباطلة وعباداتهم الفاسدة وعاداتهم المرذولة ، وذلك بأن يراضوا على هذا التخلي شيئا فشيئا بسبب نزول القرآن عليهم كذلك شيئا فشيئا ، فكلما نجح الإسلام معهم في هدم باطل إنتقل بهم إلى هدم آخر .

رابعها : التمهيد لكمال تحليهم بالعقائد الحقة والعبادات الصحيحة والأخلاق الفاضلة بمثل تلك السياسة الرشيدة السابقة ، ولهذا بدأ الإسلام بفطامهم عن الشرك والإباحة ، وإحياء قلوبهم بعقائد التوحيد والجزاء من جراء ما فتح عيونهم عليه من أدلة التوحيد وبراهين البعث بعد الموت وحجج الحساب والمسؤ ولية والجزاء . ثم انتقل بهم بعد هذه المرحلة إلى العبادات فبدأهم بفرضية الصلاة قبل الهجرة ، وثنى بالزكاة وبالصوم في السنة الثانية من الهجرة ، وختم بالحج في السنة السادسة منها وكذلك كان الشأن في العبادات .

خامسها : تثبيت قلوب المؤ منين وتسليمهم بعزيمة الصبر واليقين بسبب ما كان يقصه القرآن عليهم الحين بعد الحين من قصص الأنبياء والمرسلين وما كان لهم ولأتباعهم مع الأعداء والمخالفين ، وما وعد الله به عباده الصالحين من النصر والأجر والتأييد والتمكين ، قال سبحانه وتعالى : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وَلَيُمَكِّنَنَّ

لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون)[1] .

وقد صدق الله وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده (فَقُطِعَ دابرُ القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين)[2]

الحكمة الثالثة :

مسايرة الحوادث والطوارىء في تجددها وتفرقها فكلما جدَّ منهم جديد نزل من القرآن ما يناسبه وفصل الله لهم من أحكامه ما يوافقه ، وتنتظم هذه الحكمة في أمور أربعة :

أولها : إجابة السائلين على أسئلتهم عندما يوجهونها إلى الرسول عليه الصلاة والسلام سواء كانت لغرض التثبت من رسالته كما قال سبحانه في جواب سؤ ال أعدائه إياه [ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا[3]] . .

أم كانت لغرض التنور ومعرفة حكم الله كقوله تعالى [ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو][4] :

ثانيها ـ مجاراة الأقضية والوقائع في حينها ببيان حكم الله فيها عند حدوثها ووقوعها . ومعلوم أن تلك الأقضية والوقائع لم تقع جملة ، بل وقعت تفصيلاً وتدريجاً ، فلا مناص إذاً من فَصْلِ الله فيها بنزول القرآن على طِبْقِها تفصيلاً وتدريجاً .

---

(١) النور : (٥٥) .
(٢) الأنعام : (٤٥) .
(٣) [٨٥] من سورة الاسراء
(٤) البقرة (٢١٩)

ثالثها : لفْت أنظار المسلمين إلى تصحيح أغْلاطهم التي يخطئون فيها وإرشادهم إلى شاكلة الصواب في الوقت نفسه .

رابعها ـ كشف حال أعداء الله المنافقين وهتك أستارهم وسرائرهم للنبي والمسلمين ، كيما يأخذوا منهم حذرهم فيأمنوا شرهم وحتى يتوب من شاء منهم ـ إقرأ إن شئت قوله تعالى : (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين إلى قوله تعالى إن الله على كل شيء قدير[1]) وَهُنَّ ثلاث عشرةَ آية فضحت المنافقين كما فضحتهم سورة التوبة في كثير من الآيات وكما كشف القرآن أستارهم في كثير من المناسبات .

الحكمة الرابعة

الإرشاد إلى مصدر القرآن الكريم وأنه كلام الله وحده وأنه لا يمكن أن يكون من كلام محمد صلى الله عليه وسلم ولا كلام مخلوق سواه .

وبيان ذلك أن القرآن الكريم تقرؤه من أوله إلى آخره فإذا هو محكم السرد . دقيق السبك . متين الأسلوب قوي الاتصال . آخذٌ بعضُه بَعْضاً في سوره وآياته وجُمَله ، يجرى دم الإعجاز فيه كله من ألفه إلى يائه ـ كأنه سبيكة واحدة ، ولا يكاد يوجد بين أجزاءه تفكك ولا تخاذل كأنه سمط وحيد وعقد فريد يأخذ بالأبصار : نُظِمَتْ حروفه وكلماته ، ونُسِقَتْ جُمَلُهُ وآياته ، وجاء آخره مساوياً لأوّله ، وبدا أوَّلُهُ مُوَاتِياً لآخره !!

وهنا نَتَساءل :

كيف اتسق للقرآن هذا التآلف المعجز ؟ وكيف استقام له هذا التناسق المدهش ؟ على حين أنَّهُ يتنزّل جملةً واحدةً ، بل تنزَّل آحاداً مفرقةً ، تفرق الوقائع

---

(١) البقرة (٨ ـ ٢٠)

والحوادث في أكثر من عشرين عاما !! الجواب : أننا نلمح هنا سِرًّا جديدا من أسرار الإعجاز ونشهد سمةً فَذَّةً من سمات الربوبية ونقرأ دليلا ساطعاً على مصدر القرآن وأنه كلام الواحد الديَّان (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيرا[1]) . وإلا فحدثني بربك كيف تستطيع أنت أم كيف يستطيع الخلق جميعا أن يأتوا بكتاب محكم الاتصال والترابط ، متين النسج والسرد . متآلف البدايات والنهايات . مع خضوعه في التأليف لعوامل خارجة عن مقدور البشر ، وهي وقائع الزمن وأحداثه التي يجيء كل جزء من أجزاء هذا الكتاب تبعاً لها ومتحدثا عنها ، سبباً بعد سبب ، وداعيةً إثر داعية . مع اختلاف ما بين هذه الدواعي وتغاير ما بين تلك الأسباب ومع تراخي زمان هذا التأليف وتطاول آماد هذه النجوم إلى أكثر من عشرين عاماً . لا ريب أن هذا الانفصال الزماني وذاك الاختلاف الملحوظ بين هاتيك الدواعي يستلزمان في مجرى العادة التفكك والانحلال ولا يدعان مجالا للارتباط والاتصال بين نجوم هذا الكلام .

أما القرآن الكريم فقد خرق العادة في هذه الناحية أيضاً ، فنزل مفرقا منجما ولكنه مترابط محكم ، وتفرقت نجومه تفرق الأسباب ولكنه اجتمع نظمه اجتماع شمل الأحباب ، ولم يتكامل نزوله إلا بعد عشرين عاماً ، ولكن تكامل انسجامه بدايةً وختاماً . أليس ذلك برهاناً ساطعاً على أنه كلام خالق القوى والقُدرْ ومالك الأسباب والمسببات ومدبر الخلق والكائنات وقيوم الأرض والسموات ، العليم بما كان وبما سيكون ، الخبير بالزمان وما يحدث فيه من شؤ ون ؟ لاحظ فوق ما أسلفنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا نزلت عليه آية أو آيات قال : [ضعوها في مكان كذا من سورة كذا] وهو بشر لا يدري طبعاً ما ستجيء به الأيام ولا يعلم ما سيكون في مستقبل الزمان ولا يدرك ما سيحدث من الدواعي والأحداث فضلاً عما سينزل من الله فيها :

---

(١) النساء [٨٢]

وهكذا يمضي العمر الطويل والرسول على هذا العهد يأتيه الوحي بالقرآن نجما بعد نجم ، وإذا القرآن كلّهُ بعد هذا العمر الطويل يكتمل ويتم وينتظم ويتآخى ويأتلف ، ولا يؤ خذ عليه أدنى تخاذل ولا تفاوت ، بل يُعْجزُ الخلق طُراً بما فيه من انسجام وَوَحْدَةٍ وترابط (كتابٌ أُحكمت آياته ثم فُصِلتْ من لدن حكيم خبير[1])

---

(١) هود (١)

جمع القرآن الكريم

كلمة جمع القرآن تطلق تارة ويراد منها حفظه واستظهاره في الصدور ، وتطلق تارة أخرى ويراد منها كتابته كله حروفاً وكلماتٍ وآياتٍ وسورا . هذا جمع في الصحائف والسطور وذاك جمع في القلوب والصدور . والجمع بمعنى الكتابة حدث في الصدر الأول ثلاث مرات :

الأولى : في عهد النبي صلى الله عليه وسلم .

والثانية : في خلافة أبي بكر الصديق رضى الله عنه .

والثالثة : على عهد سيدنا عثمان بن عفان رضوان الله عليه . وفي هذه المرة الأخيرة وحدها نسخت المصاحف وأرسلت إلى الأمصار .

أولا

[جمع القرآن بمعنى حفظه في الصدور]

نزل القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم فكانت همته بادىء ذي بدء منصرفة إلى أن يحفظه ويستظهره ، ثم يقرأه على الناس على مكث ليحفظوه ويستظهروه ضرورة أنه نبي أميٌ بعثه الله في الأميين ، قال سبحانه وتعالى [هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبلُ لفى ضلالٍ مبين[1]] ولقد بلغ من حرصه صلى الله عليه وسلم على استظهار القرآن وحفظه أنه كان يحرك لسانه به في أشد حالات حرجه وشدته وهو يعاني ما يعانيه من الوحي وسطوته ، وجبريل في هبوطه عليه بقوته ،

(١) الجمعة (٢)

يفعل الرسول كل ذلك استعجالاً لحفظه وجمعه في قلبه مخافة أن تفوته كلمة أو يفلت منه حرف . وما زال صلى الله عليه وسلم كذلك حتى طمأنه ربُّهُ بأن وعده أن يجمعه له في صدره ، وأن يسهل له قراءةَ لفظه وفهم معناه ، فقال سبحانه وتعالى (لا تحرك به لسانك لتعجل به - إن علينا جمعه وقرآنه ، فإذَا قرأناه فاتّبع قرآنه ، ثم إن علينا بيانه[1]) وقال تعالى (ولا تَعْجَلْ بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علما[2]) .

ومن هنا كان النبي صلى الله عليه وسلم جامع القرآن في قلبه الشريف وسيد الحفاظ في عصره ، ومرجع المسلمين في كل ما يعنيهم من أمر القرآن وعلوم القرآن . وكان صلى الله عليه وسلم يقرؤه على الناس على مكث كما أمره مولاه . وكان يحيي به الليل ويزيّن به الصلاة ، وكان جبريل يعارضه إياه في كل عامٍ مرةً . وعارضه إياه في العام الأخير مرتين . قالت عائشة وفاطمة الزهراء رضى الله عنهما (سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : [إن جبريل كان يعارضنى القرآن في كل سنةٍ مرة وأنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلى]) . هذه حال النبي صلى الله عليه وسلم مع القرآن .

وأما الصحابة رضوان الله عليهم فقد كان كتاب الله في المحل الأول من عنايتهم يتنافسون في استظهاره وحفظه ويتسابقون إلى مدارسته وتفهمه . ويتفاضلون فيما بينهم على مقدار ما يحفظون منه . وربما كانت قرة عين المرأة في ذلك العهد أن يكون مهرها سورة من القرآن يعلمها إياها زوجها . وكانوا رضي الله عنهم يهجرون لذة النوم وراحة الهجود إيثارا للذةِ القيام به في الليل ، والتلاوةَ له في الأسحار ، والصلاة به والناس نيام حتى لقد كان الذي يَمُرُّ ببيوت الصحابة في غسق الدجى ، يسمع فيها دوياً كدوي النحل بالقرآن .

(١) - القيامة ١٦ - ١٩ -

(٢) - طه - ١١٤

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يزكي فيهم روح هذه العناية بالتنزيل . يبلغهم ما أنزل إليه من ربه ، ويبعث إلى من كان بعيد الدار منهم من يعلمهم ويقرئهم ، كما بعث مصعب بن عمير وابن أم مكتوم إلى أهل المدينة قبل هجرته، يعلمانهم الإسلام ويقرئانهم القرآن ، وكما أرسل معاذ بن جبل إلى مكة بعد هجرته للتحفيظ والاقراء .

قال عبادة بن الصامت رضى الله عنه (كان الرجل إذا هاجر دفعه النبي صلى الله عليه وسلم إلى رجل منا يعلمه القرآن وكان يُسمع لمسجد رسول الله عليه الصلاة والسلام ضجةً بتلاوة القرآن حتى أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا) .

ومن هنا كان حفاظ القرآن في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم جماً غفيراً منهم الأربعة الخلفاء وطلحة وسعد وابن مسعود وحذيفة وسالم مولى أبي حذيفةَ وأبو هريرة وابن عمر وابن عباس وعمرو بن العاص وابنه عبد الله ومعاوية وابن الزبير وعبد الله بن السائب وعائشة وحفصة وأم سلمة وهؤلاء كلهم من المهاجرين رضوان الله عليهم .

وحفظ القرآن من الأنصار في حياته صلى الله عليه وسلم أبي بن كعب ومعاذ ابن جبل وزيد بن ثابت وأبو الدرداء وَمَجْمَع بن حارثه وأنس بن مالك وأبو زيد الذي سئل عنه أنس فَقال إنه أحد عمومتي رضى الله عنهم أجمعين وقيل إن بعض هؤلاء إنما أكْمل حفظه للقرآن الكريم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم .

وأياً ما تكن الحال فإن الذين حفظوا القرآن من الصحابة كانوا كثيرين حتى كان عدد القتلى منهم ببئر معونة ويوم اليمامة أربعين ومائة . قال القرطبي : (قد قتل يوم اليمامة سبعون من القراء وقتل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ببئر معونة مثل هذا العدد) ولا يشكلن عليك في هذا المقام ما جاء في صحيح البخارى

عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال (مات النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجمع القرآن غير أربعة أبو الدرداء ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد . قال (ونحن ورثناه) وأبو زيد هذا اسمه قَيْس بن السكن كما رواه أبو داود باسناد على شرط الشيخين . وانما قلنا لا يشكلن عليك هذا الحديث لأن الحصر الذي تلْمحه فيه حصر نسبي وليس حصراً حقيقيا حتى ينفى أن يكون غير هؤلاء الأربعة قد جمعه على عهد النبي صلى الله عليه وسلم .

وذهب بعضهم إلى أن الجمع في حديث أنس المذكور مراد به الكتابة لا الحفظ . وبعضهم ذهب إلى أنَّ المراد به الجمع بوجوه القراءات كلها أو تلقياً ومشافهةً عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو الجمع شيئاً فشيئاً حتى تكامل نزوله . وإنما خص أنس الأربعة بالذكر لشدة تعلقه بهم دون غيرهم أو لكونهم كانوا في ذهنه دون غيرهم .

أما بعد وفاته عليه الصلاة والسلام . فقد أتم حفظ القرآن آلاف مؤلفة من الصحابة واشتهر بإقراء القرآن من بينهم سبعة : ـ عثمان وعلي وأبي بن كعب وأبو الدرداء وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود وأبو موسى الأشعري ، وكلهم جمعوا التنزيل بين جنايا صدورهم وأقْرءوه لكثير غيرهم ، جزاهم الله أحسن الجزاء آمين .

ثانياً

[جمع القرآن الكريم بمعنى كتابته]

أولا ـ في عهد النبي صَلَىَ الله عليه وسلم :

كان القرآن الكريم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم محفوظا في الصدور

ومكتوبا في الرقاع[1] وَالْعُسُبِ[2] واللخاف[3] غير مجموع ولا مرتّب السورة ولقد حظىَ القرآن الكريم بأوْفَى نصيبٍ من عنايةِ النبىِّ صلى الله عليه وسلم وأصحابِه ولم تصرفهم عنايتهم بحفظه واستظهاره عن عنايتهم بكتابته ونقشه ،ولكن بمقدار ما سمحتْ به وسائل الكتابة وأدواتها في عصرهم .

فها هُوَ ذَا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اتخّذ كُتّاباً للوحى ، كُلّما نزل شيء من القرآن أمَرهم بكتابته مبالغة في تسجيله وتقييده ، وزيادةً في التَّوثُّقِ والضّبط والاحتياط في كتاب الله تعالى ، حتّى تُظاهِرِ الكتابةُ الحفْظَ ، ويعاضدُ النّقْشُ اللفظَ .

وكان هؤ لاء الكتّاب من خِيرةِ الصحابة ، فيهِم أبو بكر وعُمر وعثمان وعلىّ ومعاوية ،وأبَان بن سعيد وخالد بن الوليد وأبى بن كعب وزيد بن ثابت وثابت بن قيس وغيرهم .

وكان صلى الله عليه وسلم يدلُّهم على موْضع المكتُوبِ من سورته ، فيكتبون في ما يسهُلُ عليهم وما تيسرّ لهم من أدوات الكتابة .

وهكذا انْقضى العهد النبوىّ السّعيد والقرآن على هذا النَّمط ، بيْد أنه لم يُكتب في صحفٍ ولا في مصاحف ، بل كان منثُوراً بين الرقاع والعِظامِ ونحوها كما ذكرنا .

رُوِىَ عن ابن عبّاسٍ رضى الله عنهما أنه قال: «
كان رسولُ الله صلىّ الله عليه وسلم إذا نزلتْ عليه سورة دعا بعضَ من يكتُب فقال : ضعُوا هذه السّورةَ في الموْضع الذي يُذكر فيه كذا وكذا » .

---

(١) قطع الجلود .
(٢) جريد النخيل الذي زال خوصه .
(٣) حجارة بيض رقاق .

وعن زيْد بن ثابت قال : « كُنّا عند رسولِ الله صلى الله عليه وسلم نُؤَلّفُ القرآن من الرِّقاع » . وكان هذا التّاليف عبارةً عن ترتيب الآيات حَسَبَ إرشاد النبيِّ صلى الله عليه وسلم وكان هذا الترتيب بتوقيفِ جبريل عليه السلام فقد وَرَدَ أنّ جبريلَ عليه السلام كان يقول « ضَعُوا كذا في موْضع كذا » .

ولا ريب أن جبريلَ كان لا يصدر في ذلك إلاّ عن أمْرِ الله عزّ وجلّ ، أمّا الصحابةُ ـ رضوانُ الله عليهم ـ فقد كان منهم من يكتبُ القرآن ولكن فيما تيسرّ لهم مِن قِرطاسٍ أو كَتفٍ أو عظْمٍ أو نحو ذلك بالمقدارِ الذي يبلغ الواحد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولم يلتزموا توالى السّور وترتيبها وذلك لأنّ أحدهم كان إذا حفظ سورةً أُنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أو كتبها ، ثم خرجَ في سريّةٍ مثلاً فنزلتْ في وقت غيابه سورة فإنه كان إذا رجع يأخذ في حفظ ما ينزلُ بعد رجوعه وكتابته ، ثم يستدرك ما كان قد فاته في غيابه ، فيجمعه ويتتبعه على حَسَبِ ما يسهُلُ له ، فيقع فيما يكتبه تقديمٌ وتأخيرُ ، بسبب ذلك .

وقد كان من الصحابة مَن يعتمدُ على حفظه فلا يكتب جَرْياً على عادةِ العرب في حِفظ أنسابها واسْتظهار مفاخرِها وأشعارِها من غير كتابة .

صَفْوَةُ القوْل :

وصفوةُ القول . . . أنّ القرآن كان مكتوباً كلُّه على عهْد النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، وكانت كتابتهُ ملحوظاً فيها أن تشْمَلَ الأحْرفَ السّبعةَ التي نزل عليها ، غيرْ أنّ بعض الصحابة كان قد كتب منسوخ التّلاوةِ وبعضَ ما هو ثابتُ ، بخبر الواحِد ، وربّما كتبه غيرَ مرتّبٍ . ولم يكن القرآن على ذلك العهد مجموعاً في صحف ولا مصاحف عامة كما تقدّم .

لماذا لم يجُمَع القرآن أيّا مئذ في صحف ولا مصاحف ؟

لم يجُمَع القرآن في صحف ولا مصاحف لاعتباراتٍ كثيرة . . .

أوّلها : أنه لم يُوجد من دواعي كتابته في صحف أو مصاحف مثل ما وُجد في عهد أبي بكرٍ حتى كتبه في صحف . ولا مثل ما وجد على عهد عثمان حتى نسخه في مصاحف . فالمسلمون وقتئذٍ بخير والقرّاءُ كثيرون والاسلام لم يستبحر عمرانه بعد ، والفتنة مأمونة والتعويل لا يزال على الحفظ أكثر من الكتابة وهي غير ميسورةٍ ، وعناية الرسول باستظهار القرآن تفوق الوصْف وتُوفى على الغاية حتى في طريقة أدائه على حروفه السبعة التي نزل عليها .

ثانيها : أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان بصدد أن ينزل عليه الوحْى بنسْخ ما شاء الله من آيةٍ أو آيات .

ثالثها : أن القرآن لم ينزل مرةً واحدةً ، بل نزل منجماً في مدى عشرين سنةً أو أكثر .

رابعها : أن ترتيب آياته وسوره ليس على ترتيب نزوله .

ومعلوم أنّ القرآن لو جمُع في صحفٍ أو مصاحفَ والحالُ على ما شرحنا لكان عُرضةً لتغيير الصحف أو المصاحف كلّما حدث نسخ أو حدث سبب مع أن الظّروف لا تساعدُ وأدواتُ الكتابة ليست ميسورةً ، والتعويلُ كان على الحفظ قبل كلِّ شيء .

ولكن لمّا استقر الأمرُ بختامِ التنزيل ووفاةِ الرسول عليه الصلاة والسلام ، وأُمِنَ النسخُ ، وتقرر الترتيبُ ووُجِدَ من الدّواعى ما يقتضى نسخه في صحف أو مصاحف وفّق الله الخلفاءَ الراشدين فقاموا بهذا الواجبِ حفظاً للقرآن ، وحياطةً لأصل التشريع الأوّل ، مصداقاً لقوله تعالى : « إنّا نحنُ نزّلنا الذكرَ وإنّا له لحافظون »[1]

(١) الحجْر آية : ٩ .

ثانيا : جمع القرآن في عهد أبي بكر رضى الله عنه .

أ ـ سبب هذا الجمع :

ألقتْ الخلافةُ قيادها إلى أبى بكرٍ رضى الله عنه بعد غروب شمس النّبوة ، وواجهته في خلافته مشكلات صعبة ، منها موقعة اليمامةِ سنة ١٢ هـ . اثنتى عشرةَ للهجرة ، وفيها دارتْ رَحَى الحرْب بين المسلمين وأهلِ الرِّدةَ من أتباع مُسيْلِمة الكذّاب ، وكانتْ معركة حامية الوطيس ، استُشهِد فيها كثيرٌ من قُرّاء الصحابة وحفظتهم للقرآن ، ينتهى عددُهم إلى السبعين . وأنهاهُ بعضُهم إلى خمسمائة من أجلِّهم سالم موْلى أبى حذيفة .

ولقد هالَ ذلك المسلمين ، وعزّ الأمرُ على عُمر ، فدخل على أبى بكر وأخْبره الخبر واقترح عليه أن يجْمع القرآن ، خشيةَ الضّياع بموْت الحفّاظِ وقتْل القرّاءِ ، فتردّد أبو بكر أوّلَ الأمْر ، ولكنّه بعْد مفاوضةٍ بينه وبين عمر تجلىّ له وجْهُ المصلحةِ فاقْتنع بصوابِ الفِكْرةِ ، وعَلِمَ أنّ ذلك الجمْعَ وسيلةٌ ، إلى حفظ القرآن الكريم ، والمحافظة عليه من الضياع والتحريف ، وأنّه ليس مِن محدثاتِ الأمور ، ولا من البدع ، بل هو مستمدٌّ من القواعد التي وضعها الرسولُ صلى الله عليه وسلم بتشريع كتابةِ القرآنِ ، واتخّاذِ كُتّابٍ للوحْى ، وجَمْع ما كتبوه عنده ، حتى مات صلى الله عليه وسلم .

قال الإمام أبو عبيد الله المحاسبى في كتاب (فَهْم السنن) ما نصه :

(كتابةُ القرآنِ ليستْ بمُحدثةٍ ، فإنّهُ صلى الله عليه وسلم كان يأمُرُ بكتابته ، ولكنه كان مفرَّقاً في الرِّقاع ، والأكتاف ، والعُسبِ .

وإنما أمَرَ الصِّديقُ بنسخها من مكانٍ إلى مكانٍ مجتمعاً ، وكان ذلك بمنزلة أوراقٍ وُجِدتْ في بيت النبىّ صلى الله عليه وسلم فيها القرآنُ منتشراً ، فجمعها جامع وربطها بخيْط حتى لا يضيع منها شيء) ا . هـ .

ب ـ تنفيذُ أبي بكر لفكرة الجمع :

إهتم أبو بكر بهذه الرغبة ، ورأى بنور الله أن يندب لتحقيقها رجلا من خيرة رجالات الصحابة هو زيد بن ثابت رضى الله عنه ، لأنه اجتمع فيه من المواهب ذات الأثر في جمع القرآن ما لم يجتمع في غيره من الرجال ، إذ كان من حفاظ القرآن ، ومن كتاب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهد العرضة الأخيرة للقرآن في ختام حياته صلى الله عليه وسلم ، وكان فوق ذلك معروفا بخصوبة عقله ، وشدة ورعه ، وعظم أمانته ، وكمال خلقه .

فاستشار أبو بكر عمر في هذا فوافق ، وجاء زيد فعرض عليه الفكرة ورغب إليه أن يقوم بتنفيذها ، فتردد زيد أول الأمر ، ولكن أبا بكر ما زال به يعالج شكوكه ، ويبين له وجه المصلحة ، حتى اطمأن واقتنع بصواب ما ندب إليه ، وشرع يجمع القرآن ، وأبو بكر وعمر وكبار الصحابة يشرفون عليه ، ويعاونونه في هذا الأمر العظيم ، حتى تم لهم ما أرادوا : (ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون)[1] . روى البخارى في صحيحه[2] عن زيد بن ثابت قال : (أرسل إلىَّ أبا بكر مقتل أهل اليمامة ، فإذا عمر بن الخطاب عنده ، فقال أبو بكر : إن عمر أتانى فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقرَّاء القرآن وإنى أخشى أن يستحر القتل بالمواطن، فيذهب كثير من القرآن، وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن. قلت لعمر : كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال عمر : والله إن هذا خير . فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدرى لذلك ، وقد رأيت في ذلك الذي رأى عمر . قال زيد : وقال أبو بكر : إنك رجل شاب لا أتهمك[3] . وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) التوبة : (٣٢)

(٢) في كتاب فضائل القرآن

(٣) في الصحيح (لا نتهمك)

فتتبع القرآن فاجمعه . قال زيد : فوالله لو كلفنى[1] نقل جبل من الجبال ما كان بأثقل علىّ مما أمرني به من جمع القرآن ، قلت : كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : هو والله خير ، فلم يزل أبو بكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذي شرح له صدر أبى بكر وعمر، فتتبعت القرآن أَجْمَعُهُ من العُسُبِ واللخاف وصدور الرجال ، حتى وجدت آخر التوبة [لقد جاءكم[2] . مع أبى خزيمة الأنصارى الذي جعل النبي صلى الله وسلم شهادته بشهادة رجلين ، لم أجدها مع أحد غيره فألحقتها في سورتها ، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حتى قبض ، ثم عند حفصة بنت عمر .

جـ ـ دستور أبى بكر في كتابة الصحف :

وانتهج زيد في جمع القرآن طريقة محكمة وضعها له أبو بكر وعمر ، فيها ضمان لحياطة كتاب الله بما يليق به من تثبت بالغ وحذر دقيق وتحريات شاملة ، فلم يكتف بما حفظه في قلبه ، ولا بما كتب بيده، ولا بما سمع بأذنه . بل جعل يتتبع ويستقصى آخذا على نفسه أن يعتمد في جمعه على مصدرين اثنين :

أحدهما : ما كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثانيهما : ما كان محفوظا في صدور الرجال .

وبلغ من مبالغته في الحيطة والحذر أنه لم يقبل شيئا من المكتوب حتى يشهد شاهدان عدلان أنه كتب بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم. يدل على ذلك ما أخرجه ابن أبى داود من طريق يحيي بن عبد الرحمن ابن حاطب قال : (قدم عمر ، فقال : من كان تلقى من رسول الله شيئا من القرآن فليأت به ، وكانوا

---

(١) في الصحيح (لو كلفوني)

(٢) التوبة : (١٢٨)

يكتبون ذلك في الصحف والألواح والعسب ، وكان لا يقبل من أحد شيئا حتى يشهد ، شاهدان) . قال ابن حجر : (المراد بالشاهدين : الحفظ والكتابة) . وقال السخاوى في جمال القراء ما يفيد أن المراد بهما رجلان عدلان إذ يقول ما نصه : (المراد أنهما يشهدان على أن ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم) ولم يعتمد زيد على الحفظ وحده ، ولذلك قال في الحديث الذي رواه البخارى سابقا ، إنه لم يجد آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة . أي لم يجدها مكتوبة إلا مع أبى خزيمة الأنصارى ، مع أنه كان يحفظها ، وكثير من الصحابة يحفظونها ، ولكن أراد أن يجمع بين الحفظ والكتابة ، زيادة في التوثق ومبالغة في الاحتياط .

وعلى هذا الدستور الرشيد تم جمع القرآن كله بإشراف أبى بكر وعمر وأكابر الصحابة وإجماع الأمة عليه دون نكير .

وكان ذلك الجمع بعد واقعة اليمامة في السنة الثانية عشرة للهجرة بعد أن مات في هذه الواقعة كثير من حفاظ القرآن . وتم هذا الجمع خلال سنة واحدة تقريبا . فكان هذا الجمع منقبة خالدة لا يزال التاريخ يذكرها بالجميل لأبي بكر في الإشراف ، ولعمر في الاقتراح ، ولزيد في التنفيذ ، وللصحابة في المعاونة والإقرار ! قال على كرم الله وجهه : (أعظم الناس في المصاحف أجرا أبو بكر ، رحمة الله علي أبى بكر هو أول من جمع كتاب الله) أخرجه ابن أبي داود في المصاحف بسند حسن .

وقال ناظم المورد:

جمعه في الصحف الصديق . كما أشار عمر الفاروق

وذاك حين قتلوا مسَيلمة . . وانقلبت جيوشه منهزمة

ونظم بعضهم فقال :

وبعدَ إغماضِ النبيِّ فالأَحَقْ . . . أنَّ أبا بكر بجمعه سَبَقْ

جَمَعَه غيرَ مرتِّب السور . . . بعدَ إشارةٍ إليه من عُمَرْ

د ـ مزايا هذه الصحف :

أولا : امتازت هذه الصحف بأنها جمعت القرآن على أدق وجوه البحث والتحرى ، وأسلم أصول التثبت العلمي ، كما سبق شرحه لك في الدستور الآنف .

ثانيا : أنه اقتصر في هذه الصحف على ما لم تنسخ تلاوته .

ثالثا : أنها ظفرت بإجماع الأمة عليها ، وتواتر ما فيها . ولا يطعن في ذلك التواتر ما مر عليك من أن آخر سورة (براءة) لم يوجد إلا عند أبى خزيمة ، فإن المراد أنه لم يوجد مكتوبا إلا عنده ، وذلك لا ينافى أنه وجد محفوظا عند كثرة غامرة من الصحابة بلغت حدَّ التواتر وكان هذا الجمع شاملا للأحرف السبعة التي نزل بها القرآن تيسيرا على الأمة الإسلامية ، كما كانت الأحرف السبعة في الرقاع كذلك .

ثالثا : جمع القرآن في عهد سيدنا عثمان رضى الله عنه .

١ ـ سبب هذا الجمع :

في خلافة عثمان اتسعت الفتوحات ، وتفرق المسلمون في البلاد ، ونبتت ناشئة جديدة كانت بحاجة إلى دراسة القرآن ، وطال عهد الناس بالرسول والوحى والتنزيل ، وكان أهل كل إقليم من أقاليم الإسلام ، يأخذ بقراءة من اشتهر بينهم من الصحابة .

فأهل الشام يقرءون بقراءة أبى بن كعب،وأهل الكوفة يقرءونبقراءة عبدالله

ابن مسعود، وغيرهم بقراءة أبى موسى الأشعرى .فكان بينهم اختلاف في حروف الأداء ووجوه القراءة ، بطريقة فتحت باب النزاع والشقاق في قراءة القرآن أشبه بما كان بين الصحابة قبل أن يعلموا أن القرآن نزل على سبعة أحرف ، بل كان هذا الشقاق أشد ، لبعد عهد هؤلاء بالنبوة ، وعدم وجود الرسول بينهم يطمئنون إلى حكمه .

واستفحل الداء ، حتى كفّر بعضهم بعضا ، وكادت تكون فتنة في الأرض وفساد كبير ، ولم يقف هذا الطغيانّ عند حد ، بل كاد يلفح بناره جميع البلاد الإسلامية حتى الحجاز والمدينة ، وأصاب الصغار والكبار على السواء .

أخرج ابن أبى داود في المصاحف من طريق أبى قلابة أنه قال : (لما كانت خلافة عثمان ، جعل المعلم يعلم قراءة الرجل ، والمعلم يعلم قراءة الرجل ، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين ، حتى كفر بعضهم بعضا ، فبلغ ذلك عثمان ، فخطب فقال : (أنتم عندى تختلفون ، فمن نأى عَنّى من الأمصار أشد اختلافا) .

وصدق عثمان فقد كانت الأمصار النائية أشد اختلافا من المدينة والحجاز ، وكان من يسمع اختلاف القراءات من تلك الأمصار يعجب لذلك ، سيّما إذا سمع زيادة في اختلاف طرق أداء القرآن ، حتى تحو ل التعجب إلى الشك والتأثيم ، وتيقظت الفتنة ، التي كادت تطيح فيها الرءوس ، وتسفك الدماء ، وتقود المسلمين إلى مثل اختلاف اليهود والنصارى في كتابهم .

يضاف إلى ذلك أن الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن لم تكن معروفة لتلك الأمصار ، ولم يكن من السهل عليهم أن يعرفوها كلها ، حتى يتحاكموا إليها فيما يختلفون ، إنما كان كل صحابى في إقليم يقرئهم بما يعرف فقط من الحروف التي نزل عليها القرآن ، ولم يكن بين أيديهم مصحف جامع يرجعون إليه فيما

شجر بينهم من هذا الخلاف والشقاق البعيد .

لهذه الأسباب والأحداث ، رأى عثمان بثاقب رأيه ، وصادق نظره أن يستأصل الداء قبل أن يعز الدواء ، فجمع أعلام الصحابة وذوي البصر منهم ، وأجال الرأي بينه وبينهم في علاج هذه الفتنة ، ووضع حد لذلك الاختلاف ، فأجمعوا على استنساخ مصاحف ترسل إلى الأمصار ، وأن يُؤْمَرَ الناسُ بإحراق ما عداها ، وألاَّ يعتدوا سواها . وبذلك يرأب الصدع ، ويجبر الكسر ، وتعتبر تلك المصاحف العثمانية الرسمية نورهم الهادي في ظلام هذا الاختلاف ، وحكمهم العدل في ذاك النزاع .

٢ ـ تنفيذ عثمان لقرار الجمع :

وشرع عثمان في تنفيذ هذا القرار الحكيم حول أواخر سنة أربع وعشرين وأوائل سنة خمس وعشرين من الهجرة ، فعهد في نسخ المصاحف إلى أربعة من خيرة الصحابة وثقات الحفاظ ، وهم :

زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن ابن الحارث بن هشام ، وهؤ لاء الثلاثة الأخيرون من قريش . وأرسل عثمانُ إلى أم المؤ منين حفصة بنت عمر ، فبعثت إليه بالصحف التي عندها : وهذه الصحف هي التي جُمِعَ القرآن فيها على عهد أبى بكر رضى الله عنه .

وأخذت لجنة هؤ لاء الأربعة في نسخها . وجاء في بعض الروايات أن الذين ندبوا لِنَسْخ المصاحف كانوا اثني عشر رجلا .

وما كانوا يكتبون شيئا إلا بعد أن يعرض على الصحابة ، ويقروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ على هذا النحو الذي نجده الآن في المصاحف .

٣ ـ دستور عثمان في كتابة المصاحف .

ومما تواضع عليه هؤلاء الصحابة أنهم كانوا لا يكتبون في هذه المصاحف إلا ما تحققوا أنه قرآن ، وعلموا أنه قد إستقر في العرضة الأخيرة ، وما أيقنوا صحته عن النبي صلى الله عليه وسلم مما لم ينسخ . وتركوا ما سوى ذلك نحو قراءة : (فامضُوا) بدل كلمة : (فاسْعَوْا) ونحو (وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا) بزيادة كلمة (صالحة) إلى غير ذلك .

وإنما كتبوا مصاحف متعددة لأن عثمان رضى الله عنه قصد إرسال ما وقع الإجماع عليه إلى أقطار بلاد المسلمين ، وهي الأخرى متعددة ، وكتبوها متفاوتة في إثبات وحذف وغيرها ، لأنه رضى الله عنه قصد أيضا اشتمالها على الأحرف السبعة .

وجعلوها خالية من النقط والشكل ، تحقيقا لهذا الاحتمال أيضا . فكانت بعض الكلمات يقرأ رسمها بأكثر من وجه عِنْدَ تجردها من النقط والشكل نحو (فتبينوا) من قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإٍ فتبينوا) فإنها تصلح أن تقرأ (فتثبتوا) عند خلوها من النقط والشكل وهي قراءة أخرى ، وكذلك كلمة (نُنشزُها) فإن تجردها من النقط والشكل يحتمل قراءة (ننشرها) بالراء وهي قراءة أخرى واردة أيضا . أما الكلمات الأخرى التي لا تدل على أكثر من قراءة عند خلوها من النقط والشكل مع أنها واردة بقراءة أخرى أيضا ، فإنهم كانوا يرسمونها في بعض المصاحف برسم يدل على قراءة ، وفي بعض آخر برسم آخر يدل على القراءة الثانية ، كقراءة (وَوَصَّى) بالتضعيف ، (وأوصى) بالهمز ، وهما قراءتان في قوله سبحانه وتعالى : (ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب) وكذلك قراءة (تحتها الأنهار) وقراءة (من تحتها الأنهار) بزيادة لفظ (من) من قوله تعالى في سورة التوبة : (لهم جنات تجرى تحتها الأنهار) وهما قراءتان أيضا .

وصفوة القول : أن اللفظ الـذي لا تختلف فيه وجـوه القـراءات ، كانـوا يرسمونه بصورة واحدة . أما الذي تختلف فيه وجوه القراءات ، فان كان لا يمكن رسمه في الخط محتملا لتلك الوجوه كلها ، فإنهم يكتبونه برسم يوافق بعض الوجوه في مصحف ، ثم يكتبونه برسم آخر يوافق بعض الوجوه في مصحف آخر ، وكانوا يتحاشون أن يكتبوه في مصـحف واحـد خشية أن يتوهـم أن اللفـظ نزل مكررا بالوجهين في قراءة واحدة ، وليس كذلك . بل هما قراءتان نزل اللفظ في إحداهما بوجه واحد ، وفي الثانية بوجه آخر من غير تكرار في واحدة منهما .

وكذلك كانوا لا يكتبون هذا اللفظ في مصحف واحد برسمين : أحدهما : في الأصل ـ والآخر في الحاشية ، لئلا يتوهم أن الثاني تصحيح للأول ، وذلك نحو كلمة (ووصّى) (وأوصى) بالتضعيف والهمز كما سبق .

أما اللفظ الذي تختلف فيه القراءات ، ويدل عليه الرسم بصـورة واحـدة تحتمل هذا الاختلاف ويساعدهم عليه ترك الاعجام والشكل نحو (فتبينوا) و (ننشرها) فتكون دلالة الخط الواحـد على كلا المعنيين المعقولـين . والـذي دعـا الصحابة إلى انتهاج هذه الخطة في رسم المصاحف وكتابتها أنهم تلقوا القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بجميع وجوه قراءاته ، وبكافة حروفه التي نزل عليها ، فكانت هذه الطريقة أدنى إلى الاحاطة بالقرآن على وجوهه كلها ، حتى لا يقال : إنهم أسقطوا شيئا من قراءاته ، أو منعوا أحدا من القراءة بأي حرف شاء ، على حين أنها كلها منقولة نقلا متواترا عن النبي صلى الله عليه وسلم .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (فأي ذلك قرأتـم أصبتـم فلا تماروا) وكان من الدستور الذي وضعه عثمان رضى الله عنه لهم في هذا الجمع أيضا أنه قال لهؤلاء القرشيين : (إذا اختلفتم أنتـم وزيد بن ثابـت في شيء من القرآن ، فاكتبوه بلسان قريش ، فإنما نزل بلسانهـم ، ففعلـوا حتـى إذا نسخـوا

الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة ، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق .

وفي ذلك يروى البخارى في صحيحه بسنده عن ابن شهاب أن أنس بن مالك حدثه ، أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازى أهل الشام في فتح أرمينيَّة وأذْرَبيجان مع أهل العراق ، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة ، فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل عثمان إلى حفصة ، أن أرسلى إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك . فأرسلت بها حفصة إلى عثمان ، فَأَمَر زَيْدَ بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فنسخوها في المصاحف . وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : (إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ، ففعلوا . حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ، رد عثمان الصحف إلى حفصة ، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق) أ . هـ .

٤ ـ تحريق عثمان للمصاحف .

بعد أن أتم عثمان نسخ المصاحف بالصورة السابقة ، عمل على إرسالها وإنفاذها إلى الأقطار ، وأمر أن يحرق كل ما عداها مما يخالفها ، سواء أكانت صحفا أم مصاحف .

وذلك ليقطع عرق النزاع من ناحية ، وليحمل المسلمين على الجادَّة في كتاب الله من ناحية أخرى ، فلا يأخذوا إلا بتلك المصاحف التي توافر فيها من المزايا ما لم يتوافر في غيرها .

٥ ـ مزايا المصاحف العثمانية .

١ ـ الإقتصار على ما ثبت بالتواتر ، دون ما كانت روايته آحادا .

٢ ـ إهمال ما نسخت تلاوته ولم يستقر في العرضة الأخيرة .

٣ ـ ترتيب السور والآيات على الوجه المعروف الآن . بخلاف صحف أبى بكر رضى الله عنه فقد كانت مرتبة الآيات دون السور .

٤ ـ كتابتها بطريقة كانت تجمع وجوه القراءات المختلفة والأحرف التي نزل عليها القرآن .

٥ ـ تجر يدها من كل ما ليس قرآنا كالذي كان يكتبه بعض الصحابة في مصاحفهم الخاصة شرحا لمعنى ، أو بيانا لناسخ ومنسوخ ، أو نحو ذلك .

٦ ـ موقف الصحابة من المصاحف العثمانية .

استجاب الصحابة لعثمان ، فحرقوا مصاحفهم ، واجتمعوا على المصاحف العثمانية . حتى عبد الله بن مسعود الذي نقل عنه أنَّهُ أنكر أولا مصاحف عثمان ، وأنه أبى أن يحرق مصحفه ، رجع وعاد إلى حظيرة الجماعة ، حين ظهر له مزايا المصاحف العثمانية ، واجتماع الأمة عليها ، وتوحيد الكلمة بها .

وبعدئذ طهر الجو الإسلامي من أوبئة الشقاق والنزاع ، وأصبحت مصاحف الصحابة المخالفة للمصاحف العثمانية في خر كان ، مغسولة بالماء أو محروقة بالنيران . (وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا)[1] .

ورضى الله عن عثمان ، فقد أرضى بذلك العمل الجليل ربه ، وحافظ على القرآن ، وجمع كلمة الأمة ، وأغلق باب الفتنة ، ولا يبرح المسلمون يقطفون من

---

(١) الأحزاب (٢٥) .

ثمار صنيعه هذا إلى اليوم وما بعد اليوم ، ولن يقدح في عمله هذا أنه أحرق المصاحف والصحف المخالفة للمصاحف العثمانية ، فقد علمت وجهة نظره في ذلك . على أنه لم يفعل ما فعل من هذا الأمر الجلل ، إلا بعد أن استشار الصحابة ، واكتسب موافقتهم ، بل وظفر بمعاونتهم وتأييدهم وشكرهم . روى أبو بكر الأنباري عن سويد بن غفلة قال: (سمعت على بن أبى طالب كرم الله وجهه يقول: (يا معشر الناس: اتقوا الله وإياكم والغلو في عثمان ، وقولكم: حراق مصاحف ، فوالله ما حرقها إلا عن ملإمنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) وعن عمر بن سعيد قال: قال على بن أبى طالب رضى الله عنه: (لو كنت الوالي وقت عثمان ، لفعلت بالمصاحف مثل الذي فعل عثمان) رضى الله عن الجميع وجزاهم أحسن الجزاء على هذا الصنيع .

٧ ـ عدد المصاحف العثمانية والبلاد التي أرسلت إليها .

اختلف في عدد المصاحف العثمانية فقيل إنها أربعة وهو الذي اتفق عليه أكثر العلماء . وقيل إنها خمسة ، وقيل إنها ستة ، وقيل إنها سبعة ، وقيل إنها ثمانية .

أ ـ أما كونها أربعة فقيل إن سيدنا عثمان رضى الله عنه أبقى مصحفا بالمدينة ، وأرسل مصحفا إلى الشام ، ومصحفا إلى الكوفة ومصحفا إلى البصرة .

ب ـ وأما كونها خمسة فالأربعة السابقة والخامس أرسله إلى مكة .

جـ ـ وأما كونها ستة فالخمسة المتقدم ذكرها والسادس اختلف فيه فقيل جعله خاصة لنفسه ، وقيل أرسله إلى البحرين .

د ـ وأما كونها سبعة فالستة المتقدم ذكرها والسابع أرسله إلى اليمن .

هـ ـ وأما كونها ثمانية فالسبعة المتقدم ذكرها والثامن كان لعثمان يقرأ فيه وهو الذي قتل وهو بين يديه . أ ـ هـ غنية الطالبين[1] .

(١) الفريد في فن التجويد جـ ٣ ص ٢٠ ـ ٢١ .

وكان الاعتماد في نقل القرآن ـ ولا يزال ـ على التلقى من صدور الرجال ثقة عن ثقة وإماما عن إمام إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

لذلك اختار عثمان حفاظا يثق بهم وأرسلهم إلى الأقطار الاسلامية واعتبر هذه المصاحف أصولا ثواني مبالغة في الأمر ، وتوثيقا للقرآن ولجمع كلمة المسلمين . فكان يرسل إلى كل إقليم مصحفه مع من يوافق قراءته في الأكثر الأغلب[1] . قال ابن القاصح : قال أبو على : أمر عثمان رضى الله عنه زيد بن ثابت أن يقرىء بالمدنى ، وبعث عبد الله بن السائب مع المكى ، وبعث المغيرة ابن شهاب مع الشامي ، وأبا عبد الرحمن السلمى مع الكوفى ، وعامر بن قيس مع البصرى .

وكان في تلك البلاد الجم الغفير من حفاظ القرآن الكريم من التابعين ، فقرأ كل مصر بما في مصحفه ونقلوا ما فيه عن الصحابة الذي تلقوه عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم تجرد للأخذ عن هؤ لاء رجال سهروا ليلهم في ضبطها وتعبوا نهارهم في نقلها حتى صاروا في ذلك أئمة للاقتداء وأنجما للاهتداء اجتمع أهل بلدهم على قبول قراءتهم ولم يختلف عليهم اثنان في صحة روايتهم ودرايتهم ولتصديهم للقراءة نسبت إليهم ، وكان المعول فيها عليهم ، نفعنا الله تعالى بهم آمين[2] .

٨ ـ هل رسم المصحف توقيفى ؟

للعلماء في رسم المصاحف آراء ثلاثة :

الرأي الأول : أنه توقيفى لا تجوز مخالفته . وذلك مذهب الجمهور . واستدلوا بأن النبى صلى الله عليه وسلم كان له كتاب يكتبون الوحى ، وقد كتبوا القرآن فعلا بهذا الرسم ، وأقرهم الرسول على كتابتهم ، ومضى عهد الرسول

مناهل العرفان . عبد العظيم الزرقانى جـ ١ ص ٣٩٦ .

(٢) الفريد في فن التجويد جـ ٣ ص ٢١ .

صلى الله عليه وسلم والقرآن على هذه الكتْبَةِ لم يحدث فيها تغيير ولا تبديل .

بل ورد أنه صلى الله عليه وسلم كان يضع الدستور لكتاب الوحى في رسم القرآن وكتابته . ومن ذلك قوله لمعاوية وهو من كتبة الوحى : (ألق الدواة ، وحرف القلم ، وانصب الباء وفرق السين ، ولا تُعَوِّر الميم، وحسن الله ، ومُدَّ الرحمن ، وجوِّد الرحيم ، وضع قلمك على أذنك اليسرى ، فإن أذكر لك) .

ثم جاء أبو بكر فكتب القرآن بهذا الرسم ، ثم حذا حذوه عثمان في خلافته) وأقر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عمل أبى بكر وعثمان ، وانتهى الأمر إلى التابعين وتابعي التابعين ، فلم يخالف أحد منهم في هذا الرسم ، بل بقي الرسم العثماني محترماً متبعاً في كتابة المصاحف لا يمس استقلاله ، ولا يباح حماه !

وملخص هذا الدليل أن رسم المصاحف العثمانية ظفر بأمور كل واحد منها يجعله جديرا بالتقدير ووجوب الاتباع .

تلك الأمور هي إقرار النبى صلى الله عليه وسلم عليه ، وأمره بدستوره . وإجماع الصحابة ـ وكانوا أكثر من اثني عشر ألف صحابى ـ عليه ثم إجماع الأمة عليه بعد ذلك في عهد التابعين والأئمة المجتهدين ! وممن حكى إجماع الأمة على ما كتب عثمان ، صاحب المقنع إذ يروى بإسناده إلى مصعب بن سعد قال : « أدركت الناس حين شقَّق عثمان رضى الله عنه المصاحف ، فأعجبهم ذلك ولم يعبه أحد »

وكذلك يروى صاحب العقيلة عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن عثمان أرسل إلى كل جند من أجناد المسلمين مصحفاً ، وأمرهم أن يحرقوا كل مصحف يخالف الذي أرسل إليهم .

ولم يعرف أن أحداً خالف في رسم هذه المصاحف العثمانية . وانعقاد الاجماع على تلك المصطلحات في رسم المصحف دليل على أنه لا يجوز العدول عنها إلى غيرها .

ويرحم الله الإمام الخراز إذ يقول :

« وبَعْـدَه جَرَّدَهُ الإمامُ في مُصْـحفٍ ليقتـدِى الأنام
ولا يكونُ بعـدَه اضطرابُ وكان فيما قد رأى صوابُ
فقصـةُ احتلافِهِـمْ شهيرة كقصـةِ اليمامـةِ العسيرة
فينبغـي لأجـلِ ذَا أن نقْتفِى مرسـومَ ما أصَّلَـهُ في المصحِف
ونقتـدى بِفِعْلِـهِ ومـا رأى في جَعْلِـهِ لمن يَخُـطُّ ملجأ »

٩ ـ أقوال العلماء في التزام الرسم العثماني :

روى السخاوى بسنده ، أن مالكا رحمه الله سئل ، أرأيت من استكتب مصحفاً أترى أن يكتب على ما استحدثه الناس من الهجاء اليوم ؟ فقال : لا أرى ذلك . ولكن يكتب على الكتْبَةِ الأولى .

قال السخاوى : والذي ذهب إليه مالك هو الحق .

وقال أبو عمرو الدانى : لا مخالف لمالك من علماء الأمة في ذلك .

وقال أبو عمرو الدانى أيضا : سئل مالك عن الحروف في القرآن مثل الواو والألف ، أترى أن يغير من المصحف إذا وجد فيه كذلك ؟

قـال : لا . قال أبـو عمـرو : يعنـى الألف والـواو المزيدتـين في الرسـم المعدومتين في اللفظ نحو (أولوا)

وقال الإمام أحمد بن حنبل : تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في واو أو ألف أو ياء أو غير ذلك .

وجاء في حواشي المنهج في فقه الشافعية ما نصه :

(كلمة الربا تكتب بالواو والألف كما جاء في الرسم العثماني ، ولا تكتب في

القرآن بالياء أو الألف لأن رسمه سنة متبعه) وقال البيهقى في شُعب الايمان : (من كتب مصحفاً ينبغي أن يحافظ على الهجاء الـذي كتبـوا به تلك المصـاحف ، ولا يخالفهم فيه ولا يغير مما كتبوه شيئا ؛ فإنهم كانوا أكثر علماً وأصدق قلبا ولساناً وأعظم أمانة) فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكاً عليهم) أ هـ .

الرأي الثاني :

أن رسم المصاحف اصطلاحي لا توقيفى ، وعليه فتجوز مخالفته وممن جنح إلى هذا الرأي ابن خلدون في مقدمته . وممن تحمس له القاضى أبو بكر في الانتصار إذ يقول ما نصّه . (وأما الكتابة فلم يفرض الله على الأمة فيها شيئا) إذ لم يأخذ على كُتَّاب القرآن وخطاط المصاحف رسماً بعينه دون غيره أوجبه عليهم وتـرك ما عداه) إلى آخر كلامه في ذلك .

ونوقش هذا المذهب :

أولا : بالأدلة التي ساقها جمهور العلماء لِتأييد مذهبهم وها هي بين يديك عن كَثَبٍ ، بعضها من السنة وبعضها من إجماع الصحابة والتابعين وتابعيهم .

ثانيا : أن ما ادعاه من أنه ليس في نصوص السنة ما يوجب ذلك ويرد عليه مردود بما سبق من إقرار الرسول كتاب الوحي على هذا الرسم ، ومنهم زيد بن ثابت الذي كتب المصحف لأبى بكر وكتب المصاحف لعثمان ، والحديث الآنف ، وفيه يقول الرسول لمعاوية : (ألق الدواة وحرف القلم إلخ) . فإنه حجة على أنه صلى الله عليه وسلم كان واضع دستور الرسم لهم .

ثالثا : أن قول القاضى أبى بكر : (ولذلك اختلفت خطوط المصـاحف) الخ لا يُسلَّمُ له بعد قيام الاجماع وانعقاده ومعرفة الناس بالرسم التوقيفى وهو رسم عثمان على ما قرروه هناك . ونزيدك هنا ما ذكره العلامة ابن المبارك نقـلاً عن

العارف بالله شيخه عبد العزيز الدباغ إذ يقول في كتابه الابريز ما نصه : (رسم القرآن سر من أسرار الله المُشاهَدَة وكمال الرفعة) قال ابن المبارك فقلت له : هل رسم الواو بدل الألف في نحو(الصلاة والزكاة ، والحياة ، ومشكاة) وزيادة الواو في (سأوريكم) وأولئك ، وأولاء ، وأولات) وكالياء في نحو (هديهم ، وملائه ، وبأييكم ، وبأييد) هذا كله صادر من النبى صلى الله عليه وسلم ، أو من الصحابة ؟ فقال : (هو صادر من النبى صلى الله عليه وسلم وهو الذي أمر الكتاب من الصحابة أن يكتبوه على هذه الهيئة ، فما نقصوا ولا زادوا على ما سمعوه من النبى) فقلت له : إن جماعة من العلماء ترخصوا في أمر الرسم وقالوا : إنما هو اصطلاح من الصحابة مشوا فيه على ما كانت قريش تكتب عليه في الجاهلية . حتى قال القاضي أبو بكر الباقلانى : كل من ادعى أنه يجب على الناس رسم مخصوص وجب عليه أن يقيم الحجة على دعواه، فإنه ليس في الكتاب ولا في السنة ولا في الإجماع ما يدل على ذلك .فقال:(مالك ما للصحابة ولا لغيرهم في رسم القرآن ولا شعرة واحدة ، وإنما هو توقيف من النبى ، وهو الذي أمرهم أن يكتبوه على الهيئة المعروفة بزيادة الألف ونقصانها لأسرار خص الله بها كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية .

وكما أن نظم القرآن معجز ، فرسمه أيضاً معجز ! وكيف تهتدى العقول إلى سر زيادة الألف في (مائه) دون فئة) وإلى سر زيادة الياء في بأييد وبأييكم) ؟ أم كيف تتوصل إل سر زيادة الألف في (سعوا) . بالحج ، ونقصانها من (سعو) بسبأ ، وإلى سر زيادتها في (عتوا) حيث كان ، ونقصانها من (عتو) في الفرقان ؟ وأما قول من قال : إن الصحابة اصطلحوا على أمر الرسم المذكور ، فلا يخفى ما في كلامه من البطلان ، لأن القرآن كتب في زمان النبى صلى الله عليه وسلم وبين يديه .

الرأي الثالث : يميل صاحب التبيان ومن قبله صاحب البرهان ، إلى ما

يفهم من كلام العز بن عبد السلام ، من أنه يجوز بل يجب كتابة المصحف الآن لعامة الناس على الاصطلاحات المعروفة الشائعة عندهم ، ولا تجوز كتابته لهم بالرسم العثماني الأول ، لئلا يوقع في تغير من الجهال . ولكن يجب في الوقت نفسه المحافظة على الرسم العثماني ، كأثر من الآثار النفيسة الموروثة عن سلفنا الصالح ، فلا يهمل مراعاة لجهل الجاهلين ، بل يبقى في أيدي العارفين الذين لا تخلوا منهم الأرض . وهاك عبارة التبيان في هذا المقام إذْ يقول ما نصه : (وأما كتابته ـ أي المصحف ـ على ما أحدث الناس من الهجاء ، فقد جرى عليه أهل المشرق ، بناءا على كونها أبعد من اللبس ، وتحاماه أهل المغرب بناءا على قول الإمام مالك وقد سئل : هل يكتب المصحف على ما أحدث الناس من الهجاء ، فقال : (لا : إلا على الكتبة الأولى) .

قال في البرهان : قلت : وهذا في الصدر الأول ، والعلم حَيٌّ غض . وأما الآن فقد يُخْشَى الالتباس ، ولهذا قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : (لا يجوز كتابة المصحف الآن على الرسم الأول باصطلاح الأئمة ، لئلا يوقع في تغير من الجهال) . ولكن لا ينبغي إجراء هذا على إطلاقه لئلا يؤ دى إلى دروس العلم ، وشيء قد أحكمته القدماء لا يترك مراعاة لجهل الجاهلين . (ولن تخلوَ الأرض من قائم لله بحجة) . أقول : وهذا الرأي يقوم على رعاية الاحتياط للقرآن من ناحيتين : ناحية كتابته في كل عصر بالرسم المعروف فيه ، إبعاداً للناس عن اللبس والخلط في القرآن ، وناحية إبقاء رسمه الأول المأثور ، يقرأه العارفون ومن لا يخشى عليهم الالتباس . ولا شك أن الاحتياط مطلب دينيٌّ جليل ، خصوصاً في جانب التنزيل . والذي نطمئن إليه ونؤ يده أن الرسم العثماني توقيفي لا تجوز مخالفته ، كما هو مذهب الجمهور .

١٠ ـ أين المصاحف العثمانية الآن .

ليس بين أيدينا دليل قاطع على وجود المصاحف العثمانية الآن فضلا عن تعيين أمكنتها .

وقصارى ما علمناه منها أخيرا أن ابن الجزرى رأى في زمانه مصحف أهل الشام ، ورأى في مصر مصحفا أيضا .

أما المصَاحف الأثرية التي تحتويها خزائن الكتب والآثار في مصر ويقال عنها إنها مصاحف عثمانية فإننا نشك كثيرا من صحة هذه النسبة إلى عثمان رضى الله عنه ، لأن بها زركشة ونقوشا موضوعة كعلامات للفصل بين السور ، ولبيان أعشار القرآن ، ومعلوم أن المصاحف العثمانية كانت خالية من كل هذا ، ومن النقط والشكل أيضا كما علمت .

نعم إن المصحف المحفوظ في خزائن الآثار بالمسجد الحسينى والمنسوب إلى عثمان رضى الله عنه ، مكتوب بالخط الكوفى القديم ، مع تجويف حروفه وسعة حجمه جدا ، ورسمه يوافق رسم المصحف المدني أو الشامي حيث رسم فيه كلمة (يَرْتَدِدْ) من سورة المائدة بدالين اثنين مع فك الإدغام ، وهي فيها بهذا الرسم . فأكبر الظن أن هذا المصحف منقول من المصاحف العثمانية على رسم بعضها . وكذلك المصحف المحفوظ بتلك الخزانة ويقال إن على بن أبي طالب كتبه بخطه ، يلاحظ فيه أنه مكتوب بذلك الخط الكوفى القديم . بيد أنه أصغر حجما ، وخطه أقل تجويفا من سابقه ، ورسمه يوافق غير المدني والشامي من المصاحف العثمانية ، حيث رسمت فيه الكلمة السابقة (من يرتدّ) بدال واحدة مع الإدغام وهي في غيرهما كذلك . فمن الجائز أن يكون كاتبه علياً ؛ أو يكون قد أمر بكتابته في الكوفة .

ثم إن عدم بقاء المصاحف العثمانية قاطبة لا يضرنا شيئا ما دام المعول عليه

النقل والتلقى ثقة عن ثقة ، وإماما عن إمام إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك متواتر مستفيض على أكمل وجه في القرآن حتى الآن . على أن المصاحف العثمانية نسخت على غرارها الآلاف المؤلفة في كل عصر ومصر ، مع المحافظة على الرسم العثماني .

١١ ـ الفرق بين جمع القرآن في عهوده الثلاثة .

أولا : أن القرآن كان في عهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه محفوظا في الصدور مكتوبا في الرقاع والعسب واللخاف غير مجموع ولا مرتب السور .

ثانيا : جمع القرآن في عهد أبى بكر معناه ترتيب آيات كل سورة على حدة ، وإن ظلت السور بعد ذلك مفرقة لم يرتب بعضها إثر بعض .

ثالثا : جمع عثمان للقرآن : معناه ترتيب سوره ونسخه من الصحف في مصحف واحد جامع لكل آياته وسوره على الترتيب الذي نقرأه به ونشاهده اليوم . فالفرق إذا بين الصحف والمصاحف : **أن الصحف هي ما جمع فيها أبو بكر سور القرآن بعد ترتيب آياتها من غير رعاية ترتيب السور .**

والمصحف هو ما جمعت فيه تلك الصحف بعد ترتيب سورها[1] .

ـ مصاحف أخرى اشتهرت في عصر الصحابة .

اشتهر في عهد الصحابة مصاحف أخرى غير العثمانية التي سبق الكلام عليها ، بيد أنها لم تظفر بما ظفرت به المصاحف العثمانية ، من إجماع الصحابة عليها ، ورضاهم بها ووقوفهم عنْدما تضمنته من الأوجه والقراءات ، ولم تحرز عند أهل الأقاليم والأمصار ما أحرزته المصاحف العثمانية من الثقة والقبول .

---

(١) لطائف البيان في رسم القرآن جـ ١ . ص ٧ .

ذلك أن هذه المصاحف كانت مصاحف فردية خاصة ، كتبها بعض الصحابة لنفسه ولم يقتصر في كتابتها على ما تواترت قراءته ، وثبتت في العرضة الأخيرة ، بل كتب فيها ما كانت روايته آحاداً ، وما نسخت تلاوته ، وخلط فيها بين ألفاظ القرآن ، وما كان شرحاً لها وبيانا لمغزاها .

وهذه المصاحف تختلف عن مصاحف عثمان تارة بالزيادة ، وأخرى بالنقص ومرة بالتقديم ، وأخرى بالتأخير ، وهكذا .

وعلى كل لا تصح القراءة بما تضمنته هذه المصاحف لمخالفتها ما أجمع عليه الصحابة ، وتلقته الأمة كلها بالرضا والقبول .

وهاك أنموذجا من هذه المصاحف .

(١) ـ مصحف عمر بن الخطاب :

كتب فيه في سورة الفاتحة (صراط من أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم وغير الضالين) . وفيه أول سورة آل عمران (الم الله لا إله إلا هو الحى القيام) . وفي سورة المدثر (في جنات يتساءلون يا فلان ما سلكك في سقر) .

(٢) ـ مصحف علي بن أبى طالب .

كتب فيه في سورة البقرة . (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه وآمن المؤمنون) .

(٣) مصحف عائشة أم المؤمنين .

كتب فيه في سورة البقرة . (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر) . وفيه في سورة الأحزاب (إن الله وملائكته يصلون على النبى والذين يصلون في الصفوف الأولى) .

(٤) مصحفا حفصة وأم سلمة .

كتب فيهما (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر) .

(٥) ـ مصحف عبد الله بن الزبير .

كتب فيه في سورة البقرة (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج) . وفيه في سورة المائدة (فيصبح الفساق على ما أسروا في أنفسهم نادمين) . وفي آل عمران (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون بالله على ما أصابهم) .

(٦) ـ مصحف أبى بن كعب .

كتب فيه في سورة البقرة (فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما) وفي سورة النساء (فما استمتعتم به منهن إلى أجل غير مسمى) . وفي سورة المائدة (فصيام ثلاثة أيام متتابعات) .

(٧) ـ مصحف عبد الله بن عباس .

كتب فيه في سورة البقرة (فلا جناح عليه ألا يطوف بهما) . وفيها أيضا (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج) . وفيها كذلك (وأتموا الحج والعمرة للبيت) . وفيها كذلك(فإن آمنوا بما آمنتم به فقد اهتدوا) . وفيها (وان عزموا السراح) . وفيها (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر) .

وفي آل عمران (وما يعلم تأويله إلا الله ويقول الراسخون في العلم آمنا به) . وفيها (وشاورهم في بعض الأمر) . وفيها (إنما ذ لكم الشيطان يخوفكم أولياءه) .

وفي النساء (فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى) . وفيها (فبظلم من الذين هادوا حَرَّمنَا عليهم طيبات كانت لهم) . وفي الحج (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى ولا محدث) . وفي النصر (إذا جاء فتح الله والنصر)

٨ ـ مصحف عبد الله بن مسعود .

كتب فيه في سورة البقرة (اهبطوا مصر) بدون ألف ، و (وَإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل يقولان ربنا تقبل منا) و (فلا رفوث ولا فسوق ولا جدال في الحج) و (وتزودوا وخير الزاد التقوى) . و (وأقيموا الحج والعمرة للبيت) .

وفي آل عمران (الحي القيام) و (وإن حقيقة تأويله إلا عند الله) و (وناداه الملائكة يا زكريا إن الله) و (يا مريم اقنتي لربك واركعي واسجدي في الساجدين) و (إذ قالت الملائكة إن الله ليبشرك) .

وفي النساء (إن الله لا يظلم مثقال ثَمَلَةٍ) وفي المائدة (إن تعذبهم فعبادك) وفي الأنعام (كالذي استهواه الشيطان) و (لقد تقطع ما بينكم)

وفي الأعراف (قالوا ربنا إلا تغفر لنا وترحمنا)

وفي الأنفال (ولا يحسب الذين كفروا سبقوا)

وفي التوبة (قل أذن خير ورحمة لكم)

وفي يونس (حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بكم)

وفي هود (وآتانى رحمة من عنده وعميت عليكم) و (فأسر بأهلك بقطع من الليل إلا امرأتك) وفي الرعد (وسيعلم الكافرون لمن عقبى الدار)

وفي النحل (الذين توفاهم الملائكة)

وفي الأسراء (سبحت له السموات وسبحت له الأرض)

وفي الكهف (لكن هو الله ربي)

وفي مريم (ذلك عيسى بن مريم قال الحق الذي فيه يمترون) و (تكاد السموات لتتصدع منه)

وفي طه (قد نجيتكم)

وفي الحج (أذن للذين قاتلوا بأنهم ظلموا)

وفي النور (أنزلناها وفرضناها لكم)

وفي الفرقان (وهو الذي أرسل الرياح مبشرات)

وفي الشعراء (وأتبعوهم مشرقين

وفي النحل (فيمكث غير بعيد)

وفي القصص (وعميت عليهم الأنباء)

وفي السجدة (فلا تعلم نفس ما يخفى لهم)

وفي سبأ (ليقذف بالحق وهو علام الغيوب)

وفي يس (في شغل فاكهين) و (على الأرائك متكئين) و (سلاما قولا من رب رحيم)

وفي الزخرف (ما شهد خلقهم) و (وإنه عليم للساعة)

وفي الشريعة (و إذا قيل إن وعد الله حق وإن الساعة لا ريب فيها) .

وفي الحجرات (لتعارفوا وخياركم عند الله أتقاكم)

وفي القمر (خاشعة أبصارهم)

وفي نوح (ولايغوثا ويعوقا) بالتنوين فيهما)[1]

---

(١) تاريخ المصحف الشريف الشيخ عبد الفتاح القاضي ٦٧ ـ ٧٢) .

القرآن المكّي والمدني

وضع العلماء علامات يعرف بها المكى والمدنى ، وبها يتميز كل منهما عن الآخر .

أولا : علامات القرآن المكى :

١ ـ وجود لفظ (كلا في السورة ـ فكل سورة فيها هذا اللفظ فهي مكية . وذكر هذا اللفظ في القرآن الكريم ثلاثا وثلاثين مرة . في خمس عشرة سورة . كلها في النصف الثاني .

٢ ـ وجود آية سجدة في السورة . فكل سورة فيها آية سجدة فهي مكية .

٣ ـ افتتاح السورة بحرف من حروف التهجي مثل (الم ، الر ،طسم، حم ، ق ، ن) فكل سورة افتتحت بحرف من هذه الحروف فهي مكية . إلا سورتين اثنتين : البقرة . وآل عمران فهما مدنيتان بالاجماع مع كونهما مفتتحتين بحروف التهجى .

٤ ـ ذكر قصة آدم وإبليس في السورة . إلا البقرة فهي مدنية مع ذكر هذه القصة فيها .

٥ ـ ذكر لفظ (يا بنى آدم) في السورة ، فكل سورة فيها هذا اللفظ فهي مكية .

٦ ـ اشتمال السورة على ذكر أنباء الرسل ـ وأحوال الأمم السابقة لما فيها من أبلغ المواعظ ، وأنفع العبر . فكل سورة تضمنت ما ذكر فهي مكية ـ إلا سورة

البقرة فهي ـ مع اشتمالها على ذكر قصص بعض الرسل ـ مدنية ـ وهذه العلامات الست مضطردة ، بمعنى أنه إذا تحقق أحدها في سورة كانت هذه السورة مكية قطعا .

٧ ـ اشتمال السورة على آية مصدرة بلفظ (يا أيها الناس) قال بعض العلماء : والسبب في ذلك أن الكفر كان غالبا في أهل مكة ، فخوطبوا بيا أيها الناس وإن كان غيرهم داخلا فيهم . وهذه العلامة غير مضطردة إذ قد توجد الآية المصدرة بهذا اللفظ في سورة مدنية كقوله في سورة البقرة ـ وهي مدنية اتفاقا ـ (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم) الآية وقوله في سورة النساء ـ وهي مدنية أيضا ـ (يا أيها الناس إتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة) الآية فهذه العلامة أغلبية فقط بمعنى أن الأغلب والأكثر لفظ (يا أيها الناس) يكون في السور المكية ، وقد يكون في السور المدنية أيضا ولكنه قليل .

٨ ـ قصر الآيات ، فقصر آيات السورة أمارة على كونها مكية . وهذه العلامة أغلبية أيضا إذ قد يوجد القصر في الآيات المدنية كسورة النصر .

٩ ـ عناية آى السورة بالدعوة إلى المقصد الأسمى من الدين ، وهو الايمان بالله ـ وتوحيده ـ والاعتقاد بأنه تعالى موصوف بكل كمال ، ومنزه عن كل نقص .

١٠ ـ كون السورة تتحدث عن مثالب المشركين البغيضة ، وعاداتهم المنكرة من القتل بغير حق ، ووأد البنات ، واستباحة الأعراض إلى غير ذلك من الموبقات .

١١ ـ تضمن آيات السورة حث العرب على التحلى بأصول الفضائل وأمهات المكارم .

من الصدق في الحديث ، والصبر على المكاره ، والأمانة ، والعدل ، ورعاية الجوار ، والوفاء بالعهد ، وبر الوالدين والتواضع ، ولين الجانب والعفة ،

والعلم ، والاخلاص ومحبة الغير ، وطهارة القلوب ، ونظافة الألسنة ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، إلى غير ذلك من الفضائل ـ فكل سورة تضمنت آياتها ما ذكر أو شيئا منه فهي مكية ـ وهذه العلامة والتي قبلها بحسب الغالب أيضا . إذ قد توجد آيات في سورة مدنية مشتملة على ما شرحناه في العلامات الثلاث .

ثانيا : علامات القرآن المدنى :

١ ـ اشتمال السورة على آية صدرت بلفظ (يا أيها الذين آمنوا) وهذه العلامة مطردة ، فإذا وجد هذا اللفظ في سورة ما ـ كانت هذه السورة مدنية .

٢ ـ طول أكثر سُوَرِهِ وآياته قال بعض المحققين : لأن أهل المدينة لم يكونوا يضاهئون أهل مكة في الذكاء وطول الباع في البلاغة والبيان ، فيناسب أهل المدينة الشرح والايضاح ـ ومن شواهد طول السور المدنية وطول آياتها على السور المكية وآياتها أن معظم السور الطوال مدنية ، ومعظم السور القصار مكية ، وأن سورة الأنفال وهي مدنية قد اشتملت على خمس وسبعين آية ، وأن سورة الشعراء وهي مكية قد إشتملت على سبع وعشرين آية بعد المائتين مع أن كلا منهما نصف جزء ، فطول السورة وطول آياتها دليل على أنها مدنية ـ وهذا بحسب الأكثر والغالب إذ قد توجد سورة طويلة وآياتها طوال وهي مكية كسورة الأنعام وان كان ذلك قليلا .

٣ ـ دعوة أهل الكتابين اليهود والنصارى إلى الانضواء تحت لواء الاسلام وإقامة البراهين على فساد عقيدتهم وبعدهم عن الحق والصواب ، وتحريفهم كتاب الله تعالى .

٤ ـ اشتمال السورة على الإذن بالجهاد ـ وبيان أحكامه ـ لأن الجهاد لم يشرع إلا في المدينة

٥ ـ تضمن السورة بيان قواعد التشريع التفصيلية ، والأحكام العملية في العبادات ، والمعاملات ، والفرائض ، وأحكام الحدود ، وأنواع القوانين المدنية ، والجنائية ، والحربية ، والاجتماعية ، وأحكام الأحوال الشخصية ، ونظام الأسرة ، إلى غير ذلك من دقائق التشريع .

٦ ـ اشتمال السورة على أحوال المنافقين ، وموقفهم من الدعوة المحمدية ، وتوقيف الرسول على جلية أمرهم ، وما يكنون له من حسد وعداوة ، ذلك أن المنافقين لم تنشأ جماعتهم إلا في المدينة ، وهذه العلامات الأربع مطردة . وينبغي أن يعلم أن الحكم على السورة بأنها مكية يصدق بحالين :

الأول : أن يكون جميع آياتها مكيا ، كسورة المدثر فان آياتها كلها مكية ، وليس فيها آية مدنية .

الثانية : أن يكون معظم آياتها مكيا ، ويكون بعضها مدنيا كسورة النحل فإنها كلها مكية ما عدا الآيات الثلاث في آخرها من قوله تعالى : (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) إلى آخر السورة فإنها مدنية .

وكذلك الحكم على السورة بأنها مدنية يصدق بحالين :

الأول : أن يكون جميع آياتها مدنية كسورة النور .

الثانية : أن يكون أغلب آياتها مدنية ، ويكون بعضها مكيا كسورة محمد عليه الصلاة والسلام ، فإنها كلها مدنية ، إلا قوله تعالى : (وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم) فإنها مكية ، لنزولها حين خروج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى الغار قاصدا الهجرة ـ فالحكم على السورة بكونها مكية أو مدنية تابع لجميع آياتها أو لمعظمها ، فإن كان جميع الآيات أو معظمها مكيا كانت السورة مكية ، وإن كان جميع الآيات أو معظمها

مدنيا كانت السورة مدنية[1] .

ثم اعلم أن للناس في ذلك ثلاث اصطلاحات .

إحداها : أن المكى ما نزل بمكة ، والمدنى ما نزل بالمدينة[2]

ثانيها : وهو المشهور ـ أن المكى ما نزل قبل الهجرة ، وإن كان بغير مكة والمدنى ما نزل بعد الهجرة ، وان كان بمكة .

ثالثها : أن المكى ما وقع خطابا لأهل مكة ، والمدنى ما وقع خطابا لأهل المدينة[3] .

---

(١) راجع الأتقان (١ ـ ٤٧) ط المشهد الحسيني .

(٢) قال السيوطى في الأتقان (١ ـ ٩) ويدخل في مكة ضواحيها ، كالمنزل بمنى وعرفات والحديبية وفي المدينة ضواحيها كالمنزل ببدر وأحد سلع ،

(٣) البرهان للزركش ج ١ : (١٨٧)

أوّل مَا نزَل مِنَ القرآن وآخر مَا نزَل

أولا : أول ما نزل من القرآن :

فأما أول ما نزل من القرآن ففي صحيح البخارى في حديث بدء الوحى ما يقتضى أن أول ما نزل عليه صلى الله عليه وسلم (اقرأ باسم ربك الذي خلق)[1] ثم المدثر[2] ـ وأخرجه الحاكم في مستدركه من حديث عائشة رضى الله عنها صريحا وقال : صحيح الاسناد . ولفظ مسلم : (أول ما نزل من القرآن (اقرأ باسم ربك) إلى قوله (علم الانسان ما لم يعلم) . وقد جاء ما يعارض هذا ، ففي صحيح مسلم عن جابر : (أول ما نزل من القرآن سورة المدثر) . وجمع بعضهم بينهما بأن جابرا سمع من النبى صلى الله عليه وسلم يذكر قصة بدء الوحى ، فسمع آخرها ، ولم يسمع أولها ، فتوهم أنها أول ما نزلت ، وليس كذلك ، نعم هي أول ما نزل بعد سورة (اقرأ) وفترة الوحى ، لما ثبت في الصحيحين عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحدث عن فترة الوحى ، قال في حديثه : (بينا أنا أمشى ، سمعت صوتا من السماء ، فرفعت رأسى ، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فجئثت منه فرقاً فرجعت ، فقلت زملونى ، زملونى ، فأنزل الله سبحانه وتعالى : (يا أيها المدثر ـ قم فأنذر) . فقد أخبر في هذا الحديث عن الملك الذي جاءه بحراء قبل هذه

---

(١) الفلق (١ ـ ٥)

(٢) صحيح البخارى (١ : ٦ ـ ٧) بسنده عن عائشة

(٣) صحيح مسلم (١ : ١٤٤) بسنده عن يحيى

المرة ، وأخبر في حديث عائشة أن نزول (اقرأ) كان في غار حراء ، وهو أول وحى ، ثم فتر بعد ذلك . وأخبر في حديث جابر أن الوحى تتابع بعد نزول (يا أيها المدثر) فعلم بذلك أن (اقرأ) أول ما نزل مطلقا ، وأن سورة المدثر بعده ، وكذلك قال ابن حبان في صحيحه : لا تضادَّ بين الحديثين ، بل أول ما نزل : (اقرأ باسم ربك الذي خلق) بغار حراء ، فلما رجع إلى خديجة رضى الله عنها وصبت عليه الماء البارد ، أنزل الله عليه في بيت خديجة (يا أيها المدثر) فظهر أنه لما نزل عليه (اقرأ) رجع فتدثر ، فأنزل عليه (يا أيها المدثر) . وقيل : أول ما نزل سورة الفاتحة ، روى ذلك من طريق أبى إسحاق عن أبى ميسرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ! إذا سمع الصوت إنطلق هاربا ، وذكر نزول الملك عليه وقوله قل : (الحمد لله رب العالمين) إلى آخرها . وقال القاضي أبو بكر في (الانتصار) : وهذا الخبر منقطع ، وأثبت الأقاويل (اقرأ باسم ربك) ويليه في القوة (يا أيها المدثر) وأول ما نزل من السور الفاتحة[1] .

ثانيا : آخر ما نزل على الاطلاق

اختلف العلماء في تعيين آخر ما نزل من القرآن على الاطلاق ، واستند كل منهم إلى آثار ليس فيها حديث مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم . فكان هذا من دواعى الاشتباه ، وكثرة الخلاف على أقوال شتى :

القول الأول : أن آخر ما نزل قوله تعالى في سورة البقرة (واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون)[2] أخرجه النسائى من طريق عكرمة عن ابن عباس ، كذلك أخرجه ابن أبى حاتم قال : (آخر ما نزل من القرآن كله (واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله) الآية . وعاش

---

(١) البرهان للزركشي (جـ ١ : ٢٠٦ ـ ٢٠٧)

(٢) البقرة : (٢٨١)

النبى صلى الله عليه وسلم بعد نزولها تسع ليال ثم مات لليلتين خلتا من ربيع الأول .

القول الثاني : أن آخر ما نزل هو قول الله تعالى في سورة البقرة (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين)[1]

القول الثالث : أن آخر ما نزل آية الدين في سورة البقرة أيضا وهي قوله سبحانه وتعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه) إلى قوله سبحانه (والله بكل شيء عليم)[2] وهي أطول آية في القرآن : أخرج ابن جرير عن سعيد بن المسيب : (أنه بلغه أن أحدث القرآن عهدا بالعرش آية الدين) .

أخرج أبو عبيد في الفضائل عن أبي شهاب قال : (آخر القرآن عهدا بالعرش آية الربا وآية الدين) ويمكن الجمع بين الأقوال الثلاثة بما قاله السيوطى رضى الله عنه من أن الظاهر أنها نزلت دفعة واحدة كترتيبها في المصحف لأنها في قصة واحدة ، فأخبر كل عن بعض ما نزل بأنه آخر ، وذلك صحيح . **أقول : ولكن النفس تستريح إلى أن آخر هذه الثلاثة نزولا هو قول الله تعالى : (واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون)**[3] وذلك لأمرين :

أحدهما : ما تحمل هذه الآية في طياتها من الاشارة إلى ختام الوحى والدين ، بسبب ما تحث عليه من الاستعدادات ليوم المعاد ، من غير غبن ولا ظلم وذلك كله أنسب بالختام من آيات الأحكام المذكورة في سياقها .

---

(١) البقرة : (٢٧٨)
(٢) البقرة : (٢٨٢)
(٣) البقرة : (٢٨١)

ثانيهما : التنصيص في رواية ابن أبى حاتم السابقة على أن النبى صلى الله عليه وسلم عاش بعد نزولها تسع ليال فقطولم تظفر الآيات الأخرى بنص مثله[1] وبقيت أقوال أخرى لا داعى لذكرها ، وما تقدم ففيه الكفاية .

---

(١) مع القرآن للدكتور ـ شعبان إسماعيل : (٨٦ ـ ١٨٨)

ترتيب سور القرآن وآياته

أولا : معنى السورة والآية والكلمة والحرق .

١ ـ معنى السورة : في كلام العرب : الإبانة لها من سورة أخرى وانفصالها عنها) وسميت بذلك لأنه يرتفع فيها من منزلة إلى منزلة . قال النابغة ؛

ألـم تر أن الله أعطـاك سَوْرَةً تَرى كل مُلكٍ دونهـا يتذبذب

أى منزلة شرف ارتَفَعْتَ إليها عن منزلة الملوك .

وقيل : سميت بذلك لشرفها وارتفاعها كما يقال لما ارتفع من الأرض سور . وقيل سميت بذلك لأن قارئها يشرف على ما لم يكن عنده كسور لبناء ، كله ـ أى ما تقدم من غير همز . .

وقيل : سميت بذلك لأنها قطعت من القرآن على حدة ، من قول العرب للبقية : سؤ ر ـ وجاء في آسار الناس أى بقاياهم ، فعلى هذا يكون الأصل سؤ رة بالهمز ثم خففت فأبدلت واوا لانضمام ما قبلها ـ أي لأن حركة الحرف الذي قبلها مضموم :

وقيل : سميت بذلك لتمامها وكمالها من قول العرب للناقة التامة سورة ، وجمع سورة سُوَر بفتح الواو[1]

---

(١) مع القرآن للدكتور شعبان اسماعيل (١٩٣)

٢ ـ **معنى الآية** : للآية في اللغة معنيين . .

أحدهما : معنى الجماعة يقال جاء القوم بآياتهم أى جماعتهم .

ثانيهما : العلامة : ومنه قوله تعالى : (إن آية ملكه)[1] أى علامة ملكه . فَنَقْلُ هذا اللفظ واستعماله اسما للكلمات القرآنية إما أن يكون من الأول لاشتمالها على جماعة من الحروف .

أو من الثاني لكونها أمارة على انقطاع الكلام . أو على صدق المخبر . وهذا معنى قول الشاطبي في ناظمة الزهر .

والآية من معنى الجماعة أَوْ مِنَ آل علامة مبناها على خير ما جُدر

وكلا المعنيين ثابت وكثير في الاستعمال مناسب للآية القرآنية . وأما معنى الآية في الاصطلاح .

فالخلاصة : أن من نظر إلى أن الآية لغة تطلق على الجماعة ومنه نقلت الآية القرآنية اقتصر على التعريف الأول ، وهو أنها : حروف من القرآن في جماعتها إستغناء عما قبلها وما بعدها ، ويعبر عن ذلك بأنها طائفة من القرآن ذات مبدأ ومقطع مستغنية عما قبلها وما بعدها تحقيقا أو تقديرا غير مشتملة على مثلها . ولاحظ في معناها معنى الجماعة لتناسب المعنى المنقول منه .

ومن نظر إلى أن الآية لغة تطلق على الامارة وأنها نقلت إلى الآية القرآنية من هذا المعنى لم يلاحظ معنى الجماعة ولاحظ معنى العلامة والدلالة ، وعلى ذلك عرفها بأنها :

حروف من القرآن ذات مبدأ ومقطع علم بالتوقيف من الشارع جُعِلَتْ دلالة

(١) البقرة : (٢٤٨)

وعلامة على انقطاع الكلام أو على صدق المخبر بها . أو على عجز المتحدى بها بناء على أن التحدى يقع بالآية الواحدة . ويجوز لك أن تلاحظ المعنيين إذ لا تنافى بينهما وكل آية من القرآن هي جماعة حروف مستغنية عما قبْلها وعما بعدها وقد جعلت علامة ودَلالة على انقطاع الكلام أو على صدق المخبر . . . .

تعريف الآية بما يشمل المعنيين

(هي طائفة من القرآن أو من الحروف القرآنية مستغنية عما قبلها وما بعدها تحقيقا أو تقديرا ذات مبدأ ومقطع دالة على انقطاع الكلام غير مشتملة على مثلها)[1] .

٣ ـ **معنى الكلمة** : (هي الصورة القائمة بجميع ما يختلط بها من الشبهات أى الحروف) وأطوال الكلم في كتاب الله عز وجل ما بلغ عشرة أحرف ، نحو قوله تعالى : (لَيَسْتَخْلفنَّهم)[2] وأقصرهن ما كان على حرفين نحو : ما ولا ولك ، وما أشبه ذلك .

وقد تكون الكلمة وحدها آية تامة نحو قوله تعالى : (والفجر) ، (والضحى) ، (والعصر) و(طه) و(يس) . في قول الكوفيين ، وذلك في فواتح السور فأما في أوساطها فلا ـ قال الامام الشاطبى :

وما بدؤه حرف التهجي فآية لكوف سوى ذى را وطاسين والوتر

وقال أبو عمرو الدانى : ولا أعلم كلمة هي وحدها آية إلا قوله في سورة الرحمن (مدهامتان)[3] لا غير .

---

(١) بشير اليسر : عبد الفتاح القاضى : (٤٢ ـ ٤٤) يتصرف
(٢) النور : (٥٥)
(٣) الرحمن (٦٤)

وقد أتت كلمتان متصلان وهما آيتان - وذلك في قوله تعالى : (حم عسق)[1] على قول الكوفيين لا غير - وقد تكون الكلمة في غير هذا : الآية التامة ، والكلام القائم بنفسه ، وإن كان أكثر أو أقل ، قال الله عز وجل : (.وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل بما صبروا[2] قيل ..إنما يقصدبالكلمة ها هنا قوله تبارك وتعالى . . (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض)[3] إلى آخر الآيتين وقال عز وجل (وألزمهم كلمة التقوى)[4] قال مجاهد : لا إله إلا الله - وقال النبى صلى الله عليه وسلم : (كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم)[5]

٤ - **معنى الحرف** : (هي الشبهة القائمة وحدها من الكلمة ، وقد يسمى الحرف كلمة والكلمة حرفا على ما بيناه من الاتساع والمجاز .

قال أبو عمرو : فإن قيل فكيف يسمى ما جاء من حروف الهجاء في الفواتح على حرف واحد نحو (ص) و (ق) و (ن) حرفا أو كلمة ؟ قلت : كلمة لا حرفا ، وذلك من جهة أن الحرف لا يسكت عليه . ولا ينفرد وحده في الصورة ولا ينفصل مما يختلط به - وهذه الحروف مسكوت عليها منفردة كا انفراد الكلم وانفصالها . فلذلك سميت كلاما لا حروفا .

قال أبو عمرو : وقد يكون الحرف في غير هذا : المذهب والوجه ، قال الله عز وجل : (ومن الناس من يعبد الله على حرف)[6] أى على وجه ومذهب ، ومن

---

(١) الشورة (١ - ٢)
(٢) الاعراف (١٣٧)
(٣) القصص (٥)
(٤) الفتح (٢٦)
(٥) رواه البخارى ومسلم والترمذى وأبي ماجة .
(٦) الحج . (١١) رواه البخارى ومسلم وغيرهما

ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : (أنزل القرآن على سبعةَ أحرف)[1] أى سبعة أوجه من اللغات ، والله أعلم[2] .

ثانيا ـ ترتيب السور :

اختلف العلماء في ترتيب السور ، هل هو بتوقيف من النبى صلى الله عليه وسلم أو باجتهاد من الصحابة ، بعد الاجماع على أن ترتيب الآيات توقيفى ، والقطع بذلك .

فذهب جماعة إلى أنه باجتهاد الصحابة ، منهم : مالك ، والقاضي أبو بكر في أحد قوليه وجزم به ابن فارس . ومما استدل به لذلك : اختلاف مصاحف السلف في ترتيب السور ، فمنهم من رتبها على النزول ، وهو مصحف علىّ كان أوله (اقرأ) ثم البواقى على ترتيب نزول المكىّ ، ثم المدنى ، ثم كان أول مصحف ابن مسعود (البقرة) ثم (النساء) ثم (آل عمران) على اختلاف شديد ،وكذا مصحف أُبَىٍّ بن كعب وغيره على ما هو مُبَيَّنٌ في الاتقان[3] وفي المصاحف لابن أشته بسنده عن عثمان أنه أمرهم أن يتابعوا الطول .

وذهب جماعة إلى أن هذا الترتيب بتوقيف من النبى صلى الله عليه وسلم ، منهم القاضى أبو بكر في أحد قوليه ، وخلائق ـ قال أبو بكر بن الأنبارى : أنزل الله القرآن كله إلى سماء الدنيا جملة ثم فَرَّقَهُ في بضْعٍ وعشرين سنة . فكانت السورة تنزل لأمر ينزل ، والآية جَواباً لمستخبر ، وَيُوقِفُ جبريل النبى صلى الله عليه وسلم على موضع الآية والسورة ، فاتساق السور كاتسّاق الآيات والحروف ،

---

(١) مع القرآن للدكتور شعبان : (١٩٤ ـ ١٩٥)

(٢) أنظر هذا الخلاف في المصاحف في الجامع لأحكام القرآن للقرطبى : (١ ـ ٥١) . والاتقان (١ ـ ٢١٦) وفيه أن إبن فارس يجزم بترتيب الطول والمئين والمفصل بالتوقيف . أما وضع كل مجموعة تلو الأخرى فمن فعل الصحابة .

كان عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فمن قَدَّمَ سورة أو أخرها فقد أفْسَدَ نَظْمَ القرآن[1] .

وقال الكرمانى في البرهان : ترتيب السور هكذا هو عند الله تعالى في اللوح المحفوظ ، وهو على هذا الترتيب ، وكان يُعْرضُ النبى صلى الله عليه وسلم على جبريل ما اجتمع لديه منه وعرضه صلى الله عليه وسلم في السنة التي توفى فيها مرتين ، وكذا قال الطيبى . وقال إبن الحَصَّار : ترتيب السور ، ووضع الآيات موضعها إنما كان بالوحى ، وقال البيهقى في المدخل : كان القرآن على عهد النبَّى صلى الله عليه وسلم مرتَّباً سُوَرُهُ وآياته على هذا الترتيب ، إلا الأنفال وبراءة للحديث الآتي فيها .

وقال ابن عطية إن كثيراً من السور كان قد عُلِمَ ترتيبها في حياته ، صلى الله عليه وسلم كالسبع الطوال ، والحواميم ، والمفصل وأن ما سوى ذلك يمكن أن يكون قد فوض الأمر فيه إلى الأمة بعده . وقال أبو جعفر ابن الزبير : الأثار تشهد بأكثر مما نصَّ عليه ابن عطية ، ويبقى منها القليل يمكن أن يجرى فيه الخلاف ، لقوله صلى الله عليه وسلم : (إقرأوا الزهراوين : البقرة وآل عمران) رواه مسلم .

وكحديث سعيد ابن خالد أنه صلى الله عليه وسلم صَلَّى بالسبع الطوال في ركعة ، وأنه كان يجمع المفصل في ركعة . أخرجه ابن شيبة . وأنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه قرأ (قل هو الله أحد والمعوذتين) أخرجه البخارى وفيه عن ابن مسعود أنه قال في بنى إسرائيل - يعنى سورة الاسراء والكهف ومريم وطه والأنبياء : إنهن من العتاق الأول وَهُنَّ من تلادى)[2] وقال أبو جعفر

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى (١ / ٦٠) وأسرار التكرار في القرآن : ٢٣ والاتقان : (جزء أول ٢١٧) .

(٢) المعتاق : اللاتي نزلن قديماً بمكة ، والتلاد : القديم

النحاس : المختار أن تأليف السور على هذا الترتيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم لحديث : (أعطيت مكان التوراة السبع الطوال وأعطيت مكان الانجيل المثانى وفضلت بالمفصَّل) أخرجه أحمد وغيره قال : فهذا الحديث يدل على أن تأليف القرآن مأخوذ عن النبى صلى الله عليه وسلم وأنه من هذا الوقت هكذا .

وأخرج ابن أبى شيبة عن ربيعة : أنه سئل : لم قدمت البقرة وآل عمران وقد نزل قبلهما بضع وثمانون سورة بمكة ، وإنما نزلنا بالمدينة . فقال : قدمتا ، وألف القرآن على علم ممن أَلَّفه .

وقد اجتمعوا على علمهم بذلك . فهذا مما يُنْتَهَى إليه ولا يسأل عنه[1] . فان قلت : فما عندك في ذلك ؟ قلت : الذي عندى أولاً : تحديد محل الخلاف ، وأنه خاص بترتيب السور للأقسام الأربعة ، وأما نفس الأقسام الأربعة من تقديم الطوال ، ثم المئين ، ثم المثانى ، ثم المفصل ، فهذا ينبغي أن يقطع بأنه توقيفى ، وأن يدعى فيه الاجماع ، وإن لم أر من سبقنى إلى ذلك . وإنما دعانى إلى هذا أمران : **أحدهما** : ما تقدم من الأحاديث قريباً ، وحديث ابن عباس الآتي في الأنفال .

ثانيهما : أن المصاحف التي وقع فيها الاختلاف في الترتيب اتفقت على ذلك ، فإن مصحف أبى بن كعب وابن مسعود كلاهما قدمت فيه الطوال ، ثم المثانى ، ثم المفصل ، كمصحف عثمان ، وإنما اختلفا في ترتيب سور كل قسم كما بينت في الاتقان[2] . فاذا تحرر ذلك ونظرنا إلى محل الخلاف ، **فالمختار عندى في ذلك ما قاله البيهقى ، وهو : أن ترتيب كل السور توقيفى سوى الأنفال وبراءة .**

---

(١) نقل القرطبي في تفسيره : ١ ـ ٥٢ هذا الخبر ، وعزاه إلى ابن وهب في جامعه والنص مضطرب في الأصل وقومناه من القرطبى .

(٢) الاتقان : ١/ ٢٢٢ ـ ٢٢٤ نقلاً عن ابن أشته في المصاحف م رواية أبى جعفر الكوفى وجرير عبد الحميد .

ومما يدل على ذلك ويؤ يده : توالى الحواميم ، وذوات (الر) والفصل بين المسبحات ، وتقديم (طس) على القصص ، مفصولاً بها بين النظيرتين (طسم ـ الشعراء ، وطسم القصص) في المطلع والطول ، وكذا الفصل بين الانفطار والانشقاق بالمطففين ، وهما نظيرتان في المطلع والمقصد ، وهما أطول منها ، فلولا أنه توقيفى لحكمة لتوالت ، وأخرت (طس) عن القصص وأخرت (المطففين) أو قدمت ، ولم يفصل بين (الر) و (المر) . وليس هنا شيء أعارض به سوى اختلاف مصحف أبى وابن مسعود ، ولو كان توقيفيا لم يقع فيها اختلاف ، كما لم يقع في (ترتيب) الآيات وقد مَنَّ الله علىَّ بجواب لذلك نفيس ، وهو : أن القرآن وقع فيه النسخ كثيراً للفظ ، حتى لِسُوَرٍ كاملة ، وآيات كثيرة ، فلا بدع أن يكون الترتيب العثماني هو الذي استقر في العرضة الأخيرة ، كالقراءات التي في مصحفه ، ولم يبلغ أبيا وابن مسعود ، كما لم يبلغهما نسخ ما وضعاه في مصاحفهما من القراءات التي تخالف المصحف العثماني ، ولذلك كتب أبى في مصحفه سورة الحفد، والخلع ، وهما منسوختان[1] **فالحاصل** : أن ترتيب كل المصاحف بتوقيف ، واستقر التوقيف في العرضة الأخيرة على القراءات العثمانية ، وَرَتَّبَ أولئك على ما كان عندهم ، ولم يبلغهم ما استقر ، كما كتبوا القراءات المنسوخة المثبتة في مصاحفهم بتوقيف واستقر التوقيف في العرضة الأخيرة على القراءات المنسوخة وغير المنسوخة وهؤ لاء لم يبلغهم النسخ[2] .

---

(١) الاتقان : ١ / ٢٢٣ ـ ٢٣٦ عن إبن أشته في المصاحف وهما سورتا القنوت في الوتر ، قال الحسين بن المنادي في كتابه الناسخ والمنسوخ ومما رفع رسمه من القرآن ولم يرفع من القلوب حفظه سورة القنوت في الوتر ، وتسمى سورة الخلع والحفد الاتقان ٣/ ٨٥ وهي : اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ، نثنى عليك ولا نكفرك ، ونخلع ونترك من يفجرك ، اللهم إياك نعبد ، ذلك نصلي ونسجد واليك تسعى ونحفد ، نرجوا رحمتك . ونخشى عذابك ، إن عذابك الجد بالكفارملحق .وانظر (مجمع الزوائد : ٩ / ١٢٠) .

(٢) انظر اسرار ترتيب سور القرآن للسيوطى ص (ؤ ٦٨ ـ ٧٣) .

ثالثا : ترتيب الآيات :

أما ترتيب الآيات في سورها على النحو الذي هي عليه في المصاحف فقد انعقد الاجماع على أن ذلك كان بتوقيف من النبى صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام عن رب العزة جل جلاله . **ويدل على ذلك نصوص كثيرة**

منها : ما أخرجه أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن حبان والحاكم عن ابن عباس ، قال : قلت لعثمان : ما حملكم أن عمدتهم إلى الأنفال وهي من المثانى ، وإلى براءة وهي من المئين ، فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر (بسم الله الرحمن الرحيم) ووضعتموهما في السبع الطوال ؟

فقال عثمان : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزل عليه السور ذوات العدد ، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب ، فيقول : [ضعوا هؤ لاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا) .

وكانت الأنفال من أوائل ما نزل في المدينة ، وكانت براءة من آخر القرآن نزولا ، وكانت قصتها شبيهة بقصتها ، فظننت أنها منها، فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أنها منها ، فمن أجل ذلك قرنت بينهما ، ولم أكتب بينهما سطر (بسم الله الرحمن الرحيم) ووضعتهما في السبع الطوال .

ومنها ما أخرجه أحمد باسناد حسن ، عن عثمان بن أبى العاص ، قال : كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ شخص ببصره ، ثم صوبه ثم قال : (أتانى جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة : (إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى)[1] إلى آخرها) ومنها ما أخرجه البخارى عن ابن الزبيرى قال : قلت لعثمان : (والذين يُتَوَفَّونَ منكم ويذرون

---

(١) سورة النحل : (٩٠)

أزواجا ، . . .)[1] . قد نسختها الآية الأخرى ، فَلِمَ تكتبها أو تدعها ؟ قال : يا بن أخى ، لا أغير شيئا منه من مكانه . ومنها ما رواه مسلم عن عمر ، قال : ما سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن شيء أكثر مما سألته عن الكلالة ، حتى طعن بأصبعه في صدري وقال : (تكفيك آية الصيف (التي في آخر سورة النساء)[2] فترتيب الآيات على ما هي عليه في المصحف إنما هو بتوقيف من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا مجال في ذلك للاجتهاد .

---

(١) أبحاث في قراءات القرآن الكريم : الشيخ عبد الفتاح القاضي بتصرف البقرة : (٢٣٤) .

(٢) الاتقان : (١ / ١٧٢ ـ ١٧٣) .

الحكمة في جعل القرآن سورًا

قال الإمام السيوطى رحمه الله :

قيل : الحكمة في تسوير القرآن سورا تحقيق كون السورة بمجردها معجزة وآية من آيات الله[1] .

ولتجزئة القرآن إلى سور فوائد وحكم :

منها : التيسير على الناس وتشويقهم الى مدارسة القرآن وتحفظه ، لأنه لو كان سبيكة واحدة لصعب عليهم حفظه وفهمه .

ومنها : الدلالة على موضوع الحديث ومحور الكلام ، فان في كل سورة موضوعا بارزا تتحدث عنه ، كسورة البقرة ، وصورة يوسف ، وصورة النحل ، وسورة الجن .

ومنها : الاشارة إلى أن طول السورة ليس شرطا في إعجازها ، بل هي معجزة وإن بلغت الغاية في القصر كسورة الكوثر .

قال صاحب الكشاف في تفصيل القرآن وتقطيعه سورا كثيرة ما نصه :

منها : أن الجنس إذا انطوت تحته أنواع وأصناف كان أحسن وأفخم من أن يكون باباً واحدا .

---

(١) مع القرآن . للدكتور شعبان اسماعيل (٢٠٤)

ومنها : أن القارىء إذا أتم سورة أو بابا من الكتاب ثم أخذ في آخر كان أنشطه وأبعث على التحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله ، ومثله المسافر إذا قطع ميلا أو فرسخا نفس ذلك عنه ونشط للسير ، ومن ثَمَّ جُزِّىءَ القرآن أجزاء وأخماساً .

ومنها : أن الحافظ إذا حذق السورة اعتقد أنَّه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها ، فيعظم عنده ما حفظه ، ومنه حديث أنس : (كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جَدَّ فينا) . ومِنْ ثَمَّ كانت القراءة في الصلاة بسورة أفضل .

ومنها : أن التفصيل بحسب تلاحق الأشكال والنظائر وملاءمة بعضها لبعض ، وبذلك تتلاحق المعانى والنظم ، إلى غير ذلك من الفوائد) .

أقسام سور القرآن : إلى الطول والمئين والمثانى والمفصل

قسم العلماء سور القرآن إلى أربعة أقسام ، خصوا كلا منها باسم معين ، وهي : الطوال ، والمئين ، والمثانى ، والمفصل .

فالطول سبع سور : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة والأنعام ، والأعراف ، فهذه ستة ، واختلفوا في السابعة أهى الأنفال وبراءة معاً لعدم الفصل بينهما بالبسملة أم هي سورة يونس ؟ ؟ .

والمئون : هي السور التي تزيد آياتها عن مائة أو تقاربها .

والمثانى : هي التي تلي المئين في عدد الآيات . وقال الفراء : هي السور التي آيها أقل من مائة آية لأنها تثنى (أى تكرر) أكثر مما تثنى الطوال والمئون .

والمفصل : هو أواخر القرآن ، واختلفوا في تعيين أوله على اثني عشر قولا ،

(١) مناهل العرفان . عبد العظيم الزرقاني (٣٤٤ - ٣٤٥) جـ١ .

فقيل أوله : (ق) وقيل : غير ذلك ، وصحح النووى أن أوله الحجرات . وسمى بالمفصل لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة ، وقيل لقلة المنسوخ منه ، ولهذا يسمى المحكم أيضا ، كما روى البخارى عن سعيد بن جبير قال : (إن الذي تدعون المفصل هو المحكم)[1] .

حكم الترتيب في التلاوة :

وسواء أكان ترتيب السور توقيفيا أم اجتهاديا فإنه ينبغي احترامه ، خصوصا في كتابة المصاحف ، لأنه عن إجماع الصحابة ، والاجماع حجة . ولأن خلافه يجر إلى الفتنة ، ودرء الفتنة وسَدُّ الذرائع واجب.

أما ترتيب السور في التلاوة : فليس بواجب شرعا ، إنما هو مندوب . وإليك ما قاله الإمام النووي في كتابه التبيان إذْ جاء في هذا الموضوع ما نصه : (قال العلماء : الأختيار أن يقرأ على ترتيب المصحف فيقرأ الفاتحة ، ثم البقرة ثم آل عمران ، ثم ما بعدها على الترتيب ، سواء أقرأ في الصلاة أم في غيرها ، حتى قال بعض أصحابنا : إذا قرأ في الركعة الأولى سورة (قل أعوذ برب الناس) يقرأ في الثانية بعد الفاتحة من البقرة . وقال بعض أصحابنا أيضا : ويستحب إذا قرأ سورة أن يقرأ بعدها التي تليها . ودليل هذا أن ترتيب المصحف إنما جعل هكذا لحكمة ، فينبغي أن يحافظ عليها إلا فيما ورد الشرع باستثنائه ، كصلاة الصبح يوم الجمعة ، يقرأ في الركعة الأولى سورة السجدة ، وفي الثانية (هل أتى على الانسان) . وصلاة العيد في الأولى (ق) ، وفي الثانية (اقتربت الساعة) . وركعتى الفجر في الأولى (قل يا أيها الكافرون) وفي الثانية (قل هو الله أحد) .

وركعات الوتر في الأولى (سبح اسم ربك الأعلى) وفي الثانية (قل يا أيها

---

(١) مناهل العرفان . للزرقاني (٣٤٥ . جـ١)

الكافرون) وفي الثالثة (قل هو الله أحد) والمعوذتين .

ولو خالف الموالاة فقرأ سورة لا تلي الأولى ، أو خالف الترتيب فقرأ سورة قبلها ، جاز فقد جاءت بذلك آثار كثيرة . وقد قرأ عمر بن الخطاب رضى الله عنه في الركعة الأولى من الصبح بسورة الكهف ، وفي الثانية بسورة يوسف .

وقد كره جماعة مخالفة ترتيب المصحف :

روى ابن أبى داود عن الحسن أنه كان يكره أن يقرأ القرآن إلا على تأليفه في المصحف . وباسناده الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قيل له : إن فلانا يقرأ القرآن منكوسا فقال : (ذلك منكوس القلب) .

وأما قراءة السورة من آخرها إلى أولها فممنوع منعا متآكدا ، لأنه يذهب بعض ضروب الاعجاز ، ويزيل حكمة ترتيب الآيات وقد روى ابن أبى داود عن إبراهيم النخفى الإمام التابعي الجليل وعن الإمام مالك ابن أنس أنهما كرها ذلك ، وأن مالكا كان يعيبه ويقول : هذا عظيم .

ويجوز ترك هذا الترتيب عند تعليم الصبيان ، بأن يبدأ الصبي الحفظ من أول سورة الناس ، ثم الفلـق، ثم الإخلاص وهكذا فإن هذا ليس من باب : قراءة القرآن منكوسا ، وإنما هو من قبيل تسْهيل الحفظ ، فليعلم كل قارىء للقرآن الكريم أنه إنما يتكلم مع الله عز وجل فليكن متأدبا مع الله تبارك وتعالى حتى ينال الثواب الذي أعده الله له [1] .

---

(١) أنظر القرطبى ص ٥٣ الشعب

عَدَد سُوَر القرآن وآياته وكلماته وحُرُوفه

أولا : عدد السور :

قال الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن مِهرَان المقرىء : عدد سور القرآن ١١٤ مائة وأربع عشرة سورة[١] . أولها الفاتحة وآخرها الناس . وهذا هو رأى الجمهور، والذي حكى بعض العلماء فيه الاجماع.

وقال مجاهد : وثلاث عشرة بجعل الأنفال والتوبة سورة واحدة لاشتباه الطرفين وعدم البسملة . ويرده تسمية النبى صلى الله عليه وسلم كلا منهما . وكان في مصحف ابن مسعود اثنا عشر لم يكن فيها المعوذات ، لشبهة الرُّقْية ؛ وجوابه رجوعه إليهم . وما كتب الكل .

وفي مصحف أُبَيّ ست عشرة ، وكان دعاء الاستفتاح والقنوت في آخره كالسورتين . ولا دليل فيه لموافقتهم ؛ وهو دعاء كتب بعد الختمة[٢]

ثانيا : عدد الآيات والكلمات والحروف :

١ ـ عدد الآيات وفوائد هذا العدد :

أ ـ عدد الآيات :

وأما عدد الآيات فإن صدر الأمة وأئمة السلف من العلماء كانوا ذوى عناية

(١) البرهان للزركشى جـ ١ (٢٤٩) .

(٢) مع القرآن ، للدكتور شعبان اسماعيل (٢٠٦) .

شديدة في باب القرآن وعلمه ، حتى لم يبق لفظ ومعناه إلا بحثوا عنه ، حتى الآيات والكلمات والحروف ، فإنهم حصروها وعدوها وبَيْنَ القراء في ذلك اختلاف لكنه لا حقيقي . مثال ذلك أن قراء الكوفة عدواقوله : (والقرآن ذى الذكر) آية والباقون لم يعدوها آية ، وقراء الكوفة عدوا قوله : (قال فالحق والحق أقول) آية والباقون لم يعدوها آية ، بل جعلوا آخر الآية ، الأولى (في عزة وشقاق) والثانية (لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين) وهكذا عد أهل مكة والمدينة والكوفة والشام آخر الآية (والشياطين كل بناء وغواص) . وأهل البصرة جعلوا آخرها (وآخرين مقرنين في الأصفاد) ولا شك أن ما هذا سبيله اختلاف في التسمية لا اختلاف في القرآن ومن هنا صار عند بعضهم آيات القرآن أكثر وعند بعضهم أقل ، لا أن بعضهم يزيد فيه ، وبعضهم ينقص ، فإن الزيادة والنقصان في القرآن كفر ونفاق ، على أنه غير مقدور للبشر ، قال تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)[1] فإذا علمت هذه القاعدة في الآيات فكذلك الأمر في الكلمات والحروف فإن بعض القراء عدَّ (في السماء) و (في الأرض) و (في خلق) وأمثالها كلمتين على أن (في) كلمة و(السماء) كلمة (وبعضهم عدَّها كلمة واحدة . فمن ذلك حصل الاختلاف ، لأن من عدَّ (في السماء) كلمتين كانت كلمات القرآن عنده أكثر . وعلى ضوء ذلك **فإن عدد آي القرآن عند أهل الكوفة ٦٢٣٦ ستة آلاف ومائتان وست وثلاثون آية**[2] .

ب ـ فوائد عدد الآيات :

لعدد الآيات فوائد كثيرة نذكر منها ما يلي .

أولا : يحتاج لمعرفة هذا العلم لصحة الصلاة فقد قال العلماء فيمن لم يحفظ الفاتحة يأتى بدلها بسبع آيات .

---

(١) الحجر (٩)

(٢) مع القرآن للدكتور شعبان (٢٠٧)

ثانيا : يحتاج إليه للفوز بالأجر الموعود به على قراءة عدد معين في الصلاة .

ثالثا : اعتباره سَبَبا لنيل الأجر الموعود به على تعلم عدد مخصوص من الآيات أو قراءته قبل النوم مثلا .

رابعا : الاحتياج إليه في معرفة مَا يُسَنُّ قراءته بعد الفاتحة في الصلاة فقد نصوا على أنه لا تحصل السنة إلا بقراءة ثلاث آيات قصار أو آية طويلة ، ومن يرى منه وجوب القراءة بعد الفاتحة لا يكتفى بأقل من هذا العدد .

خامسا : اعتبارها لصحة الخطبة فقد أوجبوا فيها قراءة آية تامة .

سادسا : اعتبارها في الوقف المسنون إذ الوقف على رءوس الآى سنة .

سابعا : اعتبارها في الأمالة فإن من القراء من يوجب إمالة رءوس آى سور خاصة في القرآن كرؤ وس أى سورة (النجم) و (طه) و (الشمس) إلى غير ذلك فإن ورشا وأبا عمرو يقللان رءوس أى هذه السور قولا واحدا[1]

لهذه الفوائد : اهتم السلف ببيان عدد آي القرآن وحروفه ، ويرجع هذا إلى شدة حرصهم على المحافظة على القرآن الكريم وعكوفهم على العمل به ـ قال الشاطبى في ناظمة الزهر:

وهاموا بعقد الآى في صلواتهم : لحض رسول الله في حظها المُثْرِى

المعنى : وأحَبَّ أهل القرون عد الآى في صلواتهم ، وشغفوا بعقد أصابعهم فيها لأجل ترغيب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وحضه إياهُمْ على تحصيل ثواب عدد خاص من الآيات في الصلاة .

ففي الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام كان يقرأ في صلاة الصبح بالستين إلى المائة ، وفي مسند الدارمى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من قرأ في صلاة الليل بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ، ومن قرأ بخمسين آية كتب من

(١) بشير اليسر شرح ناظمة الزهر عبد الفتاح القاضى (١٧ ـ ١٨)

الحافظين ، ومن قرأ بمائة آية كتب من القانتين ، ومن قرأ بمائتين كتب من الفائزين ، ومن قرأ بثلاثمائة كتب له قنطار من الأجر) .

فمن أجل هذا وأمثاله حرص كثير من الصحابة على عد الآى[1] .

أ ـ عدد الكلمات : ٧٧٤٣٧ سبع وسبعون ألفا وأربعمائة وسبع وثلاثون كلمة

ب ـ عدد الحروف : وأما عدد الحروف : فقد عدها بعضهم فَقَال : **٣٢٣٦٧١** ثلاثمائة وثلاث وعشرون ألفا وستمائة وواحد وسبعون حرفا[2] .

قال الامام أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران المقرىء :

عدد سور القرآن مائة وأربع عشرة سورة ـ كما ذكرنا وقال : بعث الحجاج بن يوسف إلى قراء البصرة ، فجمعهم واختار منهم الحسن البصرى ، وأبو العالية ، ونصر بن عاصم ، وعاصما الجحدرى ومالك بن دينار رحمة الله عليهم : وقال : عدوا حروف القرآن ؛ فَبَقَوْا أربعة أشهر يعدون بالشعير فأجمعوا على أن كلماته سبع وسبعون ألف كلمة وأربعمائة وتسع وثلاثون كلمة ، وأجمعوا على أن عدد حروفه ثلاثمائة ألف وثلاثة وعشرون ألفا وخمسة عشر حرفا ـ انتهى

وقال سلام أبو محمد الحمانيٌ : إن الحجاج جمع القراء والحفاظ والكتاب فقال : أخبروني عن القرآن كله ، كم من حرف هو ؟ قال : فحسبناه : فأجمعوا على أنه ثلاثمائة ألف وأربعون ألفا وسبعمائة وأربعون حرفا . قال : فأخبروني عن نصفه فإذا هو إلى الفاء من قوله تعالى في الكهف : (وليتلطف)[3] . وثلثه الأول عند رأس مائة من براءة ، والثاني على رأس

---

(١) بشير اليسر شرح ناظمة الزهر عبد الفتاح القاضى (١٤)

(٢) مع القرآن للدكتور شعبان اسماعيل (. ، ط(

(٣) سورة الكهف ٦٧ ـ

مائة أو إحدى ومائة من الشعراء . والثالث إلى آخره . وَسُبْعُهُ الأول إلى الدال . في قوله تعالى : (فمنهم من آمن به ومنهم من صَدَّ عنه)[1] . والسُّبْعُ الثاني إلى التاء من قوله تعالى من سورة الأعراف : (حبطت أعمالهم)[2] . والثالث إلى الألف الثانية من قوله في الرعد (أكلها)[3] والرابع إلى الألف في الحج من قوله (جعلنا منسكا)[4] . والخامس إلى الهاء من قوله في الأحزاب (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة)[5] والسادس إلى الواو من قوله في الفتح (الظانين بالله ظن السَّوْء)[6] . والسابع إلى آخره .

قال سلام : علمنا ذلك في أربعة أشهر .

قالوا : وكان الحجاج يقرأ في كل ليلة ربع القرآن ، فالأول إلى آخر الانعام والثاني إلى (وليتلطف) من سورة الكهف ، والثالث إلى آخر المؤمن (غافر) ، والرابع إلى آخر القرآن .

وأما التحزيب والتجزئة فقد اشتهرت الأجزاء من ثلاثين كما في الربعات بالمدارس وغيرها . وقد أخرج أحمد في مسنده وأبو داود وابن ماجه عن أوْس بن حذيفة أنه سأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته : كيف تحزبون القرآن ؟ قالوا : ثلاث ، وخمس ، وسبع ، وتسع ، واحدى عشرة ، وثلاث عشرة . وحزب المفصل من (ق) . حتى يختم . أسند الزبيدى في كتاب الطبقات عن المبرد أول من نقط المصحف أبو الأسود الدولى .

وذكر أيضاً أن ابن سيرين كان له مصحف نقطه له يحى بن يعمر . وذكر أبو

(١) النساء ٥٥
(٢) الأعراف ١٤٧
(٣) الرعد ٣٥
(٤) الحج ٣٤ .
(٥) الأحزاب ٣٦ .
(٦) الفتح ٦ .

الفرج : أن زياد بن أبي سفيان أمر أبا الأسود أن ينقط المصاحف .

وذكر الجاحظ في كتاب الأمصار : أن نصر بن عاصم أول من نقط المصاحف ، وكان يقال له : نصر الحروف . **وأما وضع الأعشار** ، فقيل : إن المأمون العباسي أمر بذلك . وقيل أن الحجاج فعل ذلك .

واعلم أن سبب اختلاف العلماء في عَدِّ الآى والكلم والحروف أن النبى صلى الله عليه وسلم ، كان يقف على رؤ وس الآى للتوقيف ، فإذا علم محلها وصل للتمام ، فيحسب السامع أنها ليست فاصلة .

وأيضاً البسملة نزلت مع السورة في بعض الأحرف السبعة ، فمن قرأ حرفا نزلت فيه عدها ، ومن قرأ بغير ذلك لم يَعُدُّهَا[1] .

أنصاف القرآن ثمانية

قال بعض القراء : إن القرآن العظيم له ثمانية أنصاف باعتبار آيه .

فنصفه بالحروف : [النون] من قوله [نُكْرَى) في سورة الكهف والكاف من نصفه الثاني . **ونصفه بالكلمات** [الدال من قوله والجلود][2] في سورة الحج ، وقوله تعالى [ولهم مقامع من حديد][3] من نصفه الثاني .

ونصفه بالآيات (ما يأفِكُونَ)[4] من سورة الشعراء ، وقوله تعالى : (فألقى السحرة)[5] . من نصفه الثاني . **ونصفه على عدد السور** ، فالأول الحديد ، والثاني من المجادلة[6] .

---

(١) البرهان للزركشي ص ١ (٢٤٩ - ٢٥٢) بتصرف .
(٢) الحج (٢٠) .
(٣) الحج (٢١)
(٤) الشعراء (٤٥)
(٥) الشعراء (٤٦)
(٦) البرهان للزركشي جـ١ (٢٥٣) .

أسماءُ السُّور توقيفيَّة

الجمهور من العلماء على أن أسماء سور القرآن توقيفية عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا مجال فيها للاجتهاد .

ومما يدل لذلك ما أخرجه ابن أبى حاتم عن عكرمة قال : كان المشركون يقولون : سورة البقرة وسورة العنكبوت ، يستهزءون بها فنزل (إنا كفيناك المستهزئين) .

وقد كره بعضهم أن يقال سورة كذا، لما رواه الطبرانى والبيهقى عن أنس مرفوعاً (لا تقولوا سورة البقرة ولا سورة آل عمران ولا سورةُ النساء . وكذا القرآن كله) . ولكن قولوا السورة التي تذكر فيها البقرة ، والتي يذكر فيها آل عمران ، وكذا القرآن كله) وإسناده ضعيف، بل ادعى ابن الجزرى أنه موضوع .

وقال البيهقىّ : إنما يُعرف ـ أي الحديث ـ موقوفاً عن ابن عمر . ثم أخرجه عنه بسندٍ صحيح ، وقد صحّ إطلاق سورة البقرة عنه صلى الله عليه وسلم . وفي الصحيح عن ابن مسعود أنه قال : هذا مقام الذي أُنزلت عليه سورةُ البقرة ، ومن ثَمَّ لَمْ يكرهه الجمهور .

قال صلى الله عليه وسلم : (مَن قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كَفَتاهُ أخرجه الشيخان . والآيتان من قوله تعالى : (آمَن الرسولُ . . .) إلى آخر السورة .

وقال صلى الله عليه وسلم : مَن حفظ عشرَ آياتٍ من أوّل سورة الكهف عُصِمَ مِنَ الدجّال) . رواه مسلم .

وهناك سُوَر سُمِّيت بأكثر من اسم مثل :

١ ـ **الفاتحة** : سُمِّيتْ بأسماء متعددة ـ بعضها توقيفي وبعضُها ليس كذلك .

فأمّا الأسماء التوقيفية فهي :

فاتحةُ الكتاب ، فاتحةُ القرآن ، أمُّ الكتاب ، أمُّ القرآن ، السّبْعُ المثانى ، القرآن العظيم ، الصلاةُ ، الكنْز ، الرُّقْية ، الشِّفاء ، الشافية .

وأما الأسماء الغير توقيفية فهي :

الواقيةُ ، الكافيةُ ، الأساسُ ، النّورُ ، سورةُ الشُّكر ، سورةُ الحمد الأُلى ، سورةُ الحمد القُصوَى ، سورةُ الدُّعاءِ ، سورةُ السُّؤ الِ ، سورةُ تعليم المسألةِ ، سورةُ المناجاةِ ، سورة التفويض .

٢ ـ **البقرة** : تُسمى أيضاً سنام القرآن ، والزهْراء ، وفسطاط القرآن لعظمها وبهائها .

٣ ـ **آل عِمْران** : تُسمى الزهراء ، ويُقال اسمها في التوراةِ طِيبة . حكاهُ النقّاشُ .

٤ ـ **المائدة** : تُسمى أيضاً العُقود ، المنقذة . قال السيوطى في التّحبير : وقد يُوضَع اسم واحدٌ لجملةٍ من السُّوَر كالزهراوَيْن للبقرةِ وآلِ عمران ، والسبْع الطِّوال للبقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونُس كما رُوِى عن سعيد ابن جُبير ومجُاهد ، والمفصَّل ، والأصحّ أنّهُ مِنَ الحُجُراتِ إلى آخر القرآن ، وسُمِّى بذلك لكثْرةَ الفصل بين سوره بالبسملة ، والمعوِّذات للإخلاص والفلق والنّاس . أ . هـ .[1] .

---

(١) الاتقان (١ / ١٥٠) ، تاريخ المصحف الشريف للشيخ عبد الفتاح القاضى (٣٣* ـ ١٣٧)

مِن أسرار فواتح السُّوَر

لقد تكلم العلماء في شأن هذه الفواتح الكريمة ، وما هو المراد منها : فقيل : إنها من العلوم المستورة . والأسرار المحجوبة ، روى عن الصديق أنه قال : (في كل كتاب سر ، وسر القرآن أوائل السور) . وعن على رضى الله عنه (إن لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي) وعن ابن عباس أنه قال : (عجزت العلماء عن إدراكها) . وسئل الشعبى عنها فقال : (سر الله عز وجل فلا تطلبوه) .

وقيل : إنها من أسماء الله تعالى .

وقيل : كل حرف منها إشارة إلى اسم من أسماء الله تعالى أو صفة من صفاته تعالى .

وقيل : إنها صفات الأفعال الألف آلاؤه . واللام لطفه ، والميم مجده ، وملكه قاله محمد بن كعب القرظى .

وقيل إنها من قبيل الحساب ، وقيل : الألف من الله واللام من جبريل والميم من محمد عليهما الصلاة والسلام .

وقيل : هي أقسام من الله تعالى بهذه الحروف المعجمة . لشرفها من حيث أنها أصول اللغات ومبادىء كتبه المنزلة ، ومبادىء أسمائه الكريمة ، وقيل إشارة إلى انتهاء كلام وابتداء كلام آخر وقيل ، وقيل .

ولكن الذي عليه التعويل : إما كونها أسماء للسور المصدرة بها ، وعليه إجماع الأكثر ، وإليه ذهب الخليل وسيبويه ، قالوا سميت بها إيذانا بأنها كلمات عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الألفاظ ، فيكون فيها إيماء إلى الاعجاز والتحدى على سبيل الايقاظ فلولا أنه وحى من الله عز وجل لما عجزوا عن معارضته .

ويقرب منه ما قاله الكلبى والسدى وقتادة من أنها أسماء للقرآن والتسمية بثلاثة أسماء فصاعدا إنما تستنكر في لغة العرب إذا ركبت وجعلت اسما واحدا ، كما في حَضرَ موْتَ ، فأما إذا كانت منثورة فلا استنكار فيها ، والمسمى هو المجموعة لا الفاتحة فقط ، حتى يلزم اتحاد الاسم والمسمى، غاية الأمر ،دخول الإسم في المسمى ، ولا محذور فيه ، ولا محذور في عكسه حسبما تحققته آنفا ، وإنما كتب في المصاحف صور المسميات دون صور الأسماء لأنه أدل على كيفية التلفظ بها ، وهي أن يكون على نهج التهجى دون التركيب ولأن فيه سلامة من التطويل لا سيما في الفواتح الخماسية على أن خط المصحف مما لا يناقش فيه بمخالفة القياس . وأما كونها مسرودة على نمط التقدير ، وإليه جنح أهل التحقيق . قال : إنما وردت هكذا ليكون إيقاظا لمن تحدى بالقرآن ، وتنبيها لهم على أنه منتظم من عين ما ينظمون منه كلامهم ، فلولا أنه خارج عن طريق البشر ، نازل من عند خالق القوى والقدر لما تضاءلت قوتهم ، ولا تساقطت قدرتهم ، وهم فرسان حلبة الحوار ، وأمراء الكلام في نادى الفخار ، دون الاتيان بما يدانيه ، فضلا عن المعارضة بما يساويه ، مع تظاهرهم في المضادة والمضارة ، وتهالكهم على المعَازة والمعارة ، أو ليكون مطلع ما يتلى عليهم مستقلا بضرب من الغرابة أنموذجا ، لما في الباقي من فنون الاعجاز ، فإن النطق بأنفس الحروف من تضاعيف الكلام ، وإن كان على طرف إلتحام ، يتناوله الخواص والعوام من الأَعْرَابِ والأَعْجَامِ ، لكن التلفظ بأسمائها إنما يتأتى ممن درس وخط . وأما من لم يحم حول ذلك قط ، فأعز

من بيض الأنوق . وأبعد من مناط العيون ، لا سيما إذا كان على نمط عجيب ، وأسلوب غريب ، منبىء عن سرٍ سرِّى ، مبنى على نهج عبقرى ، بحيث يحار في فهمه أرباب العقول ، ويعجز عن إدراكه ألباب الفحول . كيف لا وقد وردت تلك الفواتح في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم ، مشتملة على نصفها تقريبا ، بحيث ينطوى أنصاف أصنافها تحقيقا أو تقريبا ، كما يتضح عند الفحص والتنقير، حسبما فصله بعض أفاضل التفسير فسبحان من دقت حكمته من أن تطالعها الأنظار ، وجلَّت قدرته عن أن تنالها أيدى الأفكار ، وإيراد بعضها فرادى وبعضها ثنائية إلى الخماسية جرى على عادة الافتتان ، مع مراعاة أبنية الكلم وتفريقها على السور ، دون إيراد كلها مرة لذلك ولما في التكرار والاعادة من زيادة إفادة ، وتخصيص كل منها بسورتها مما لا سبيل إلى المطالبة بوجهه ، وعدٍّ بعضها آية دون بعض مبنى على التوقيف البحت[1] .

ترتيب نزول السور المدنية والمكية ،

أولا : السور المكية :

اتفقوا على أن ما نزل من السور المكية سورة :

١ - العلــق
٢ - ثم : القلم
٣ - ثم : سورة المزمل .
٤ - ثم : سورة المدثر
٥ - ثم : سورة تبت
٦ - ثم : التكوير
٧ - ثم : الأعلى
٨ - ثم : الليل
٩ - ثم : والفجر .
١٠ - ثم : والضحى .
١١ - ثم : الشرح .
١٢ - ثم : والعصر .
١٣ - ثم : والعاديات .
١٤ - ثم : الكوثر .

١٥ ـ ثم : التكاثـر .
١٦ ـ ثم : الماعـون
١٧ ـ ثم : الكافرون .
١٨ ـ ثم : الفيل
١٩ ـ ثم : الفلق .
٢٠ ـ ثم : الناس .
٢١ ـ ثم : الاخـلاص
٢٢ ـ ثم : والنجم .
٢٣ ـ ثم : عَبَسَ .
٢٤ ـ ثم : القدر .
٢٥ ـ ثم : الشـمس
٢٦ ـ ثم : البروج .
٢٧ ـ ثم : والتين .
٢٨ ـ ثم : قريش .
٢٩ ـ ثم : القارعة .
٣٠ ـ ثم : القيامـة
٣١ ـ ثم : الهمـزة
٣٢ ـ ثم : والمرسلات .
٣٣ ـ ثم : ق
٣٤ ـ ثم : البلـد
٣٥ ـ ثم : الطارق
٣٦ ـ ثم القمر
٣٧ ـ ثم : ص .
٣٨ ـ ثم : الأعراف .
٣٩ ـ ثم : الجن
٤٠ ـ ثم : يس .
٤١ ـ ثم : الفرقان .
٤٢ ـ ثم : فاطـر
٤٣ ـ ثم : مريم.
٤٤ ـ ثم : طه .
٤٥ ـ ثم : الواقعة .
٤٦ ـ ثم : الشعراء .
٤٧ ـ ثم : النمل .
٤٨ ـ ثم : القصص
٤٩ ـ ثم : الاسراء .
٥٠ ـ ثم : يونس .
٥١ ـ ثم : هود .
٥٢ ـ ثم : يوسف
٥٣ ـ ثم : الحجر
٥٤ ـ ثم : الأنعام .
٥٥ ـ ثم : الصافات .
٥٦ ـ ثم : لقمان .
٥٧ ـ ثم : سبأ .
٥٨ ـ ثم : الزمر .
٥٩ ـ ثم : المؤمن .
٦٠ ـ ثم : فُصِّلَتْ
٦١ ـ ثم : الشورى

٦٢ ـ ثم : الزخرف .
٦٣ ـ ثم : الدخان .
٦٤ ـ ثم : الجاثية .
٦٥ ـ ثم : الأحقاف .
٦٦ ـ ثم : الذاريات .
٦٧ ـ ثم : الغاشية .
٦٨ ـ ثم : الكهف .
٦٩ ـ ثم : النحل .
٧٠ ـ ثم : سورة نوح .
٧١ ـ ثم : سورة ابراهيم .
٧٢ ـ ثم : سورة الأنبياء .
٧٣ ـ ثم : المؤمنـــون
٧٤ ـ ثم : السجدة .
٧٥ ـ ثم : الطور .
٧٦ ـ ثم : الملك .
٧٧ ـ ثم : الحاقة .
٧٨ ـ ثم : المعـــارج
٧٩ ـ ثم : النبـــأ
٨٠ ـ ثم : النازعات .
٨١ ـ ثم : الانفطـــار
٨٢ ـ ثم : الانشقـــاق
٨٣ ـ ثم : الروم .
٨٤ ـ ثم : العنكبوت .
٨٥ ـ ثم : المطففين .

فهذه خمس وثمانون سورة نزلت بمكة مرتبة على هذا النحو .

ثانيا : السور المدنية :

١ ـ سورة البقرة .
٢ ـ ثم : سورة الأنفال .
٣ ـ ثم : سورة آل عمران .
٤ ـ ثم : سورة الأحزاب .
٥ ـ ثم : سورة الممتحنة .
٦ ـ ثم : النساء .
٧ ـ ثم : الزلزلـــة
٨ ـ ثم : الحديد .
٩ ـ ثم : سورة محمد صلى الله عليه وسلم .
١٠ ـ ثم : الرعد .
١١ ـ ثم : الرحمن .
١٢ ـ ثم : الانســـان
١٣ ـ ثم : الطلاق .
١٤ ـ ثم : البينـــة

١٥ ـ ثم : الحشر .
١٦ ـ ثم : النصر
١٧ ـ ثم : النور.
١٨ ـ ثم : الحج .
١٩ ـ ثم : المنافقون .
٢٠ ـ ثم : المجادلة .
٢١ ـ ثم : الحجرات .
٢٢ ـ ثم : التحريم .
٢٣ ـ ثم : الجمعة .
٢٤ ـ ثم : التغابن .
٢٥ ـ ثم : الصف .
٢٦ ـ ثم : الفتح .
٢٧ ـ ثم : التوبة .
٢٨ ـ ثم : المائدة .

وعلى هذا تكون (الفاتحة) هي السورة الوحيدة المختلف فيها ، فقيل : إنها نزلت مرة بمكة ومرة بالمدينة على أن هناك من يعد سورا غيرها مختلفا فيها ، وهي مسألة تتوقف على النقل الصحيح[1] .

---

(١) مع القرآن للدكتور شعبان إسماعيل (٢٠٧ ـ ٢١٠)

نزول القرآن على سبعة أحرف والحكمة في ذلك

من الخصائص الكبرى للقرآن الكريم ، أن الله عز وجل أنزله على سبعة أحرف ، وهذه خاصية انفرد بها القرآن الكريم عن سائر الكتب السماوية .

ولا بد لنا في هذا المقام من إيراد النصوص الواردة في هذا المعنى ثم بيان المراد من هذه الأحرف .

أولا : الأحاديث الواردة في هذا المعنى :

١ ـ روى البخارى ومسلم في صحيحهما عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أقرأنى جبريل على حرف فراجعته ، فلم أَزَلْ أستزيده[1] ويزيدنى حتى انتهى إلى سبعة أحرف » زاد مسلم : « قال ابن شهاب : بلغنى أن تلك السبعة في الأمر الذي يكون واحدا يختلف في الحلال والحرام » .

٢ ـ روى البخارى ومسلم أيضا (واللفظ للبخارى) أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : (سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرؤها على حروف كثيرة لم يقرئنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فَكِدتُّ أساوره[2] في

---

(١) قوله : (فلم أزل أستزيده » الخ معناه لم أزل أطلب من جبريل أن يطلب من الله عز وجل الزيادة عن الحرف تخفيفا على الأمة ورحمة بها ، وتوسعة عليها ويسأل جبريل ربه سبحانه وتعالى فيزيده حتى انتهى إلى سبعة أحرف .

(٢) أساوره : معناه : أقاتله . أو آخذ برأسه .

الصلاة ، فانتظرته حتى سلم، ثم لَبَبْتُهُ[1] فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ فقال: أقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلت له: كذبت ، فوالله إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأنى هذه السورة التي سمعتك تقرؤها: فانطلقت أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله إنى سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، أرسله يا عمر: إقرأ يا هشام. فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرؤها. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، هكذا أنزلت، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إقرأ يا عمر، فقرأت القراءة التي أقرأنى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك أنزلت «إن هذا القرآن أُنزلَ على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه».

٣ ـ روى مسلم بسنده عن أبيّ بن كعب أن النبى صلى الله عليه وسلم كان عند أضاةِ بنى غِفارٍ قال : « فأتاه جبريل عليه السلام فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف . فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته ، وإن أمتي لا تُطيق ذلك . ثم أتاه الثانية فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين فقال : أسأل الله معافاته ومغفرتَه ؛ وإن أمتى لا تطيق ذلك . ثم جاءه الثالثة فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف ، فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته ، وإن أمتى لا تطيق ذلك ثم جاءه الرابعة فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف . فأيُّما حرف . قرءوا عليه فقد أصابوا » أ ـ هـ .

٤ ـ وأخرج ابن جرير الطبرى عن أبى هريرة أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقرء واولا حرج ولكن لا تختموا ذكر رحمة بعذاب ولا ذكر عذاب برحمة).

---

(١) معناه : جمعت عليه رداءه عند لبته لئلا يفلت منى .

ويبدواأن حديث نزول القرآن على سبعة أحرف مروى عن جمع كبير من الصحابة يتعذر إحصاؤه ، ففي مسند الحافظ أبى يعلى أن عثمان رضى الله عنه قال يوما وهو على المنبر : (أذكر الله رجلاً سمع النبى صلى الله عليه وسلم قال : (إن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف) لما قامَ . فقاموا حتى لم يحصوا فشهدوا بذلك ، فقال عثمان رضى الله عنه . (وأنا أشهد معهم)[1] .

ثانيا : شواهد بارزة في هذه الأحاديث الواردة :

إن الناظر إلى هذه الأحاديث الشريفة وما ماثلها ، يستطيع أن يقيم منها شواهد بارزة ، تكون منارات هدى ، ومصادر إشعاع ونور ترشد إلى ما عسى أن يكون هو الحق والصواب في بيان معنى الأحرف السبعة ، كما يستطيع أن يأخذ منها موازين ومقاييس يُحاكم إليها كل ما شجر من هذا الخلاف البعيد في هذا الموضوع الدقيق .

« **الشاهد الأول** » أن الحكمة في نزول القرآن على الأحرف السبعة هو التيسير على الأمة الاسلامية كلها خصوصا الأمة العربية التي شوفهت بالقرآن ، فانها كانت قبائل كثيرة ، وكان بينها اختلاف في اللهجات ونبرات الأصوات ، وطرق الأداء وشهرة بعض الألفاظ في بعض المدلولات على رغم أنها كانت تجمعها العروبة ، ويوحد بينها اللسان العربي العام . فلو أخذت كلها بقراءة القرآن على حرف واحد ، لشق ذلك عليها كما يشق على القاهرى أن يتكلم بلهجة الأسيوطى مثلا ، وان جمع بينهما اللسان المصرى العام وألفت بيننا الوطنية المصرية في القطر الواحد . وهذا الشاهد نجده ماثلا بوضوح بين الأحاديث السالفة في قوله صلى الله عليه وسلم في كل مرة من مرات الاستزادة

---

(١) مباحث في علوم القرآن ـ (١٠٢) الدكتور صبحى صالح .

(فرددت إليه أن هون على أمتى) وقوله صلى الله عليه وسلم : (أسأل الله معافاته ومغفرته ، وإن أمتى لا تطيق ذلك) ومن أنه صلى الله عليه وسلم لقى جبريل فقال: (يا جبريل إني أرسلت إلى أمة أمية فيهم الرجل والمرأة، والغلام والجارية، والشيخ الفاني الذي لم يقرأ كتابا قط) . . . الخ قال المحقق ابن الجزري: (وأما سبب وروده على سبعة أحرف فللتخفيف على هذه الأمة، وإرادة اليسر بها، والتهوين عليها شرفا لها، وتوسعة ورحمة وخصوصية لفضلها، وإجابة لقصد نبيها أفضل الخلق وحبيب الحق، حيث أتاه جبريل فقال: (إن الله يأمرك أن تقرأ امتك على حرف، فقال صلى الله عليه وسلم: أسأل الله معافاته ومعونته فان أمتى لا تطيق ذلك، ولم يزل يُرَدِّدُ المسألة حتى بلغ سبعة أحرف) ثم قال: (وكما ثبت أن القرآن نزل من سبعة أبواب على سبعة أحرف، وأن الكتاب قبله كان ينزل من باب واحد على حرف واحد، وذلك أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يبعثون إلى قومهم الخاصين، والنبى صلى الله عليه وسلم بعث إلى جميع الخلق أحمرهم وأسودهم، عربيهم وعجميهم، وكان العرب الذي نزل القرآن بلغتهم. لغاتهم مختلفة وألسنتهم شتى ، ويعسر على أحدهم الانتقال من لغة إلى غيرها، أو من حرف إلى آخر. بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك ولو بالتعليم والعلاج، لا سيما الشيخ والمرأة، ومن لم يقرأ كتابا كما أشار إليه صلى الله عليه وسلم، فَلَوْ كلفوا العدول عن لغتهم، والانتقال عن ألسنتهم، لكان من التكليف بما لا يستطاع، وما عسى أن يتكلف المتكلف وتأبى الطباع) أ ـ هـ .

فوائد أخرى لاختلاف القراءة وتعدد الحروف :

١ ـ **جمع الأمة الاسلامية** الجديدة على لسان واحد يوحد بينها وهو لسان قريش الذي نزل به القرآن الكريم ، والذي انتظم كثيرا من مختارات ألسنة القبائل العربية

التي كانت تختلف إلى مكة من موسم الحج وأسواق العرب المشهورة . فكان القرشيون يستملحون ما شاءوا ويصطفون ما راق لهم من ألفاظ الوفود العربية القادمة إليهم من كل صوب وحدب ثم يصقلونه ويهذبونه ويدخلونه في دائرة لغتهم المرنة ، التي أذعن جميع العرب لها بالزعامة ، وعقدوا لها راية الامامة .

وعلى هذه السياسية الرشيدة نزل القرآن على سبعة أحرف يصطفى ما شاء من لغات القبائل العربية ، على نمط سياسة القرشيين بل أوفق .

ومن هنا صح أن يقال : إنه نزل بلغة قريش ، لأن لغات العرب جمعاء تمثلت في لسان القرشيين بهذا المعنى . وكانت هذه حكمة إلهية سامية ، فإن وحدة اللسان العامِ مِنْ أهم العوامل في وحدة الأمة خصوصا أولَ عهد بالتوثب والنهوض .

٢ ـ **بيان حكم من الأحكام** ، كقوله سبحانه (وان كا رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس)[١] قرأ سعد بن أبى وقاص (وله أخ أو أخت من أم) بزيادة لفظ (من أم)[٢] فتبين بها أن المراد بالأخوة في هذا الحكم الإخوة للأم دون الأشقاء ومن كانوا لأب وهذا أمر مجمع عليه .

٣ ـ **ومنها الجمع بين حكمين مختلفين بمجموع القراءتين** ، كقوله تعالى : (فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقر بوهن حتى يطهرن)[٣] قرىء بالتشديد والتخفيف في حرف الطاء من كلمة (يطْهرن) ولا ريب أن صيغة التشديد تفيد وجوب المبالغة في طهر النساء من الحيض لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى . أما قراءة التخفيف فلا تفيد هذه المبالغة . ومجموع القراءتين يفيد أمرين :

---

(١) النساء (١١)

(٢) وهي من القراءات الشاذة

(٣) البقرة (٢٢٢)

أحدهما : أن الحائض لا يقر بها زوجها حتى يحصل أصل الطهر . وذلك بانقطاع الحيض .

وثانيهما : أنها لا يقربها زوجها أيضا إلا إن بالغت في الطهر وذلك بالاغتسال ، فلا بد من الطهرين كليهما في جواز قربان النساء . وهو مذهب الشافعي ومن وافقه أيضا .

٤ ـ **ومنها الدلالة على حكمين شرعيين ولكن في حالين مختلفين** : كقوله تعالى في بيان الوضوء : (فاغسلوا وجوهكم وأيْديكُم إلى المرافق ، وامسحوا برؤسكم وأرجلكم إلى الكعبين)[1] قرىء بنصب لفظ (وأرجلكم) وبجرها ، فالنصب يفيد طلب غسلها لأن العطف حينئذ يكون على لفظ (وجوهكم) المنصوب ، وهو مغسول . والجر يفيد طلب مسحها لأن العطف حينئذ يكون على لفظ (برؤسكم) المجرور وهو ممسوح . وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن المسح يكون للابس الخف وأن الغسل يجب عن من لم يلبس الخف .

٥ ـ **ومنها تجلية عقيدة ضل فيها بعض الناس** : نحو قوله تعالى في وصف الجنة وأهلها : (وإذا رأيت ثَمَّ رأيت نعيما وملكا كبيرا)[2] جاءت القراءة بضم الميم وسكون اللام في لفظ (وملكا كبيرا) وجاءت قراءة أخرى بفتح الميم وكسر اللام في هذا اللفظ نفسه فرفعت هذه القراءة الثانية نقاب الخفاء عن وجه الحق في عقيدة رؤية المؤمنين لله تعالى في الآخرة ، لأنه سبحانه هو الملك وحده في تلك الدار (لمن الملك اليوم ، لله الواحد القهار)[3] . أضف إلى ذلك ما في تنوع القراءات من البراهين الساطعة ، والأدلة القاطعة على أن القرآن كلام الله ،وعلى صدق من جاء به وهو رسول الله صلى الله عليه

---

(١) المائدة (٦)

(٢) الانسان (٢٠) وهي قراءة شاذة

(٣) غافر (١٦)

وسلم ، فإن هذه الاختلافات في القراءة على كثرتها لا تؤدي إلى تناقض في المقروء وتضاد ، ولا إلى تهافت وتخاذل ، بل القرآن كله على تَنوع قراءاته يصدق بعض بعضا ، ويبين بعضه بعضا ويشهد بعضه لبعض ، على نمط واحد في علو الأسلوب والتعبير ، وهدف واحد من سمو الهداية ، والتعليم . وذلك ـ من غير شك ـ يفيد تعدد الاعجاز بتعدد القراءات والحروف . ومعنى هذا أن القرآن يعجز إذا قرىء بهذه القراءة الأولى ، ويعجز أيضا إذا قرىء بهذه القراءة الثانية ، ويعجز أيضا إذا قرىء بهذه القراءة الثالثة وهلم جرا . ومن هنا تتعدد المعجزات بتعدد تلك الوجوه والحروف . ولا ريب أن ذلك أدل على صدق محمد صلى الله عليه وسلم ، لأنه أعظم في اشتمال القرآن على مناح جمَّة في الاعجاز وفي البيان ، على كل حرف ووجه ، وبكل لهجة ولسان (ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيا من حى عن بيئة ، وإن الله لسميع عليم)[1]

« **الشاهد الثاني** » أن مرات استزادة الرسول للتيسير على أمته ، كانت ستا غير الحرف الذي أقرأه أمين الوحى عليه أول مرة فتلك سبعة كاملة بمنطوقها ومفهومها . تأمل حديث ابن عباس وقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيه : (أقرأني جبريل على حرف فراجعته ، فلم أزل أستزيده ويزيدنى حتى بلغ سبعة أحرف ، وكذلك جاء في حديث لأبى بكر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (فنظرت إلى ميكائيل فسكت فَعَلِمْتُ أنه قد انتهت العدة) ، يضاف إلى ذلك المراجعات الثابتة في الأحاديث الأخرى ، وإن كانت لم تبلغ ستا صراحة ، غير أن الحديث جاء بلفظ السبعة ، فيعلم من مجموع تلك الروايات ، أن المراد بلفظ سبعة حقيقة العدد المعروف في الآحاد بين الستة والثمانية .

---

(١) الأنفال (٤٢) .

« **الشاهد الثالث** » أن من قرأ حرفا من هذه الحروف فقد أصاب شاكلة الصواب أيًا كان ذلك الحرف ، كما يدل عليه فيما مضى قوله صلى الله عليه وسلم : (فأيما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا) وقوله صلى الله عليه وسلم لكل من المختلفين في القراءة : (أصبت) وقوله صلى الله عليه وسلم لهما في رواية ابن مسعود : (كلاكما محسن) وقوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عمرو بن العاص : (فأى ذلك قرأتم أصبتم) وعدم موافقته صلى الله عليه وسلم لعمر ، وأبّى ، وابن مسعود ، وعمرو بن العاص ، على معارضة مخالفيهم بالطرق الآنفة في الأحاديث السالفة ، ودفعه في صدر أبى حين استصعب عليه أن يقر هذا الاختلاف في القراءة . ولا ريب أن ذلك كله فيه معنى النهى البالغ عن منع أي أحد من القراءة بأى حرف من الأحرف السبعة النازلة .

« **الشاهد الرابع** » أن القراءات كلها على اختلافها كلام الله ، لا مدخل لبشر فيها . بل كلها نازلة من عنده تعالى ، مأخوذ بالتلقى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . يدل على ذلك أن الأحاديث الماضية تفيد أن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ كانوا يرجعون فيما يقرءون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يأخذون عنه ، ويتلقون منه كل حرف يقرءون عليه . أنظر قوله صلى الله عليه وسلم في قراءة كل من المختلفين : (هكذا أنزلت) وقول المخالف لصاحبه (أقرنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم) . ثم أضف إلى ذلك أنه لو صح لأحد أن يغير ما شاء من القرآن بمرادفه أو غير مرادفه ، لبطلت قرآنية القرآن وأنه كلام الله ، ولذهب الأعجاز ولما تحقق قوله سبحانه وتعالى : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون[1] . ثم إن التبديل والتغيير مردود من أساسه بقوله سبحانه في سورة يونس : (قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله ، قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسى ، إن أتبع إلا ما يوحى إلىَّ إنى أخاف إن عصيت ربى

(١) الحجر (٩) .

عذاب يوم عظيم ـ قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون)[1] فإذا كان أفضل الخلق محمد صلى الله عليه وسلم قد تحرج من تبديل القرآن بهذا الأسلوب ، فكيف بسوغ لأحد مهما كان أمره أن يبدل فيه ويغير بمرادف أو غير مرادف ؟ (سبحانك هذا بهتان عظيم)[2] .

« **الشاهد الخامس** » أنه لا يجوز منع أحد من القراءة بأى حرف من تلك الأحرف السبعة النازلة . يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : (فلا تماروا فيه ، فإن المراء فيه كفر) . ولا ريب أن ذلك كله فيه معنى النهى البالغ عن منع أى أحد من القراءة بأى حرف من الأحرف السبعة النازلة والتي ثبت تواترها في العرضة الأخيرة ، وصحت القراءة بها .

« **الشاهد السادس** » أن الصحابة رضوان الله عليهم كانو متحمسين في الدفاع عن القرآن ، مستبسلين في المحافظة على التنزيل ، متيقظين لكل مَنْ يُحْدِثُ فيه حدثا ولو كان عن طريق الأداء ، واختلاف اللهجات ، مبالغين في هذه اليقظة حتى ليأخذون بالظِّنة ، وينافحون عن القرآن بكل عناية وهمه .

وحسبك استلالا على ذلك ما فعل عمر بصاحبه هشام بن حكيم ، على حين أن هشاماً كان في واقع الأمر على صواب فيما يقرأ ، وأنه قال لعمر تسويغا لقراءته : أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن عمر لم يقنع ، بل لببه وساقه إلى المحاكمة ، ولم يتركه حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لهشام بأنه أصاب .

« **الشاهد السابع** » أنه لا يجوز أن نجعل اختلاف القراءات معركة جدال ونزاع وشقاق ، ولا مثار تردد وتشكيك وتكذيب ، ولا سلاح عصبية وتنطع وجمود .

---

(٢) ـ النور (١٦) .

على حين أن نزول القرآن على سبعة أحرف إنما كانت حكمته من الله التيسير والتخفيف والرحمة والتهوين على الأمة ، فما يكون لنا أن نجعل من هذا اليسر عسرا ، ومن هذه الرحمة نِقْمة ! .

يرشد إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فيما سبق (فلا تماروا فيه فإن المراء فيه كفر) . وكذلك تغيرُ وجهه الشريف عند اختلافهم مع قوله صلى الله عليه وسلم : (إنما أهلك من قبلكم الاختلاف) وضربه في صدر أبيّ بن كعب حين جال بخاطره حديث السوء في هذا الموضوع الجليل .

« **الشاهد الثامن** » أن المراد بالأحرف السبعة من الأحاديث السابقة وجوه في الألفاظ وحدها لا محالة . بدليل أن الخلاف الذي صوَّرته لنا الروايات المذكورة كان دائرا حول قراءة الألفاظ لا تفسير المعاني ، مثل قول عمر : (إذا هو يقرؤ ها على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم) ثم حكم الرسول أن يقرأ كل منهما ، وقولهٔ صلى الله عليه وسلم :(هكذا أنزلت) .

وقوله : (أيَّ ذلك قرأتم فقد أصبتم) ونحو ذلك . ولا ريب أن القراءة أداء الألفاظ ، لا شرح المعاني .

ثالثا : معنى نزول القرآن على سبعة أحرف .

يحسن بنا بعد ما قدمناه أن نبين معنى الجملة الشريفة : (إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف) .

أما لفظ القرآن فقد أشبعناه كلاما .

وأما الإنزال فقد استوفيناه تحقيقا .

وأما السبعة فقد علمت في الشاهد الثاني من الشواهد الماضية أن المراد بها حقيقتها وهي العدد المعروف في الآحاد بين الستة والثمانية .

وأما الأحرف : فجمع حرف ، والحرف يطلق على معان كثيرة ، أتى عليها صاحب القاموس إذْ يقول ما نصه : (الحرف من كل شيء طرفه ، وشفيره ، وحده ، ومن الجبل أعلاه المحدَّدُ ، وواحد حروف التهجي ، والناقة الضامرة أو المهزولة أو العظيمة ، ومسيل الماء ، وآرام ، سودٌ ببلاد سليم ، . وعند النحاة ما جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل قال تعالى : (ومن الناس من يعبد الله على حرف)[1] أي وجه واحد ، وهو أن يعبده على السراء لا على الضراء ، أو على شك ، أو على غير طمأنينة من أمره ، أي لا يدخل في الدين متمكناً .(ونزل القرآن على سبعة أحرف سبع لغات من لغات العرب . وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه وإن جاء على سبعة أو عشرة أو أكثر . ولكن معناه أن هذه اللغات السبع متفرقة في القرآن) ، أ هـ بتصرف قليل . وهذه الإطلاقات الكثيرة ، تدل على أن لفظ الحرف من قبيل المشترك اللفظي ، والمشترك اللفظي يراد به أحد معانيه التي تعينها القرائن وتناسب المقام .

وأنسب المعاني بالمقام هنا في إطلاقات لفظ الحرف أنه الوجه بالمعنى الذي سنقصه عليك ، لا بالمعنى الذي ذهب إليه صاحب القاموس وغيره من أنه اللغة أو غيرها . فسيأتيك تفنيد هذه الآراء بعد . ثم إن كلمة (على) في قوله صلى الله عليه وسلم : (أنزل القرآن على سبعة أحرف) تشير إلى أن المسألة على هذا الشرط من التوسعة والتيسير ، أي أنزل القرآن موسعا فيه على القارىء أن يقرأه على سبعة أوجه ، يقرأ بأي حرف أراد منها على البدل من صاحبه ، كأنه قال : أنزل على هذا الشرط وعلى هذه التوسعة .

وليس المراد أن كل كلمة من القرآن تقرأ على سبعة أوجه ، إذاً لقال صلى الله عليه وسلم (إن هذا القرآن أنزل سبعةَ أحرف)بحذف لفظ (على). بل المراد كما علمت من أن هذا القرآن أنزل على هذا الشرط وهذه التوسعة ، بحيث لا تتجاوز

(١) الحج (١١) .

وجوه الاختلاف سبعة أوجه ، مهما كثر ذلك التعدد والتنوع في أداء اللفظ الواحد ، ومهما تعددت القراءات وطرقها في الكلمة الواحدة .

فكلمة (مالك يوم الدين) التي ورد أنها تقرأ بطرق تبلغ السبعة أو العشرة ، وكلمة (وعبد الطاغوت) التي ورد أنها تقرأ باثنتين وعشرين قراءة ، وكلمة (أُفٍّ) التي أوصل الرماني لغاتها إلى سبع وثلاثين لغة ، كل أولئك وأشباه أولئك ، لا يخرج التغاير فيه على كثرته عن وجوه سبعة .

رابعا : الوجوه السبعة في المذهب المختار

بقي علينا أن نتساءل : ما هي تلك الوجوه السبعة التي لا تخرج القراءات عنها مهما كثرت وتنوعت في الكلمة الواحدة ؟ . هنا يحتدم الجدال والخلاف ، ويكثر القيل والقال . والذي نختاره ـ بنور الله وتوفيقه ـ من بين تلك المذاهب والآراء هو ما ذهب إليه الأمام أبو الفضل الرازي في اللوائح إذ يقول :

الكلام لا يخرج عن سبعة أوجه في الاختلاف .

الأول : اختلاف الأسماء من إفراد ، وتثنية ، وجمع ، وتذكير ، وتأنيث .

الثاني : اختلاف تصريف الأفعال من ماض ، ومضارع وأمر .

الثالث : اختلاف وجوه الاعراب .

الرابع : الاختلاف بالنقص والزيادة .

الخامس : الاختلاف بالتقديم والتأخير

السادس : الاختلاف بالابدال .

السابع : اختلاف اللغات (يريد اللهجات) كالفتح والأمالة ، والترقيق ، والتفخيم ، والاظهار والادغام ، ونحو ذلك أ هـ ،

غير أن النقل كما ترى لم يشفع بتمثيل فيما عثرنا . ويمكن التمثيل للوجه الأول منه وهو اختلاف الأسماء بقوله سبحانه : (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون)[1] قرىء هكذا : (لأماناتهم) جمعا وقرىء . (لأمانتهم) بالافراد . ويمكن التمثيل للوجه الثاني وهو اختلاف تصريف الأفعال بقوله سبحانه : (فقالوا رَبَّنَا بَاعِدْ بين أسفارنا)[2] قرىء هكذا بنصب لفظ (رَبَّنَا) على أنه منادى وبلفظ (بَاعِدْ) فعل دعاء . وقرىء هكذا : (رَبُّنَا بَعَّدَ) برفع (ربُّ) على أنه مبتدأ وبلفظ بَعَّد فعلا ماضيا مضعف العين جملته خبر . ويمكن التمثيل للوجه الثالث ، وهو اختلاف وجوه الأعراب ، بقوله سبحانه : (ولا يضارَّ كاتب ولا شهيد[3] قرىء بفتح الراء وضمها ، فبالفتح على أن لا ناهية ، فالفعل مجزوم بعدها ، والفتحة الملحوظة في الراء هي فتحة إدغام المثلين . أما الضم فعلى أن (لا) نافية ، فالفعل مرفوع بعدها . ومثل هذا المثال ، قوله سبحانه : (ذو العرش المجيد) قرىء برفع لفظ (المجيد) وجره . فالرفع على أنه نعت لكلمة (ذو) والجر على أنه نعت لكلمة (العرش) فلا فرق في هذا الوجه بين أن يكون اختلاف وجوه الاعراب في اسم أو فعل كما رأيت .

ويمكن التمثيل للوجه الرابع : وهو الاختلاف بالنقص والزيادة . بقوله سبحانه : (وما خلق الذكر والأنثى)[4] قرىء بهذا اللفظ ، وقرىء أيضا (والذكرَ والأنثى) بنقص كلمة (وما خلق) .

ويمكن التمثيل للوجه الخامس ـ وهو الاختلاف بالتقديم والتأخير ـ بقوله سبحانه : (فَيَقْتُلُونَ ويُقْتَلُونَ)[5] وقرىء (فَيُقْتَلُونَ ويَقْتُلُونَ) .

ويمكن التمثيل للوجه السادس ـ وهو الاختلاف بالابدال ـ بقوله سبحانه :

(١) المؤمنون (٨)
(٢) سبأ (١٩)
(٣) البقرة (٢٨٢)
(٤) الليل (٣)
(٥) التوبة (١١١)

(وانظر إلى العظام كيف ننشزها)[1] بالزاى وقرىء (ننشرها) بالراء ، وكذلك قوله سبحانه (وطلح مَنْضُودٍ) [2] بالحاء ، وقرىء (وطلع) بالعين . فلا فرق في هذا الوجه أيضا بين الاسم والفعل .

ويمكن التمثيل للوجه السابع ـ وهو اختلاف اللهجات ـ بقوله سبحانه (وهل أتاك حديث موسى)[3] تقرأ بالفتح والامالة في (أتاك) ولفظ (موسى) فلا فرق في هذا الوجه أيضا بين الاسم والفعل . والحرف مثلهما نحو (بلى قادرين [4] قرىء بالفتح والإمالة في لفظ (بلى) .

خامساً : لماذا اخترنا هذا المذهب ؟

وإنما إخترنا هذا المذهب لثلاثة أمور :

أحدها : أنه هو الذي تؤ يده الأدلة من الأحاديث الماضية وما شابهها

ثانيها : أنه هو الراجح من تلك الموازين التي أقمناها شواهد بارزة من تلك الأحاديث الواردة . أما المذاهب الأخرى فإن التوفيق أخطأها في رعاية تلك الأدلة أو بعضها .

ثالثها : أن هذا المذهب يعتمد على الاستقرار التام لاختلاف القراءات وما ترجع إليه من الوجوه السبعة ، بخلاف غيره فإن استقراءه ناقص أو في حكم الناقص .

فكلمة (أف) التي أوصلها الرمانى إلى سبع وثلاثين لغة يمكن رد لغاتها جميعا إلى هذه الوجوه السبعة ولا تخرج عنها .

---

(١) البقرة (٢٥٩)
(٢) الواقعة (٢٩)
(٣) طه (٩)
(٤) القيامة (٤)

وكذلك الاختلاف في اللهجات وهو اختلاف شكلي - يرد إليها ولا تخرج عنها بخلاف الآراء الأخرى ، فإنه يتعذر أو يتعثر الرجوع بالقراءات كلها إليها . وليس من صواب الرأى أن يحصر النبى صلى الله عليه وسلم الأحرف التي نزل عليها القرآن في سبعة ثم نترك نحن طرقا من القراءات المروية عنه دون أن نردها إلى السبعة ، لأن ذلك يلزمه أحد خطرين : فإما أن تكون تلك الطرق المقروء بها غير نازلة ، وإمَّا أن يكون هناك حرف نازل وراء السبعة الأحرف التي نزل عليها القرآن ، ويكون الحصر في كلام الرسول صلى الله عليه وسلم غير صحيح . وكلا هذين خطر عظيم وإثم كبير[1] .

سادسا : بقاء الأحرف السبعة في المصاحف .

هل الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم لها وجود في المصاحف العثمانية ؟

ذهب جماعة من الفقهاء والقراء والمتكلمين إلى أن هذه الأحرف موجودة في المصاحف العثمانية . واحتجوا بأنه لا يجوز للأمة أن تهمل نقل شيء منها ، وأن الصحابة أجمعوا على نقل المصاحف العثمانية من الصحف التي كتبها أبو بكر ، وأجمعوا على ترك ما سوى ذلك .

ومعنى هذا أن الصحف التي كانت عند أبى بكر جمعت الأحرف السبعة ، ونقلت منها المصاحف العثمانية بالأحرف السبعة كذلك .

وذهب جماهير العلماء من السلف والخلف إلى أن المصاحف العثمانية مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة فقط ، جامعة للعرضة الأخيرة التي عرضها النبى صلى الله عليه وسلم على جبريل متضمنة لها .

وذهب ابن جرير الطبرى ومن لف لفه إلى أن المصاحف العثمانية لم تشتمل

---

(١) مناهل العرفان جـ / عبد العظيم الزرقانى (١٣٠- ١٥٠) . بتصرف .

إلا على حرف واحد من الأحرف السبعة ، وسيأتي بيان هذا المذهب وما ورد عليه من تهوين . والتحقيق أن القول باشتمال المصاحف العثمانية على الأحرف السبعة كلها أو بعضها ، يتوقف على أمرين :

أحدهما : تحديد المراد من الأحرف السبعة .

ثانيهما : الرجوع إلى ما هو مكتوب ومماثل بتلك المصاحف في الواقع ونفس الأمر .

ولقد أسلفنا لك ما اخترناه في تحديد المراد من الأحرف السبعة ، وأنها الأوجه التي يرجع إليها كل إختلاف في القراءات ، سواء منها ما كان صحيحا وشاذا ومنكرا أو أنها تنحصر في سبعة على ما ذكره الرازى الذي حالفه التوفيق في الدقة والاستقراء التام . ونحن إذا رجعنا بهذه الأوجه السبعة إلى المصاحف العثمانية وما هو مخطوط بها في الواقع ونفس الأمر ، نخرج بهذه الحقيقة التي لا تقبل النقص ، ونصل إلى فصل الخطاب في هذا الباب ، **وهو أن المصاحف العثمانية قد اشتملت على الأحرف السبعة كلها** ، ولكن على معنى أن كل واحد من هذه المصاحف اشتمل على ما يوافق رسمه من هذه الأحرف كلاً أو بعضا ، بحيث لم تخل المصاحف في مجموعها عن حرف منها رأسها[1] .

---

(١) مناهل العرفان ص١ / عبد العظيم الزرقانى (١٦١ - ١٦٢) بتصرف .

قراءات الأئمة السبعة
وصلتها بالأحرف السبعة

يظن بعض الناس أن المراد بالأحرف السبعة الواردة في الحديث هي قراءات الأئمة السبعة فقراءة نافع حرف من الأحرف السبعة وقراءة ابن كثير حرف آخر منها وهكذا باقي قراءات القراء السبعة . كل قراءة منها حرف من الأحرف السبعة وهذا الرأي باطل .

والصواب : أن قراءات الأئمة السبعة بل العشر التي يقرأ الناس بها اليوم جزء من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن وورد فيها حديث (أنزل القرآن على سبعة أحرف) وهي موافقة لآخر عرضة عرض فيها جبريل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكلها ثابتة بطريق التواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أخرج ابن أشته في المصاحف وابن شيبة في الفضائل عن إبن سيرين قال : القراءة التي عرضت على النبي صلى الله عليه وسلم في العام الذي قبض فيه هي القراءة التي يقرؤ ها الناس اليوم .

وهذه القراءات العشر موافقة لخط المصاحف العثمانية التي وجهها عثمان إلى الأمصار . وأجمع الصحابة عليها وعلى طرح كل ما خالفها . فلا تخرج قراءة من القراءات العشر عن جميع المصاحف المذكورة فلو خالفت قراءة منها مصحفا من هذه المصاحف وافقت غيره . فالمعتبر عدم مخالفتها جميع المصاحف ، وأما باقي

الأحرف السبعة فنسخ في العرضة الأخيرة ولذلك لم يكتب في المصاحف العثمانية إلا ما استقر في هذه العرضة وثبتت قرآنيته بالتواتر ولم ينسخ منه شيء . وترك منها جميع ما نسخ[1] .

كيف نسبت القراءات إلى هؤلاء الأئمة ؟

تلقى الصحابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم بقراءاته ورواياته ، فلم يضيعوا منه جملة ، ولم يغفلوا منه كلمة ، ولم يهملوا منه حرفا ، بل ولا حركة ، أو سكون أو قراءة ، أو رواية . ونقله عن الصحابة التابعون على هذا الوجه من الإحكام والتحرير ، والإتقان والتجويد .

ثم إن جماعة من التابعين وأتباع التابعين كرسوا حياتهم ، وقصروا جهودهم على قراءة القرآن وإقرائه ، وتعليمه وتلقينه ، وعنوا العناية كل العناية بضبط ألفاظه ، وتجويد كلماته ، وتحرير قراءاته ، وتحقيق رواياته ، وكان ذلك شغلهم الشاغل ، وغرضهم الهادف ، حتى صاروا في ذلك أئمة يقتدى بهم ، ويرحل إليهم ، ويؤخذ عنهم ، **ولتصديهم لذلك نسبت القراءة إليهم فقيل** : قراءة فلان كذا ، وقراءة فلان كذا .

فنسبة القراءة إليهم نسبة ملازمة ودوام ، لا نسبة اختراع وابتداع . ومن هؤلاء الذين انقطعوا للتعليم والتلقين : القراء العشرة وهم : نافع وأبو جعفر المدنيان ـ وأبو عمرو ويعقوب البصريان ـ وابن كثير المكى ـ وابن عامر الدمشقى ـ وعاصم وحمزة والكسائى الكوفيون ـ وخلف البغدادى .

وقد أجمع المسلمون على تواتر قراءات هؤلاء الأئمة الأعلام فقد نقلتها عنهم الأمم المتعاقبة ، والأجيال المتلاحقة ، أمة بعدأمة ، وجيلا إثر جيل إلى أن وصلت

---

(١) أبحاث في قراءات القرآن الكريم : الشيخ عبد الفتاح القاضي بتصرف

إلينا ، ولن تزال الأمم تتعاهدها وترويها وتنقلها لمن بعدها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وكل ذلك مصداق لقوله تعالى : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)[1] .

---

(١) تاريخ القراء العشرة للشيخ عبد الفتاح القاضي

أقسام القراءات

من حيث التواتر والصحة والشذوذ

أولا : التواتر .

قال الإمام ابن الجزرى .

كل قراءة وافقت العربية مطلقا ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو تقديرا وتواترَ نقلَ هذه القراءة المتواترة المقطوع بها وهذا هو المراد بقوله :

فكل ما وافق وجه نحو وكان للرسم احتمالا يحوى
وصح إسنادا هو القرآن فهذه الثلاثة الأركان

ومعنى العربية مطلقا : أى ولو بوجه من الإعراب نحو قراءة حمزة (والأرحام) بالجر . **ومعنى أحد المصاحف العثمانية** واحد من المصاحف التي وجهها عثمان رضى الله عنه إلى البلاد كقراءة ابن كثير في سورة التوبة (جنات تجرى من تحتها الأنهار) بزيادة (من) فإنها لا توجد إلا في مصحف مكة . **وتقديرا** : ما يحتمله رسم المصحف كقراءة من قرأ (مالك يوم الدين) بالألف فإنها كتبت بغير ألف في جميع المصاحف فاحتملت الكتابة أن تكون مالك . **ونعنى بالتواتر** ما رواه جماعة عن جماعة والخلف عن السلف إلى أن وصلت إلى زماننا هذا .

ثانيا : القراءة الصحيحة . وهي قسمان :

القسم الأول : ما صح سنده بنقل العدل الضابط عن الضابط ووافق العربية والرسم وهذا على ضربين :

أ ـ **ضرب استفاض نقله وتلقاه الأئمة بالقبول** كما انفرد به بعض الرواة وبعض الكتب المعتبرة أو كمراتب القراءة في المد ونحو ذلك فهذا صحيح مقطوع به أنه منزل على النبى صلى الله عليه وسلم من الأحرف السبعة وهذا الضرب يلحق بالقراءة المتواترة وإن لم يبلغ مبلغها .

ب ـ **وضرب لم تتلقه الأمة بالقبول ولم يستفض** فالذي يظهر من كلام كثير من العلماء جواز القراءة به والصلاة به .

والذي نص أبو عمرو بن الصلاح وغيره أن ما وراء العشرة ممنوع من القراءة به منع تحريم لا منع كراهة .

وقال شيخنا قاضى القضاة أبو نصر عبد الوهاب السبكى في كتابه جمع الجوامع في الأصول ولا تجوز القراءة بالشاذة .

والصحيح أن ما وراء العشرة فهو شاذ وفاقا للبغوى والشيخ الإمام .

القسم الثاني : ما وافق العربية وصح سنده وخالف الرسم كما ورد في صحيح من زيادة ونقص وإبدال كلمة بأخرى ونحو ذلك مما جاء عن أبى الدرداء وعمر وابن مسعود وغيرهم فهذه القراءة تسمى اليوم شاذة لكونها شذت عن رسم المصحف المجمع عليه وإن كان إسنادها صحيحا فلا تجوز القراءة بها لا في الصلاة ولا في غيرها . قال الإمام أبو عمر بن عبد البر في كتابه التمهيد وقد قال مالك : إن من قرأ في صلاته بقراءة ابن مسعود أو غيره من الصحابة مما يخالف المصحف لم يصل وراءه ، وعلماء المسلمين مجمعون على ذلك إلا قوما شذوا لا يعرج إليهم .

قلت : قال أصحابنا الشافعية وغيرهم لو قرأ بالشاذ في الصلاة بطلت صلاته

إن كان عالما وإن كان جاهلا لم تبطل صلاته ولم تحسب تلك القراءة واتفق علماء بغداد على تأديب الإمام ابن شنبوذ واستتابته على قراءته وإقرائه بالشاذ .

وأما ما وافق المعنى والرسم أو أحدهما من غير نقل فلا تسمى شاذة بل مكذوبة يكفر متعمدها .

قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح المجتهد : يشترط أن يكون المقروء به قد تواتر نقله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرآنا واستفاض نقله كذلك وتلقته الأمة بالقبول كهذه القراءات السبع لأن المعتبر في ذلك اليقين والقطع على ما تقرر وتمهد في الأصول فما لم يوجد فيه ذلك كما عدا السبع أو كما عدا العشر ممنوع من القراءة به منع تحريم لا منع كراهة في الصلاة وخارج الصلاة وممنوع منه من عرف المصادر والمعانى ، ومن لم يعرف ذلك وجب على من قدر على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أن يقوم بواجب ذلك . وإنما نقلها من نقلها من العلماء لفوائد تتعلق بعلم العربية لا للقراءة بها هذا طريق من استقام سبيله ثم قال :

والقراءة الشاذة ما نقل قرآنا من غير تواتر واستفاضة متلقاة من الأمة كما اشتمل عليه المحتسب لا بن جنى وغيره .

وأما القراءة بالمعنى من غير أن ينقل قرآنا فليس ذلك من القراءات الشاذة أصلا والمجترىء على ذلك مجترىء على عظيم وضال ضلالا بعيدا فيعزر ويمنع بالحبس ونحوه ولا يخلى ذا ضلالة ولا يحل للمتمكن من ذلك إمهاله ويجب منع القارىء بالشاذ وتأثيمه بعد تعريفه وإن لم يمتنع فعليه التعزير بشرطه .

وقال الشيخ الإمام شيخ المالكية أبو عمرو بن الحاجب لا يجوز أن يقرأ بالقراءة الشاذة في صلاة ولا غيرها عالما كان بالعربية أو جاهلا وإذا قرأ بها قارىء فإن كان جاهلا بالتحريم عرف به وأمر بتركها وإن كان عالما أدب بشرطه وإن أصر على ذلك أدب على إصراره وحبس إلى أن يرتدع عن ذلك ، وأما تبديل آتنا بأعطنا

وسولت بزينت ونحوه فليس هذا من الشواذ وهو أشد تحريما والتأديب عليه أبلغ والمنع منه أوجب أ هـ فثبت من ذلك أن القراءة الشاذة ولو كانت صحيحة في نفس الأمر فإنها مما كان أذن في قراءته ولم يتحقق إنزاله ، وإن كان الناس مخيرين فيها في الصدر الأول ثم أجمعت الأمة على تركها للمصلحة وليس في ذلك خطر ولا إشكال لأن الأمة معصومة من أن تجتمع على خطأ[1] . وقال الإمام السيوطى :

أتقن الإمام ابن الجزرى هذا الفصل جدا ، وقد تحرر لي منه أن القراءات أنواع :

الأول : المتواتر وهو ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب ، عن مثلهم إلى منتهاه ، وغالب القراءات كذلك .

الثاني : المشهور ، وهو ما صح سنده ولم يبلغ درجة التواتر ، ووافق العربية والرسم ، واشتهر عند القراء فلم يعدُّه من الغلط ولا من الشذوذ ، ويقرأ به على ما ذكر ابن الجزرى ، ومثاله ما اختلفت الطرق في نقله ، من السبعة ، فرواه بعض الرواة عنهم دون بعض ، وأمثلة ذلك كثيرة في فرش الحروف من كتب القراءات ، ومن أشهر ما صنف في ذلك التيسير للدانى ، وقصيدة الشاطبى ، والنشر في القراءات العشر ، وتقريب النشر كلاهما لابن الجزرى .

الثالث : الآحاد ، وهو ما صح سنده وخالف الرسم أو العربية أو لم يشتهر الاشتهار المذكور ، ولا يقرأ به ، وقد عقد الترمذى في جامعه ، والحاكم في مستدركه لذلك بابا أخرجا فيه شيئا كثيرا صحيح الاسناد ، ومن ذلك ما أخرجه الحاكم من طريق عاصم الجحدري عن أبى بكرة أن النبى صلى الله عليه وسلم : قرأ : (متكئين على زخارف خضر وعباقرى حسان)[2] . وأخرج من حديث أبى

(١) مع القرآن للدكتور شعبان اسماعيل (٣٩١ - ٤٠٠) بتصرف

(٢) الرحمن (٧٦) وانظر تفسير القرطبى (١٧ - ١٩) وه يقراءة شاذة .

هريرة أنه صلى الله عليه وسلم : قرأ : (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرات أعين)[1] ، وأخرج عن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم قرأ (لقد جاءكم رسول من أنفسكم)[2] بفتح الفاء .

الرابع : الشاذ ، وهوما لم يصح سنده ، وفيه كتب مؤلفة ، من ذلك قراءة (مَلَكَ يومَ الدين) بصيغة الماضي ونصب يوم .

الخامس : الموضوع كقراءات الخزّاعى .

وظهر لي سادس يشبهه من أنواع الحديث المدرج ، وهو ما يزيد في القراءات على وجه التفسير ، كقراءة سعد بن أبى وقاص - (وله أخ أو أخت من أم)[3] أخرجها سعيد بن منصور . وقراءة ابن عباس (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج)[4] . وقراءة ابن الزبير : (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون بالله على ما أصابهم)[5] قال عمر : فما أدرى أكانت قراءته أم تفسير؟ أخرجه سعيد بن منصور ، وأخرجه الأنبارى ، وجزم بأنه تفسير .

وأخرج عن الحسن أنه كان يقرأ : (وإن منكم إلا واردها ، (الورود الدخول) . قال ابن الأنبارى : قوله (الورود الدخول) تفسير من الحسن لمعنى الورود وغلط فيه بعض الرواه فألحقه بالقرآن قال ابن الجزرى في آخر كلامه : وربما كانوا يدخلون التفسير في القراءة إيضاحا وبيانا ، لأنهم محققون لما تلقوه عن النبى صلى الله عليه وسلم قرآنا آمنون من الالتباس ، وربما كان بعضهم يكتبه

---

(١) السجدة (١٧)
(٢) التوبة (١٢٨)
(٣) النساء (١٢)
(٤) البقرة (١٩٨)
(٥) آل عمران (١٠٤)

معه . وأما من يقول : إن بعض الصحابة كان يجيز القراءة بالمعنى فقد كذب[1] .

حكم القراءة بالشاذ

أجمع العلماء على أنه لا يجوز قراءة القرآن بما هو شاذ من القراءات لا في الصلاة ولا خارجها ، ولم يُجَوِّزْ ذلك إلا بعض العلماء في غير الصلاة قياسا على رواية الحديث بالمعنى ، وكلامهم هنا في غاية الضعف : فإنه قياس مع الفارق ، وإلا فكيف يقاس القرآن الكريم بالحديث الذي ليس له هذه الخاصية[2]

حكم العمل بالقراءة الشاذة

أما حكم العمل بالقراءة الشاذة واستنباط الأحكام الشرعية منها :

فالجمهور من العلماء على جواز ذلك ، تنزيلا لها منزلة خبر الآحاد ، وقد احتج العلماء بها في أحكام كثيرة كما في قطع يمين السارق مستدلين بقراءة ابن مسعود (والسارق والسارقة فاقطعوا أيمانهما[3] .

كما احتج الحنفية على وجوب التتابع في صوم كفارة اليمين بقراءة ابن مسعود أيضا . (فصيام ثلاثة أيام متتابعات)[4] .

وخالف في هذا الاستدلال جمهور الشافعية وغيرهم لثبوت نسخ هذه القراءة عندهم[5] . وذهب الإمام الشافعي في بعض النقول عنه وتبعه أبو نصر القشيرى ، وابن الحاجب مستدلين على ذلك بأن القراءة الشاذة لم تثبت قرآنيتها وأجاب

---

(١) الاتقان ج أ (٢١٥ - ٢١٦)، مع القرآن للدكتور شعبان إسماعيل (٤٠٠ - ٤٠٢)

(٢) جمع الجوامع حاشية البنانى جـ١ (٢٣١)

(٣) المائدة (٣٨)

(٤) لمائدة (٨٩)

(٥) راجع جمع الجوامع بحاشية البنانى ص١ (٢٣٢) الاتفان ص١ (٢٢٧)

الجمهور عن ذلك بأنه لا يلزم من انتفاء قرآنيتها انتفاء عموم كونها أخبارا ، أى أنها تأخذ حكم العمل بخبر الواحد ، وخبر الواحد يعمل به[1] . وقال أبو عبيد في فضائل القرآن :

المقصد من القراءة الشاذة تفسير القراءة المشهورة وتبيين معانيها كقراءة عائشة وحفصة (والوسطى صلاة العصر)[2] .

وقراءة إبن مسعود (فاقطعوا أيْمانهما)[3] . وقراءة جابر (فإن الله من بعد إكراههن لهن غفور رحيم)[4] . قال فهذه الحروف وما شاكلها قد صارت مفسرة للقرآن ، وقد كان يروى مثل هذا عن التابعين في التفسير فيستحسن ، فكيف إذا روى عن كبار الصحابة ثم صار في نفس القراءة فهو أكثر من التفسير وأقوى ، فأدنى ما يستنبط من هذه الحروف معرفة صحة التأويل[5] .

---

(١) أنظر المصدر السابق
(٢) البقرة (٢٢٨)
(٣) المائدة (٣٨)
(٤) النور (٣٣)
(٥) الاتقان ص' (٢٢٧ ـ ٢٢٨)

وجوب اتباع الرسم العثماني في كتابة المصاحف

لقد كانت المصاحف التي كتبها سيدنا عثمان ـ رضى الله عنه ـ والتي أرسلها إلى الأمصار مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة التي بيناها فيما سبق ، وكانت مجردة من النقط والشكل لتكون محتملة لما تواترت قرآنيته ، واستقر في العرضة الأخيرة ولم تنسخ تلاوته. وظلت هذه المصاحف حقبة من الزمن هكذا حتى كثرت الفتوحات الاسلامية وانضوى تحت لواء الاسلام كثير من الأعاجم ، فاختلط اللسان الأعجمي باللسان العربي وفشا اللحن على الألسنة كلها عربية وأعجمية وكادت العجمة تطغى على الفصحى ، وكان هؤلاء الأعاجم يعثر عليهم التمييز بين كلمات القرآن الكريم وحروفه ، لأنها ـ كما عرفت ـ غير منقوطة ولا مشكولة فخشي أمراء المؤمنين وولاتهم أن يفضى ذلك إلى اللحن في كتاب الله تعالى وتحريف كَلِمِهِ عن مواضعه ـ فعملوا على تلافي ذلك ـ وإزالة أسبابه .

وأحدثوا من الوسائل ما يكفل صيانة الكتاب العزيز من اللحن وحفظه من التحريف[1] .

---

(١) مع القرآن للدكتور شعبان اسماعيل (٤٠٥) .

النّقط وَالشّكل

معنى النقط والشكل

النقط : نوعان : نقط إعراب ونقط إعجام .

النوع الأول نقط الاعراب : هو ما يدل على ما يعرض للحرف من حركة أو سكون أو شد أو مد أو غير ذلك وهو بهذا المعنى مساوٍ للضبط والشكل .

النوع الثاني نقط الاعجام : هو ما بدل على ذوات الحروف تمييزاً لها عن بعضها إذا اتحدت صورها كالباء والتاء والحاء والخاء والدال والذال أو تقاربت كالفاء والقاف والنون والياء فيكون النقط حينئذ فارقا بين معجمها ومهملها .

وإذا كان النقط بمعناه الأول الذي هو نقط الاعراب مساوياً للضبط والشكل على ما علمت فهو بهذا المعنى مغاير للنقط بمعناه الثاني الذي هو نقط الاعجام .

أما الشكل : فمعناه ما يدل على ما يعرض للحرف من حركة أو سكون أو شد أو مدٍ أو نحو ذلك ، ويرادفه الضبط كما هو واضح من تعريف النقط بمعناه الأول وهو نقط الاعراب .

أول من وضع النقط

اختلف في أول من وضع النقط وأي الوضعين سابق على الآخر فقيل : أبو الأسود الدؤلي رضى الله عنه .

وقيل : نصر بن عاصم ويحي بن يعمر .

وقيل : الخليل بن أحمد .

والحق أن الواضع الأول لنقط الاعراب المساوي للضبط والشكل هو أبو الأسود الدؤلي بأمر زياد بن أبي زياد والى البصرة في خلافة معاوية بن أبي سفيان .

سبب وضعه : أن معاوية بعث إلى زياد يطلب منه إرسال عبيد الله بن زياد ـ فلما قدم عليه كَلَّمَهُ معاوية فوجده يلحن فرده إلى أبيه وبعث إليه كتاباً يلومه فيه على وقوع ابنه في اللحن ـ فبعث زياد إلى أبي الأسود وقال له : إن الأعاجم قد افسدوا لغة العرب ، فلو وضعت شيئاً يصلح الناس به كلامهم ويعربون به كلام الله . فامتنع أبو الأسود فأجلس زياد رجلاً في طريق أبي الأسود وقال له : إذا مرّ بك أبو الأسود فاقرأ شيئاً من القرآن وتعمد فيه اللحن . فلما مرّ أبو الأسود قرأ الرجل (إن الله بريء من المشركين ورسوله) بجر لام رسوله .

فقال أبو الأسود : معاذ الله أن يتبرأ من رسوله ، ثم رجع إلى زياد وقال له : قد أجبتك إلى ما طلبت ورأيت أن أبدأ بإعراب القرآن .

فاختار رجلاً من عبد القيس وقال له : خذ المصحف وصباغا يخالف لونه مداد المصحف ، فإذا فتحت شفتيَّ فانقط نقطة فوق الحرف وإذا ضممتها فانقط أمامه نقطة وإذا كسرتها فانقط تحته نقطة ، فإذا اتبعته غنة أو تنوينا فانقط نقطتين حتى أتى على آخر المصحف وكان نقط أبي الأسود مدوراً كنقط الاعجام إلاّ أنه يخالفه في لونه .

ويؤخذ مما تقدم أمران :

أولهما : أن أول من وضع النقط بمعناه الأول هو أبو الأسود الدؤلي .

ثانيهما : أن أبا الأسود لم يتعرض في المصحف لنقط الاعجام وإنما تعرض لنقط الاعراب وعنه أخذه العلماء من بعده وأدخلوا عليه بعض التحسين وظل الأمر

كذلك إلى أن جاء عصر الدولة العباسية وظهر الخليل بن أحمد البصري فتناول نقط أبي الأسود وحوَّر فيه وعدّل ، وأدخل عليه تحسيناً كثيراً وسمى بعد بالنقط المطول وهو المعروف عندنا اليوم بالشكل وبهذا يعتبر الخليل الواضع الأول له .

ونقطه مأخوذ من صور حروف المد ـ فالفتحة من الألف ـ والضمة من الواو ، والكسرة من الياء ـ والشدة رأس شين من شديد ، والسكون (علامة الخفة) رأس خاء من خفيف وهكذا وضع علامة للمد وأخرى للروم والاشمام ثم دخل على هذه العلامات بعض الاختصار والتحسين إلى أن صارت إلى ما هي عليه اليوم . وعلم مما تقدم أن الخليل أخذ الفتح والضم والكسر من طريقة أبي الأسود فالفتحة من فتح الشفتين والضمة من ضمهما والكسرة من كسرهما . ولعلّ الخليل والله أعلم نظر إلى الحروف قبل وضع النقط لها فوجد أن ما فتح منها إذا أشبع تولّد من إشباعه حرف مد هو الألف وإذا أشبع ما كسر تولد من إشباعه الياء وإذا أشبع ما ضم تولد منه الواو ، فجعل الألف أصلاً للفتحة والياء أصلاً للكسرة والواو أصلاً للضمة .

أما نقط الاعجام : الذي يفرق بين ذوات الحروف فقد اخْتَلف في أول من وضعه .

وأصَح الأقوال أنه نصر بن عاصم ويحي بن يعمر بأمر الحجاج ابن يوسف الثقفي والى العراق من قبل أمير المؤمنين عبد الملك ابن مروان . وذلك أنه لما كثرت الفتوحات الاسلامية وكثر الداخلون في الاسلام من الأعاجم كثر تبعاً لذلك التحريف في لغة العرب ـ وخيف على القرآن الكريم أن يمتد إليه بعض التحريف ـ فأمر عبد الملك بن مروان أن يعمل الحجاج بن يوسف على أن لا تصل أسباب التحريف إلى حمى القرآن . .

فاختار لتلك المهمة نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر وكانا من أبرز علماء

المسلمين وقتئذٍ في فنون القراءات وتوجيهها وعلوم اللغة العربية وأسرارها، فوضعا ذلك النقط لتتميز به بعض الحروف عن بعض ، وفي ذلك ضمان لسلامة القرآن من اللحن والتحريف . وقد جعلا هذا النقط بلون مداد المصحف ليتميز عن نقط أبي الأسود .

ويستخلص مما تقدم أمور أربعة .

الأول : أن الذي حدث في المصاحف أولاً هو نقط الاعراب الذي وضعه أبو الأسود الدؤلي .

الثاني : أن الذي حدث في المصاحف ثانياً هو نقط الاعجام الذي وضعه نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر .

الثالث : أن النفط المطول المعروف ـ اليوم ـ بالشكل وضعه الخليل بن أحمد ليكون عوضاً عن نقط أبي الأسود .

الرابع : أن نقط الاعراب المساوي للضبط والشكل سابق في الوضع على نقط الاعجام لتقدم زمن زياد وأبي الأسود على زمن الحجاج ونصر بن عاصم ويحيى بن يعمر .

فائدة النقط : إزالة اللبس عن الحروف فلا يلتبس مشدد بمخفف ولا ساكن بمتحرك ولا مفتوح بمضموم ولا مكسور[1] .

وضع الأجزاء والأحزاب والأرباع

وأما وضع أسماء السور في المصاحف وتقسيمها إلى أعشار ، وأرباع وأثلاث وأجزاء وأحزاب ، فَمِنْ عمل المتأخرين ، وأول من أمر به المأمون

(١) السبيل إلى ضبط كلمات التنزيل في فن الضبط ـ أحمد أبو زيتحار من (٣ ـ ٦) .

العباسي ، وقيل إن الذي فعله هو الحجاج بن يوسف الثقفي أخذا من عمل الصحابة في وضع أسماء السور وباجتهاد منه في هذا التقسيم ، ولذلك نجد ابتداء الربع في وسط قصة مثلاً . ومن هنا نستطيع أن نحكم بأن اتباع هذا التقسيم ليس بلا زم ، ولا حرج في مخالفته ، بل ينبغي للقاريء أن يختم قراءته عند تمام الكلام ، سواء كان في آخر قصة أو آخر سورة ، ولا يُلْزَمْ بنهاية الربع وبدايته فكثيراً ما يكون في بعض الجمل تعلق بآخر الربع السابق كما في قوله تعالى : (والمحصنات من النساء) فإنها متعلقة بآخر المحرمات من النساء . ومثل ذلك كثير ويبدو أن هذا التقسيم إنما كان لهدف تسهيل الحفظ على قاريء القرآن الكريم خاصة في السور الطوال والله أعلم[1] .

نتيجة هذا التقسيم

وكانت نتيجة هذا التقسيم أن أصبح القرآن الكريم يشتمل على :

١ ـ عدد أجزائه ٣٠ جزءاً ـ الجزء حزبان .

٢ ـ عدد أحزابه ٦٠ حزباً والحزب أربع أرباع .

٣ ـ عدد أرباعه ٢٤٠ ربعاً .

٤ ـ عدد آياته ٦٢٣٦ آية .

٥ ـ عدد آياته المكية ٤٤٧٥ آية .

٦ ـ عدد آياته المدنية ١٧٦١ آية .

٧ ـ إبتداء نزول القرآن هو ليلة ١٧ من شهر رمضان وهي ليلة القدر على بعض الآراء .

---

(١) انظر القرطبي (٥١) ط الشعب .

٨ ـ مدة النزول في مكة ١٣ يوماً ٥ أشهر ١٢ سنة .

٩ ـ مدة النزول في المدينة ٩ أيام ٩ أشهر ٩ سنوات .

١٠ ـ انتهاء النزول هو قرب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم[١] .

ما يجب على كاتب المصحف وناشره

يجب على من أراد كتابة المصحف أن يلزم بالرسم العثماني ، ولا يجوز كتابته على القواعد الاملائية الحديثة ، وهذا هو رأي جمهور العلماء من السلف والخلف . والأدلة على ذلك : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان له كتاب يكتبون الوحي ، وقد كتبوا القرآن كله بهذا الرسم ، وأقرهم الرسول على كتابته ، وانتقل الرسول عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى وقد كتب القرآن كله على هذه الكيفية المخصوصة لم يحدث فيها تغيير ولا تبديل . ثم تولى الخلافة بعده أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ فأمر بكتابة القرآن كله في المصحف على هذه الهيئة ثم جاء عثمان ـ رضى الله عنه ـ فنُسِخَتْ المصاحف العثمانية بأمره من صحف أبي بكر على هذا الرسم أيضاً ـ ووزع عثمان هذه المصاحف على الأمصار لتكون إماما للمسلمين ، وأقر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . عمل أبي بكر وعثمان في المصاحف ، ولم ينكر أحد منهم عليهما شيئاً ، بل ظفر كل منهما باقرار جميع الصحابة لعملهما . واستمر المصحف مكتوباً بهذا الرسم في عهد بقية الصحابة والتابعين وتابعي التابعين والأئمة المجتهدين في عصورهم المختلفة ولم يثبت أن أحداً من هؤلاء جميعاً حدثته نفسه بتغيير هجاء المصاحف ورسمها الذي كتبت عليه أولاً وكتابتها برسم آخر يساير الرسم المحدث الذي حدث في عهد ازدهار التأليف في البصرة والكوفة ، بل ظل الرسم القديم قائماً مستقلاً بنفسه

(١) مع القرآن د ـ شعبان إسماعيل (٤٠٩) .

بعيداً عن التأثر بالرسم الحادث ، نعم ظل الرسم القديم منظور إليه بعين التقديس والاكبار في سائر العصور المختلفة والأزمنة المتفاوتة مع أنه قد وجد في هذه العصور المختلفة أناس يقرؤ ون القرآن ولا يحفظونه ، وهم في الوقت نفسه لا يعرفون من الرسم إلاّ هذا الرسم المحدث الذي وضعت قواعده في عصر التأليف والتدوين ، وشاع استعمال هذه القواعد بين الناس في كتابة غير القرآن .

روى الامام السخاوي أن مالك بن أنس إمام دار الهجرة سئل : أرأيت من استكتب مصحفاً ، أرأيت أن يكتب على ما استحدثه الناس من الهجاء اليوم ؟ فقال : لا أرى ذلك ولكن يكتب على الكتبة الأولى . قال السخاوي : والذي ذهب إليه مالك هو الحق إذ فيه بقاء الحالة الأولى إلى أن تعلمها الطبقة الأخرى ولا شك أن هذا هو الأحرى ، إذ في خلاف ذلك تجهيل الناس بأولية ما في الطبقة الأولى ، إنتهى .

وقال الامام أبو عمرو الداني : لا مخالف لمالك من علماء هذه الأمة . وقال الداني أيضاً : سئل مالك عن الحروف في القرآن مثل الواو والياء والألف ، أترى أن يغيرٌ من المصحف إذا وجد فيه شيء من ذلك قال لا ، قال أبو عمرو : يعني الواو والياء والألف الزائِدات في الرسم ، المعدومات في اللفظ نحو (لا أذبحنه)،و (بأيْيد) و (أولوا) وهكذا ، وقال الامام أحمد بن حنبل : تحرمٌ مخالفة خط مصحف عثمان في واو أو ألف أو ياء ، أو غير ذلك .

وقال صاحب المدخل : ويتعين على كاتب المصحف أن يترك ما أحدثه بعض الناس في هذا الزمان من نسخ المصحف على غير المرسوم الذي اجتمعت عليه الآمه . إنتهى .

والخلاصة : أنه يجب كتابة المصحف بالرسم العثماني لما يأتي :

١ ـ للأدلة التي سقناها .

٢ ـ أن قواعد الهجاء والاملاء الحديثة عرضة للتغيير والتنقيح في كل عصر وفي كل جيل ـ فلو أخضعنا رسم القرآن لهذه القواعد لأصْبَحَ القرآن عرضة للتغيير والتبديل وحيطتنا للكتاب العزيز ، وتقديسنا له يضطرنا إلى أن نجعله بمنأى من هذه التغييرات في رسمه وكتابته .

٣ ـ أن تغيير الرسم العثماني ربما يكون مدعاة ـ من قريب أو بعيد إلى التغيير في جوهر الألفاظ والكلمات القرآنية ، ولا شك أن في ذلك القضاء على أصل الذين ـ وأساس الشريعة ـ وسد الذرائع ـ مهما كانت بعيدة أصل من أصول الشريعة الاسلامية التي تبنى عليها الأحكام.

وتظهر الحكمة في المحافظة على الرسم العثماني جلية فيما يأتي :

١ ـ منها الدلالة على الأصل في الشكل والحروف ككتابة الحركات حروفاً باعتبار أصلها في نحو (إيتاىء ذي القربى) و (سأوريكم) و(لا أوضعوا) وككتابة الصلاة والزكاة والحياة بالواو بدل الألف .

٢ ـ ومنها النص على بعض اللغات الفصيحة ككتابة هاء التأنيث بتاء مجرورة على لغة طىء وكحذف ياء المضارع لغير جازم من(يوم يأت لا تكلم نفس (على لغة هذيل) .

٣ ـ ومنها إفادة المعاني المختلفة بالقطع والوصل في بعض الكلمات نحو (أم من يكون عليهم وكيلا) ونحو (أمَّنْ يمشي سوياً) فإن المقطوعة تفيد معنى بل دون الموصولة .

٤ ـ ومنها أخذ القراءات المختلفة بين اللفظ المرسوم برسم واحد نحو (وما يخدعون إلا أنفسهم) ، (وتمت كلمت ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته) فلو كتبت الأولى (وما يخادعون) لفاتت قراءة الافراد فحذفت الألف ورسمت التاء مجرورة لافادة ما ذكر .

٥ ـ ومنها عدم الاهتداء على تلاوته على حقه إلا بموقف شأن كل علم نفيس يتحفظ عليه .

٦ ـ ومنها عدم تجهيل الناس بأوليتهم وكيفية ابتداء كتابهم فلهذه الفوائد يجب بقاؤه على رسمه ولا يجوز تغييره لأنه ينجم عن تغييره مضار لا يمكن تلافيها : ـ

أ ـ منها ضياع القراءات المتواترة بضياع شرط القرآن أو بالحقيقة ضياع القرآن الذي هو أساس الدين .

ب ـ ومنها ضياع لغات العرب الفصحى لعدم الاستدلال عليها من أصدق الحديث بضياع رَسْمِهِ الدال عليه .

حـ ـ ومنها تطرق التحريف إلى الكتاب الشريف بتغيير رسمه الأصلي التوقيفي .

د ـ ومنها جواز هدم كيان كثير من العلوم قياساً على هدم كيان علم رسم القرآن بدعوى سهولة تناوله للعموم .

هـ ـ ومنها محو الدين بمحو رسم أصله الأساسي وقانونه الأكبر .

هذه بعض مضار تغيير رسم المصحف ، فهل يجرؤ مسلم في قلبه مثقال ذرة من الإيمان على تغيير حرف من رسم المصحف كما كتب عليه في زمن الصحابة الذين تلقوه من في رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتبوه له ولا نفسهم في حضرته ونقلوه ثم نشروه للأمة بعده باجماع منهم وهم أو ذاك فوق مئات الألوف لا أظن أحداً يتجرأ على تغيير رسم المصحف أو يعين عليه إلاّ إذا كان مارقاً من الدين ، كما أني أعتقد أنه لا يتمكن من ذلك أحد أيا كان تصديقاً لقوله تعالى : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)[1] .

---

(١) الحجر (٩) وإنظر حل المشكلات من (١٤ ـ ١٦) .

فضل القرآن الكريم

يحسن بنا قبل الكلام على فضل قراءة سور بعينها أن نبين أولاً فضل القرآن كله جملة واحدة ثم نبين ثانياً أقوال العلماء في أفضل القرآن وفاضله ، وهل هناك شيء من القرآن أفضل من شيء مع أن القرآن كله كلام رب العالمين ، كي تتضح الصورة ، وتكمل الفائدة ، ويزول الاشكال حول هذا الأمر الذي تشعبت معه الآراء، وكثرت فيه الأقوال ودار حوله الجدل منذ زمن بعيد، ولكي أسهل على القاريء ولا أكلفه مشقة البحث في المطولات للحصول على ما يروى ظمأه نحو هذا الموضوع ـ فقد جمعت له الأحاديث والأقوال التي وردت في هذا الباب معتمداً على أصح الكتب والمراجع ، حتى يكون ذلك أو فى بالغرض، وأكمل للفائدة .

فأقول مستعيناً بالله راجياً التوفيق والسداد :

أخرج الترمذي والدارمي وغيرهما من طريق الحارث الأعور عن على رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول : (ستكون فتن كقطع الليل المظلم) قلت : يا رسول الله وما المخرج منهما ؟ قال : (كتاب الله تبارك وتعالى ، فيه نبأ من قبلكم ، وخبر من بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين، ونوره المبين ، والذكر الحكيم ، وهو الصراط

المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلبتس به الألسنة ، ولا تتشعب معه الآراء ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يمله الاتقاء ، ولا يخْلَقُ على كثرةِ الرد ، ولا ننقضي عجائبه ، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا : (إنا سمعنا قرآناً عجبا) من علم علمه سبق ، ومن قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أُجر ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم) . خذها إليك يا أعور) .

وأخرج الدارمي من حديث عبد الله بن عمرو ، مرفوعاً (القرآن أحب إلى الله من السموات والأرض ومن فيهن) .

وأخرج أحمد والترمذي من حديث شداد بن أوس : ما من مسلم يأخذ مضجعه فيقرأ سورة من كتاب الله تعالى إلاّ وكل الله به ملكاً يحفظه ، فلا يقر به شيء يؤ ذيه ، حتى يهب متى هب) .

وأخرج الحاكم وغيره من حديث عبد الله بن عمرو : (من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحي إليه ، لا ينبغي لصاحب القرآن أن يجِدَ مع من وَجَدَ ، ولا يجهل مع من جهلَ وفي جوفه كلام الله) .

قال ابن مسعود رضى الله عنه : ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذ الناس نائمون ، وبنهاره إذ الناس مفطرون ، وبحزنه إذ الناس يفرحون ، وببكائه إذ الناس يضحكون ، وبصمته إذ الناس يخوضون ، وبخشوعه إذ الناس يختالون . ولا ينبغي أن يكون جافياً ولا غافلاً ولا صخاباً[1] ولا حديداً[2] .

وقال الفضيل رحمه الله : حامل القرآن حامل راية الاسلام ، لا ينبغي أن يلغو مع من يلغو ولا يلهو مع من يلهو ، تعظيماً لله تعالى . ولا ينبغي أن يكون له إلى أحد حاجة ، بل ينبغي أن تكون حوائج الناس إليه . وأخرج البزار من حديث

---

(١) الصخب : شدة الصوت .

(٢) الحديد : شديد الغضب .

أنس : (إن البيت الذي يقرأ فيه القرآن يكثر خيره ، والبيت الـذي لا يقـرأ فيه القرآن يقل خيره) .

وأخرج الطبراني من حديث ابن عمر : (ثلاثة لا يهولهم الفـزع الأكبر ولا يناهم الحساب ، هم على كثيب من مسك ، حتى يُفرغ من حساب الخلائـق : رجل قرأ القرآن !ابتعـاءوجه الله ، وأمَّ به قوماً وهم به راضون . الحديث .

وأخرج أبو يعلى والطبراني من حديث أبى هريرة: (القرآن غنى لا فقـر بعده ولا غنى دونه) .

رُوِيَ أن أبا عبد الرحمن السلمى كان إذا ختم عليه الخاتِم القرآن أجلسه بين يديه ووضع يده على رأسه ، وقال له : يا هذا اتق الله فما أعرف أحداً خيراً منك إن عملت بالذي علمت !

وروى الدارمي عن وهب الذِّمَارِي قال : من آتاه الله القرآن فقام به آنـاء الليل وآناء النهار ، وعمل بما فيه ومات على الطاعة ، بعثـه الله يوم القيامـة مع السفرة والأحكام . قال سعد : السفرة : الملائكة ، والأحكام ، الأنبياء .

وأخرج أحمد وغيره من حديث عيينة بن عامر. (لو كان القرآن في إهاب ما مسته النار) . قال أبو عبيد : أراد بالاهاب قلب المؤ من وجوفه الذي قد وعى القرآن ، وقال غيره ! معنـاه : أن من جمـع القـرآن ثم دخـل النـار فهـو شر من الخنزير . وقال ابن الانباري : معناه ـ أن النار لا تبطله ولا تقلعه من الاسماع التي دعته ، والافهام التي حصلته ـ كقوله في الحديث الآخر : (أنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء) أي لا يبطله ولا يقلعه من أوعيته الطيبة ومواضعه ، لأنه وإن غسله الماء في الظاهر وذلك من الألواح التـي يكتـب عليهـا بالمداد ـ لا يغسلـه بالقلـع من القلوب.

وعند الطبراني من حديث عصمة بن مالك: (لو جمع القرآن في إهاب ما أحرقته النار) وعنده من سهل بن سعد : (لو كان القرآن في إهاب ما مسته النار) .

■ ويستحب للمسلم أن يقوم بالقرآن آناء الليل وأطراف النهار . أخرج الطبراني في الصغير من حديث أنس : (من قرأ القرآن يقوم به آناء الليل والنهار يحل حلاله ، ويحرم حرامه ، حرم الله لحمه ودمه على النار ، وجعله رفيق السفرة الكرام البررة ، حتى إذا كان يوم القيامة كان القرآن حجة له) .

والذي يقوم بالقرآن تلاوة وتدبرا وعملا ، له من الثواب مالا يعلمه إلا الله . فقد أخرج أبو داود وأحمد والحاكم من حديث معاذ ابن أنس . (من قرأ القرآن فأكمله ، وعمل به ، ألبس والداه تاجا يوم القيامة ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم ، فما ظنكم بالذي عمل بهذا) !

وروى ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه قال : (تفتح أبواب السماء لخمسة : نزول الغيث ، وقراءة القرآن ، ولقاء الزحف ، والآذان ، والدعاء) رواه الطبراني في الأوسط .

وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يقول الرب تبارك وتعالى : من شغله القرآن وذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين ، وفي رواية زيادة : وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقِهِ ، قال : هذا حديث حسن غريب .

لذلك كان لقاريء القرآن أو المستمع لتلاوته ثواب ما بعده ثواب فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من استمع إلى آية من كتاب الله كتبت له حسنة مضاعفة ، ومن تلاها كانت له نورا يوم القيامة) رواه أحمد عن عبادة بن ميسرة . وأخرج الطبراني من حديث أبي أمامة : (من تعلم آية

من كتاب الله استقبلته يوم القيامة تضحك في وجهه) . وأخرج في الأوسط ، من حديث جابر . (من جمع القرآن كانت له عند الله دعوة مستجابة ، إن شاء عجلها في الدنيا ، وإن شاء ادخرها في الآخرة) . والمراد بجمع القرآن هنا ـ هو حفظه عن ظهر قلب . قال الخطابي : جاء في الأثر أن عدد آي القرآن على قدر ما كنت تقرأ من أي القرآن ، فمن استوفى قراءة جميع القرآن استولى على أقصى درج الجنة ، ومن قرأ جزءاً منها كان رقيه في الدرج على قدر ذلك فيكون منتهى الثواب عند منتهى القراءة . انتهى . والأثر الذي أشار اليه الخطابي رواه البيهقي عن عائشة مرفوعاً (عدد درج الجنة عدد آي القرآن ، فمن دخل الجنة من أهل القرآن فليس فوقه درجة) .

وأخرج الشيخان من حديث أبي موسى : (مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ، طعمها طيب وريحها طيب ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل الثمرة طعمها طيب ولا ريح لها ، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مرٌّ ولا ريح لها) : قال النووي : وفي الحديث فضيلة حافظ القرآن ، واستحباب ضرب الأمثال لإيضاح المقاصد ، وفيه الحض على حفظ القرآن ، ودوام تلاوته ، والعمل بما فيه .

وأخرج ابن ماجة من حديث أبي ذر . (لأن تغدو فتتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة) .

وأخرج الطبراني من حديث ابن عباس . (من تعلم كتاب الله ثم اتَّبع ما فيه ، هداه الله من الضلالة ووقاه يوم القيامة سوء الحساب) .

وأخرج ابن أبي شيبة من حديث أبي شريح الخزاعي . (إن هذا القرآن سبب ، طرفه بيد الله ، وطرفه بأيديكم ،فَتَمَسَّكُوا به ، فإنكم لن تضلوا ، ولن

تهلكوا بعده أبداً) .

وأخرج الحاكم من حديث أبى هريرة (يجيء صاحب القرآن يوم القيامة فيقول : يا رب حلِّه ، فَيُلْبسُ تاج الكرامة ، ثم يقول : يا رب زده ، يا رب ارض عنه ، فيرضى عنه ، ويقال له : اقرأ وارق ، ويزداد له بكل آية حسنة) .

وأخرج من حديث عبد الله بن عمر : (الصيام والقرآن يشفعان للعبد) .

وأخرج من حديث أبي ذر : (إنكم لا ترجعون إلى الله بشيء أفضل مما خرج منه) يعني القرآن .

ومما تقدم تظهر لنا فضائل القرآن الجمة التي تشمل كل أبواب الحياة بما يكفل صلاح الفرد وعلاقته بربه وعلاقته بأخيه المسلم وعلاقته بغير المسلم .

ولو استعرضنا قول الرسول صلى الله عليه وسلم حينما يحدثنا عن القرآن ، فيعطي القاريء له السبق على غيره . من علم علمه سبق . والقرآن هو الدستور ويلخص الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم هذا في قوله : من حكم به عدل . وهذا هو ما ننشده وينشده كل مسلم غيور على كتاب الله .

هذه بعض فضائل ونفحات القرآن الكريم . فكم من فضل له ؟ وكم من مميزات وفضائل اقتبسناها من كلام النبي صلى الله عليه وسلم : فالفرد المسلم سيجد فيه حياته ـ من ابتغى الهدى في غيره أضله الله ـ والمجتمع الاسلامي ككل له فيه العلاج وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم ، من حكم به عدل ـ فكم من حاكم ظلم المسلمين في حكمه لأنه حكم بغير القرآن : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فألئك هم الكافرون) .

فالقرآن ليس كتاباً يتلى فحسب ، وإنما هو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، لا يبصره إلاّ من هداه الله إلى التمسك به فعمل به وعَلِمَهُ وعلَّمَهُ ودعا إليه ـ نسأل الله

تعالى أن نكون منهم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ! (إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويخفض به آخرين) رواه مسلم في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

أَفضل القرآن وَفاضِلهُ

بعد أن بينا فضل القرآن يجدر بنا أن نوضح آراء العلماء وكلامهم حول أفضل القرآن وفاضله ، أو بمعنى آخر : هل في القرآن الكريم وكله كلام رب العالمين شيء أفضل من شيء ؟

أقول : اختلف الناس في ذلك فتباينت آراؤهم واختلفت مذاهبهم نوضحها لك فيما يلي :

أولاً : ذهب الامام أبو الحسن الأشعرى والقاضى أبو بكر الباقلانى ، وابن حبان إلى المنع ـ أي منع أن في القرآن شيء أفضل من شيء ـ وحجتهم في ذلك أن الجميع كلام الله ولئلا يوهم التفضيل للبعض نقص المفضل عليه . وروى هذا القول عن مالك ،قال يحيى بن يحيى! تفضيل بعض القرآن على بعض خطأ . ولذلك كره الامام مالك أن تعاد سورة أو تردد دون غيرها وقال ابن حبان في حديث أبي بن كعب : (ما أنزل الله في التوراة ولافي الانجيل مثل أم القرآن) إن الله لا يُعطى لقارىء التوراة والانجيل . من الثواب مثل ما يعطى لقارىء أم القرآن ، إذ الله سبحانه وتعالى بفضله فضل هذه الأمة على غيرها من الأمم وأعطاها من الفضل على قراءة كلامه أكثر ما أعطى غيرها من الفضل على قراءة كلامه ، قال : وقوله : (أعظم سورة) أراد به الأجر ، لا أنَّ بعض القرآن أفضل من بعض .

ثانياً : ذهب آخرون إلى التفضيل لظواهر الأحاديث ، منهم إسحاق ابن

راهويه ، وأبو بكر بن العربى والغزالى . وقال القرطبى : إنه الحق ، ونقله عنه جماعة من العلماء والمتكلمين .

وقال الغزالي في جواهر القرآن : لعلك أن تقول : قد أشرت إلى تفضيل بعض آيات القرآن على بعض ، والكلام كلام الله فكيف يفارق بعضها بعضاً ؟ وكيف يكون بعضها أشرف من بعض ؟

فاعلم أن نور البصيرة إن كان لا يرشدك إلى الفرق بين آية الكرسي وآية المداينات ، وبين سورة الإخلاص وسورة تبت، وتَرْتاعُ على اعتقاد الفرق نفسك الخوارة المستغرقة بالتقليد ، فقلد صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم ، فهو الذي أنزل عليه القرآن وقال : (يس) قلب القرآن ، وفاتحة الكتاب أفضل سور القرآن ، وآية الكرسى سيدة أى القرآن ، وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن والأخبار الواردة في فضائل القرآن وتخصيص بعض السور والآيات بالفضل وكثرة الثواب في تلاوتها لا تحصي . انتهى . وقال ابن الحصار : العجب ممن يذكر الاختلاف في ذلك مع النصوص الواردة بالتفضيل!!

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : كلام الله في الله أفضل من كلامه في غيره ، فقل هو الله أحد ، أفضل من تبت يدا أبي لهب. وقال الخوبي: كلام الله أبلغ من كلام المخلوقين ، وهل يجوز أن يقال : بعض كلامه أبلغ من بعض ؟ جوزه قوم لقصور نظرهم .

وينبغى أن يفهم معنى قول القائل: هذا الكلام أبلغ من هذا ، أن هذا في موضعه له حسن ولطف وذاك في موضعه له حسن ولطف ، وهذا الحسن في موضعه أكمل من ذاك في موضعه . قال: فإن من قال: إن قل هو الله أحد أبلغ من تبت يدا أبى لهب ، يجعل المقابلة بين ذكر الله وذكر أبى لهب ، وبين التوحيد والدعاء على الكافر ، وذلك غير صحيح ، بل ينبغى أن يقال : تبت يدا أبى لهب دعاء عليه

بالخسران ، فهل توجد عبارة بالدعاء بالخسران أحسن من هذه !!

وكذلك في قل هو الله أحد ،لا توجد عبارة تدل على الوحدانية أبلغ منها ، فالعالم إذا نظر إلى تبت يدا أبى لهب في باب الدعاء بالخسران ، ونظر إلى قل هو الله أحد في باب التوحيد ، لا يمكنه أن يقول : أحدهما أبلغ من الأخرى . انتهى .

وقال غيره : اختلف القائلون بالتفضيل ، فقال بعضهم : الفضل راجع إلى عظم الأجر ومضاعفة الثواب ، بحسب انفعالات النفس وخشيتها وتدبرها وتفكرها عند ورود أوصاف العلا جل ثناؤه .

وقيل : بل يرجع لذات اللفظ ، وأن ما تضمنه قوله تعالى : (وإلهكم إله واحد) الآية ، وآية الكرسي ، وآخر سورة الحشر ، وسورة الاخلاص من الدلالات على وحدانيته وصفاته ليس موجوداً مثلاً في تبت يدا أبي لهب ، وما كان مثلها ، فالتفضيل إنما هو بالمعانى العجيبة وكثرتها . وقال ابن التين : في حديث البخاري (لأعلمنك سورة هي أعظم السور) معناه أن ثوابها أعظم من غيرها ، وقال غيره : إنما كانت أعظم السور ، لأنها جمعت جميع مقاصد القرآن ، ولذلك سميت أم القرآن .

وقال الحسن البصرى : إن الله أودع الكتب السابقة في القرآن ثم أودع علوم القرآن الفاتحة ، فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير الكتب المنزلة . أخرجه البيهقي .

وقال الطيبى : هي مشتملة على أربعة أنواع من العلوم التي هي مناط الدين :

أحدها : علم الأصول ومعاقده معرفة الله وصفاته وإليها الاشارة بقوله :

(الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم) ومعرفة النبوة وهي المرادة بقوله : (أنعمت عليهم) ومعرفة المعاد وهو المراد بقوله : (مالك يوم الدين) .

ثانيها : ـ علم الفروع ورأسه العبادات ، وهو المراد بقوله : (إياك نعبد) .

ثالثها : ـ علم ما يحصل به الكمال وهو علم الأخلاق ، وأجله الوصول إلى الحضرة الصمدانية ، والالتجاء إلى جناب الفردانية والسلوك لطرقه والاستقامة فيها وإليه الاشارة بقوله : (وإياك نستعين ، اهدنا الصراط المستقيم) .

رابعها : ـ علم القصص والأخبار عن الأمم السالفة والقرون الخالية ، والسعداء منهم والأشقياء ، وما يتصل بها من وَعْدِ محسنهم ووعيد مسيئهم وهو المراد بقوله : (أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) . وقال الغزالي : مقاصد القرآن ستة : ثلاثة مهمة ، وثلاثة متمة .

الأولى : تعريف المدعو إليه كما أشير إليه بصدر (الفاتحة) .

الثانية : تعريف الصراط المستقيم ، وقد صرح به فيها .

الثالثة : تعريف الحال عند الرجوع إليه تعالى وهو الآخرة ، كما أشير إليه بقوله : (مالك يوم الدين) .

الرابعة : تعريف أحول المطيعين كما أشير إليه بقوله : (الذين أنعمت عليهم) .

الخامسة : حكاية أحوال الجاحدين ، وقد أشير إليها بقوله : (المغضوب عليهم) .

السادسة : تعريف منازل الطريق ، كما أشير إليه بقوله : (إياك نعبد وإياك نستعين) .

ولاينـــافي هذا وصفها في الحديث الآخر بكونها (ثلثى القرآن) لأن بعضهم وجهه بأن دلالات القرآن الكريم .

إما أن تكون بالمطابقة ، أو بالتضمن ، أو بالالتزام ، وهذه السورة تدل على جميع مقاصد القرآن بالتضمن والالتزام دون المطابقة والاثنان من الثلاثة ثلثان ، ذكره الزركشى في شرح التنبيه وناصر الدين بن الميلق .

قال : وأيضاً الحقوق ثلاثة :

١ ـ حق الله على عباده .

٢ ـ حق العباد على الله .

٣ ـ حق بعض العباد على بعض .

وقد اشتملت الفاتحة صريحاً على الحقين الأولين ، فناسب كونها بصريحها ثلثين .

وحديث : (قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين) شاهد على ذلك .

قلت : ولا تنافي أيضاً بين كون الفاتحة أعظم السور وبين الحديث الآخر إن البقرة أعظم السور ، لأن المراد به ما عدا الفاتحة من السور التـي فصلـت فيهـا الأحكام ، وضربت الأمثال ، وأقيمت الحجج إذ لم تشتمل سورة على ما اشتملت عليه[1] ولذلك سميت فسطاط القرآن .

قال ابن العربي في أحكامه : سمعت بعض أشياخي يقول فيها ـ أى سورة البقرة ـ ألف أمر وألف نهي وألف حكم وألف خبر ، ولعظم فقهها أقام ابن عمر ثماني سنين على تعليمها . أخرجه مالك في الموطأ . وقال الغزالى : إنما كانت آية

---

(١) أي سورة البقرة .

الكرسي سيدة الآيات ، لأنها اشتملت على ذات الله وصفاته وأفعاله فقط ليس فيها غير ذلك ومعرفة ذلك هو المقصد الأقصى في العلوم ، وما عداه تابع له ، والسيد اسم للمتبوع المقدم ـ فقوله : (الله) إشارة إلى الذات ، (لا إله إلا هو) إشارة إلى توحيد الذات ، (الحي القيوم) إشارة إلى صفة الذات وجلاله ، فإن معنى (القيوم) الذي يقوم بنفسه ويقوم به غيره ، وذلك غاية الجلال والعظمة .

(لا تأخذه سنة ولا نوم) تنزيه وتقديس له عما يستحيل عليه من أوصاف الحوادث ، والتقديس عما يستحيل أحد أقسام المعرفة .

(له ما في السموات وما في الأرض) إشارة إلى الأفعال كلها وأن جميعها منه وإليه .

(من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) إشارة إلى انفراده بالملك والحكم والأمر ، وأن من يملك الشفاعة . إنما يملكها بتشريفه إياه ، والإذن فيها ، وهذا نفى الشركة عنه في الحكم والأمر .

(يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء) إشارة إلى صفة العلم وتفضيل بعض المعلومات ، والانفراد بالعلم ، حتى لا علم لغيره إلا ما أعطاه ووهبه ، على قدر مشيئته وإرادته .

(وسع كرسيه السموات والأرض) إشارة إلى عظم ملكه وكمال قدرته .

(ولا يؤوده حفظهما) إشارة إلى صفة القدرة وتنزيهها عن الضعف والنقصان) (وهو العلى العظيم) إشارة إلى أصلين عظيمين في الصفات .

فإذا تأملت هذه المعانى ثم تلوت جميع آى القرآن لم تجد جملتها ـ أى جملة هذه المعاني الواردة في آية الكرسى ـ موجودة في آية واحدة غيرها ، فإن آية : (شهد

الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إلـه إلا هو العـزيز الحكيم) ليس فيها إلا التوحيدُ والتقديس ، و (قل اللهم مالك الملك) ليس فيها إلا الأفعال ، والفاتحة فيها الثلاثة أى التوحيد والتقديس والأفعال ، لكن غـير مشروحة بل مرموزة ، والثلاثة مشروحة مرموزة في آية الكرسى ، والذي يقـرب منها في جمعها الآيات من آخر سورة الحشر من قوله تعالى : (هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم) والآيتان بعدها . ويقرب منها أيضا الآيات من أول سورة الحـديد ، ولكنهـا آيات لا آية واحـدة . فإذا قابلـت آية الكرسى بأحد هذه الآيات وجدتها أجمع للمقاصد فلذلك استحقت السيادة على الآى ، كيف لا وفيها الحى القيوم وهو الاسم الأعظم كما ورد به الخبر! انتهى كلام حجة الاسلام الغزالى . ثم قال في حديث : (قلب القـرآن يس) إن ذلك لأن الإيمان صحته بالاعتراف بالحشر والنشر ، وهو مقرر في هذه السورة بأبلغ وجه ، فجعلت قلب القرآن لذلك واستحسنه الإمام فخر الدين . وقال النسفى : يمكن أن يقال إن هذه السورة ليس فيهـا إلا تقـرير الأصـول الثلاثـة : الوحـدانية ، الرسالة ، الحشر وهو القدر الذي يتعلق بالقلب والجنان ، وأمـا الـذي باللسـان والأركان ففي غير هذه السورة ، فلما كان فيها ـ أى يس ـ أعمال القلب لا غـير سماها صلى الله عليه وسلم قلبا ، ولهذا أمر بقراءتها عند المحتضر ، لأن في ذلك الوقت يكون اللسان ضعيف القوة والأعضاء ساقطة ، لكن القلب قد أقبل على الله تعالى ورجع عما سواه ، فيقرأ عنده ـ أى عند المحتضر ـ ما يزداد به قوة في قبله ويشتد تصديقه بالأصول الثلاثة . انتهى .

(واختلف الناس في كون سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن)

فقيل : كأنه صلى الله عليه وسلم يكررها تكرار من يقرأ ثلث القرآن ،فخرج الجواب على هذا ، وفيه بعد عن ظاهر الحديث ، وسائر طرق الحديث ترده .

وقيل : لأن القـرآن يشتمـل على قصص وشرائـع وصفـات ، وسـورة

الإخلاص كلها صفات ، فكانت ثلثا بهذا الاعتبار .
وقال الغزالى في الجواهر : (معارف القرآن المهمة ثلاثة)

معرفة التوحيد ـ والصراط المستقيم ـ والآخرة ـ وهي مشتملة على الأول فكانت ثلثا .

قال ابن عبد السلام : السكوت في هذه المسألة أفضل من الكلام فيها وأسلم ، ثم أسند إلى إسحاق بن منصور : قلت لأحمد بن حنبل : قوله صلى الله عليه وسلم : (قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن) ما وجهه ؟ فلم يقل لي فيها على أمر . وقال إسحاق بن راهويه : معناه أن الله لما فضل كلامه على سائر الكلام جعل لبعضه أيضا فضلا في الثواب لمن قرأه،تحريضا على تعليمه ، لا أن من قرأ (قل هو الله أحد) ثلاث مرات كان كمن قرأ القرآن جميعه ؛ هذا لا يستقيم ، ولو قرأها مائتى مرة .

قال إبن عبد البر : فهذان إمامان بالسنة ما قاما ولا قعَدا في هذه المسألة .
وقال ابن الميلق في حديث : (إن الزلزلة نصف القرآن) لأن أحكام القرآن تنقسم إلى أحكام الدنيا ، وأحكام الآخرة ، وهذه السورة تشتمل على أحكام الآخرة كلها إجمالا ، وأما تسميتها في الحديث الآخر ربعا ، فلأن الإيمان بالبعث ربع الإيمان ، في الحديث الذي رواه الترمذى : (لا يؤ من عبد حتى يؤ من بأربع : (يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله بعثني بالحق ، ويؤ من بالموت ، ويؤ من بالبعث بعد الموت ، ويؤ من بالقدر) فاقتضى هذا الحديث أن الإيمان بالبعث الذي قررته هذه السورة ربع الإيمان الكامل الذي دعا إليه القرآن .

وقال أيضا : في سرِّ كون (ألهاكم) تعدل ألف آية ، إن القرآن ستة آلاف آية ومائتا آية وكسر ، فإذا تركنا الكسر كان الألف سدس القرآن ، وهذه السورة تشتمل على سدس مقاصد القرآن ، فإنها فيما ذكرها الغزالي ستة ، ثلاثة مهمة

وثلاثة متمة ـ وتقدمت ـ وأحدها معرفة الآخرة المشتمل عليه السورة ، والتعبير عن هذا المعنى بألف آية أفخم وأجل وأضخم من التعبير بالسدس .

وقال أيضا : في سر كون سورة (الكافرون) ربعا وسورة الإخلاص ثلثا ، مع أن كلا منهما يسمى الإخلاص ، أن سورة الإخلاص اشتملت من صفات الله على ما لم تشتمل عليه سورة (الكافرون)

وأيضا : فالتوحيد إثبات إلهية المعبود وتقديسه، ونفى إلهية ما سواه ، وقد صرحت سورة الإخلاص بالإثبات والتقديس ، ولوّحت إلى نفى عبادة غيره ، والكافرون صرحت بالنفى ولوحت بالإثبات والتقديس ، فكان بين الرتبتين من التصريحين والتلويحين ما بين الثلث والربع . انتهى.

تذنيب

ذكر كثيرون في أثر إن الله جمع علوم الأولين والآخرين في الكتب الأربع ، وعلومها في القرآن ، وعلومه ـ أي القرآن ـ في الفاتحة ، فزادوا علوم الفاتحة في البسملة ، وعلوم البسملة في بائها ، وَوُجِّهَ بأن المقصود وصول العبد إلى الرب وهذه الباء باء الالصاق ، فهي تلصق العبد بجناب الرب ، وذلك كمال المقصود . ذكره الإمام الرازى وابن النقيب في تفسيرهما والله أعلم[1] .

---

(١) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي جـ ١( )

فضل حملة القرآن

أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم نورا وهدى للناس ، ثم أورثه من اصطفاه من عباده ، فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ، وفرض سبحانه وتعالى على الأمة حفظه عن ظهر قلب على سبيل الكفاية ، وهذا هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم : (يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤ ها) رواه الترمذى وأبو داود وابن ماجد وابن حبان في صحيحه . وقال الترمذى : حديث حسن صحيح .

وسئل ابن حجر عن حديث: (يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق) . . الخ . من المخصوص بهذه الفضيلة ؟ هل هو من يحفظ القرآن في الدنيا عن ظهر قلب ومات كذلك ؟ أم يستوى فيه هو ومن يقرأ في المصحف . فأجاب بقوله : الخبر المذكور خاص بمن يحفظه عن ظهر قلب لا من يقرأ في المصحف ، لأن مجرد القراءة في الخط ـ أى النظر إلى الخط المكتوب به القرآن في المصحف ـ لا يختلف الناس فيها ولا يتفاوتون قلة وكثرة، وإنما الذي يتفاوتون فيه هو الحفظ عن ظهر قلب ، فلهذا تتفاوت منازلهم في الجنة بحسب تفاوت حفظهم ، ومما يؤ يد ذلك أن حفظ القرآن عن ظهر قلب فرض كفاية على الأمة .

ومجرد القراءة في المصحف من غير حفظ لا يسقط بها الطلب فليس لها كثير فضل كفضل الحفظ ، فتعين أنه ـ أعنى الحفظ عن ظهر قلب ـ هو المراد في الخبر ،

وهذا ظاهر من لفظ الخبر بأدنى تأمل . أ هـ . وقال صلى الله عليه وسلم . لمعاذ رضى الله عنه : (يا معاذ إن أردت عيش . السعداء ، وميتة الشهداء ، والنجاة يوم الحشر ، والأمن يوم الخوف ، والنور يوم الظلمات ، والظل يوم الحرور ، والرى يوم العطش ،والوزن يوم الخفة ، والهدى يوم الضلال ، فادرس القرآن ، فإنه ذكر الرحمن ، وحرز من الشيطان ، ورجحان في الميزان) أخرجه الديلمى . أ هـ إبن غازى .

فالمراد بقوله صلى الله عليه وسلم : (فادرس القرآن) أى احفظه ويراد به الفهم والتدبر ، فهى ـ أى كلمة ـ (فادرس) شاملة للحفظ والفهم والتدبر .

وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم اللهوجههقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من قرأ القرآن فاستظهره فأحل حلاله وحرم حرامه أدخله الله به الجنة وشفعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار رواه إبن ماجه والترمذى واللفظ له وقال حديث غريب . والذي يعنينا في الحديث قوله : (فاستظهره) أى حفظه . ولما كان القرآن الكريم أعظم كتاب أنزل ، كان المنزل عليه أفضل نبي أرسل ، وكانت أمته من العرب والعجم أفضل أمة أخرجت للناس من الأمم ، وقراؤه ومقرئوه أفضل هذه الملة . قال سبحانه وتعالى : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)[1] .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (أشرف أمتى حملة القرآن) . رواه الطبرانى . وفي رواية . (أشراف أمتى حملة القرآن وأصحاب الليل) .

وروى عن ابن عباس أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ثلاثة لا يكترثون للحساب ، ولا تفزعهم الصيحة ، ولا يحزنهم الفزع الأكبر :

(١) آل عمران (١١٠) .

حامل القرآن يؤديه إلى الله ، يقدم على ربه سيِّداً شريفاً حتى يرافق المرسلين ، ومن أذن سبع سنين لا يأخذ على أذانه طمعاً ، وعبد مملوك أدى حق الله من نفسه وحق مواليه) . شعب الايمان .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (خيركم من قرأ القرآن وأقرأه) رواه الطبرانى بإسناد جيد . وروى البخارى في صحيحه عن عثمان بن عفان رضى الله عنه ولفظه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) .

وكان الإمام أبو عبد الرحمن السلمى التابعى الجليل يقول لما يروى هذا الحديث عن عثمان : هذا الذي أقعدنى مقعدي هذا ـ يشير إلى كونه جالساً في المسجد الجامع بالكوفة يعلم القرآن ويقرئه ، مع جلالة قدره ، وكثرة علمه ، وحاجة الناس إلى علمه ، وبقى يقرىء الناس بجامع الكوفة ، أكثر من أربعين سنة ، وعليه قرأ الحسن والحسين رضى الله عنهما . ولذلك كان السلف رحمهم الله لا يعدلون بإقراء القرآن شيئا ، قيل لعبد الله بن مسعود رضى الله عنه : إنك تقل الصوم ـ قال : إنى إذا صمت ضعفت عن القرآن ، وتلاوة القرآن أحب إلىّ . وفي جامع الترمذى من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول اله صلى الله عليه وسلم : يقول الله عز وجل : (من شغله القرآن وذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (أفضل العبادة قراءة القرآن) .

وعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أفضل عبادة أمتى قراءة القرآن) . أخرجه البيهقى في شعب الايمان .

ولما سئل سفيان الثورى عن الرجل يغزو أحب إليك أو يقرىء القرآن

فقال : يقرىء القرآن ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) .

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : (من قرأ القرآن لم يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا) . وذلك قوله تعالى : (ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا)[1] . قال : إلا الذين قرءوا القرآن) .

وعن عبد الملك بن عمير : (أبقى الناس عقولاً قراء القرآن) .

ولقد تكفل الله بحفظ القرآن الكريم ، واصطفى من شاء من خلقه لتكون صدورهم أوعية حفظ لكتابه ، يدل على ذلك قوله سبحانه : (لا تحرك به لسانك لتعجل به ، إن علينا جمعه وقرآنه)[2] . جمعه ـ حفظه وتثبيته في صدرك فلا ينفلت منه شيء . وقوله تعالى : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)[3] .

وقوله تعالى : (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا)[4] .

فاختار الله سبحانه وتعالى لحفظ القرآن الكريم من اصطفاهم من عباده وجعلهم أهلا له سبحانه وتعالى :

يتجلى ذلك في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن لله أهلين من الناس ـ قيل من هم يا رسول الله ؟ قال : أهل القرآن هم أهل الله وخاصته) . رواه أنس .

وقال صلى الله عليه وسلم : (من قرأ القرآن ثم رأى أن أحدا أوتى أفضل مما أوتى فقد استصغر ما عظمه الله تعالى)

---

(١) التين : ٥ ـ ٦ .
(٢) سورة القيامة ١٦ ـ ١٧ .
(٣) الحجر ٩ .
(٤) فاطر ٣٢ .

وقال عليه الصلاة والسلام : (ما من شفيع أفضل منزلة عند الله يوم القيامة من القرآن لا نبى ولا ملك ولا غيرهما) .

وقال صلى الله عليه وسلم : (إن الله قرأ طه ويسٓ قبل أن يخلق الخلق بألفى عام فلما سمعت الملائكة القرآن : قالت طوبى لأمة ينزل عليهم هذا ، وطوبى لأجواف تحمل هذا ، وطوبى لألسنة تنطق بهذا) .

وورد في التوراة : (يا عبدى أما تستحى منى يأتيك كتاب من بعض إخوانك وأنت في الطريق تمشى فتعدل عن الطريق فتقعد لأجله وتقرؤه وتتدبره حرفا حرفا حتى لا يفوتك منه شيء .

وهذا كتاب أنزلته إليك . أنظر كم فصلت لك فيه من القول ، وكم كررت عليك فيه لتتأمل طوله وعرضه ، ثم أنت تعرض عنه ، أفكنت أهون عليك من بعض إخوانك ، يا عبدى . يقص عليك بعض إخوانك حديثا فتقبل عليه بكل وجهك وتصغى إلى حديثه بكل قلبك فإن كلمك متكلم أو شغلك شاغل عن حديثه أومأت إليه أن كف ـ وها أنا ذا مقبل عليك ، ومحدث لك وأنت تعرض عنى بقلبك ، أفجعلتنى أهون عندك من بعض إخوانك . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

فأقبل أيها المسلم على كتاب ، ربك بكل جوارحك وحواسك واتلوه حق تلاوته ، أو استمع إليه بخشوع وخضوع فلن تحرم الأجر قارئا أو مستمعا قال صلى الله عليه وسلم :

(من استمع إل آية من كتاب الله كتبت له حسنة مضاعفة ومن تلاها كانت له نورا يوم القيامة) .

واعلم أن الله سبحانه وتعالى يرفع بهذا الكتاب أقواما وهم من آمن به

وعمل بمقتضاه) ويضع به آخرين وهم من أعرض عنه ولم يحفظ وصاياه . فحملة القرآن حقا هم الذين يتخلقون به ، ويعرفون حدوده ، فيحلون حلاله ، ويحرمون حرامه ، لا أولئك الذين يقرءون القرآن ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يدرون ما آمره ولا زاجره لأنهم يقرءونه رياءا ولا يريدون بقراءتهم وجه الله .

قال الامام ابن الجزرى رحمه الله في فضل حملة القرآن الكريم وجزائهم

وبعد : فالانسانُ ليسَ يشرُفُ ... إلا بِما يحفظُهُ ويعرِفُ
لِذاكَ كَانَ حاملُو القُرآنِ ... أشرافَ الأمةِ أولي الإحسَانِ
وأنهمُ في الناسِ أهلُ اللهِ ... وأنَ رَبنَا بِهِم يُباهِي
وَقالَ في القرآنِ عنهُم وكفى ... بِأنهُ أورثه مَن اصْطفَى
وَهوَ في الأخرى شافع مُشفعُ ... فيه وقولُهُ عليه يُسْمَعُ
يُعطى به المُلكَ مع الخُلدِ إذا ... توجه تاج الكرامة كَذَا
يَقرَا ويرقى درج الجِنان ... وأبواه منه يُكسيان
فليحرص السعيد في تحصيله ... ولا يمل قط من ترتيلِهِ[1]

وقال صلى الله عليه وسلم : (من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى إليه ، لا ينبغى لصاحب القرآن أن يجد مع من وجد ، ولا يجهل مع من جهل ، وفي جوفه كلام الله) . رواه الحاكم وقال صحيح الأسناد.

وعن علي رضى الله عنه قال : قال رسول الله عليه وسلم : (حملة القرآن في ظل الله يوم لا ظل إلا ظلُه) أخرجه الديلمى .

---

(١) طيبة النشر في القراءات العشر (٥) الامام بن الجزرى

آدَابُ قارِئِ القرآنِ الكريم

يستحب لقارىء القرآن أن يكون على وضوء ، وأن ينظف فاه بالخلال ثم بالسواك قبل القراءة ، لقوله صلى الله عليه وسلم : (إن أفواهكم طرق القرآن فطيبوها بالسواك) ويقول عند الاستياك ـ اللهم بارك لي فيه يا أرحم الراحمين ، ويمر السواك على أطراف أسنانه وكراسى أضراسه وسقف حلقه إمرارا لطيفا .

وتكره القراءة لمتنجس الفم ، وقيل تحرم كمس المصحف باليد النجسة . ويسن للقارىء أن يكون متطيبا بماء ورد ونحوه ، لأن قراءةَ القرآن الكريم أفضل الأذكار قال عليه الصلاة والسلام .

(أفضل عبادة أمتى قراءة القرآن) أخرجه البيهقى في شعب الايمان . وإذا عرض له ريح أمسك عن القراءة حتى يتكامل خروجها، ثم يعود إلى قراءته إن كان يقرأ عن ظهر قلب ولا يحتاج لمس المصحف لأن مس المصحف لا يجوز لغير المتوضىء كما رواه أبو داود عن عطاء بن رباح .

قال النووى وهو أدب حسن .

وإذا تثاءب أمسك عن القراءة أيضا حتى ينقضى التثاؤب ، لأنه إذا قرأ القرآن فهو مخاطب لربه ، مناج له ، والتثاؤب من الشيطان . قال مجاهد : إذا تثاءبَت وأنت تقرأ فأمسك عن القراءة تعظيما وإجلالا للقرآن الكريم .

ومن السنة أن يقرأ في مكان نظيف ، وأفضله المسجد .

وكره قوم القراءة في الحمام والطريق . قال النووى : ومذهبنا لا تكره القراءة فيهما . والمقصود بكلام النووى والله أعلم : القراءة التي تجرى على القلب أثناء تواجد القارىء في الحمام ، أما في الطريق فلا بأس بالقراءة فيه .

وفي الإتقان : وأن لا يقرأ في الأسواق ولا في مواطن اللغط واللهو ومجمع السفهاء ، ألا ترى أن الله عز وجل ذكر عباد الرحمن وأثنى عليهم بأنهم إذا مروا باللغو مروا كراما . هذا لمروره بنفسه ، فكيف إذا مر بالقرآن الكريم تلاوة بين ظهرانى أهل اللغط والسفهاء ؟

ومن الأدب أن يجتنب الضحك والحديث الأجنبى أثناء القراءة إلا لحاجة كرد السلام أو تشميت العاطس .

قال الحليمى : لأن كلام الله لا ينبغى أن يُؤْثَر عليه كلام غيره .

وأيده البيهقى بما في الصحيح (كان ابن عمر رضى الله عنه إذا قرأ لا يتكلم حتى يفرغ منها ـ يعنى القراءة.

ويسن للقارىء أن يلبس ثياب التجمل كما يلبسها للدخول على الأمير ، لأنه يناجى ربه . وأن يجلس عند القراءة مستقبل القبلة ، وأن يكون جلوسه بسكينة ووقار ، مطرقا رأسه ، غير متربع ولا جالس على هيئة التكبر ،كما يسن له أن يخلوا بقراءته ، حتى لا يقطع عليه أحد القراءة بكلام فيخلطه بجوابه .

ويستحب له أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم قبل القراءة لقوله تعالى : (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم)[1] . أى إذا أردت القراءة فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ، وهو الذي عليه الجمهور ـ أى الاستعاذة قبل القراءة قديما وحديثا .

---

(١) النحل (٩٨) .

وذهب قوم إلى أن القارىء يتعوذ بعدها ـ أى بعد القراءة ـ لظاهر الآية . وهو بعيد .

وذهب قوم إلى وجوبها لظاهر الأمر . قال ابن الجزرى رحمه الله : . . . . . واستحب . . تعوذ وقال بعضهم يجب . وصيغتها المختارة عند عامة الفقهاء وجميع القراء (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) وتجوز غيرها سواء بالزيادة أو النقصان على ما هو واضح في كتب التجويد . **الجهر بها** : قال الدانى : ـ لا أعلم خلافا بين أهل الأداء في الجهر بها عند افتتاح القراءة .

قال ابن القاصح : وهذا في استعاذة القارىء على المقرىء أو بحضرة من يسمع قراءته . فأما من قرأ خاليا أو في الصلاة : فالإخفاء أولى في حقه ، ويكفيه تعوذ واحد ما لم يقطع قراءته بكلام أو فصل طويل ، كالفصل بين الركعات ، أى بأن يكون الفصل بين القراءتين قدر ركعة بأركانها وسننها . وإلا فلا يطلب منه الإتيان بالاستعاذة.

قال ابن الجزرى رحمه الله : وهل هي سنة عين أو كفاية؟ حتى لو قرأ جماعة جملة فهل تكفى استعاذة واحدة منهم كالتسمية على الأكل أو لا ؟ لم أر في ذلك نصا . والظاهر الأول : لأن المقصود اعتصام القارىء بالله والتجاؤه به .

وليحافظ القارىء على تلاوة البسملة أول كل سورة سوى براءة ، لأن أكثر العلماء على أنها آية من أول كل سورة ما عدا براءة فلا بسملة في أولها . فإذا أخل بها كان تاركا لبعض الختمة عند الأكثرين .

أما في الابتداء بما بعد أوائل السور ولو بكلمة فتجوز البسملة وعدمها لكل من القراء تخييرا . كذا أطلق الشاطبى كالدانى في التيسير .

وعلى اختيار البسملة بما بعد أوائل السور جمهور العراقيين .

وعلى اختيار عدمها جمهور المغاربة . ومنهم ـ أى من العلماء ـ من خص الإتيان بالبسملة بمن فَصَلَ بها بين السورتين كقالون ومن معه .

وتركها ـ أى ومنهم من خص تركها ـ بمن لم يَفْصِلْ بها كحمزة ومن معه . ويجوز على ترك البسملة ترك الوقف من التعوذ ووصل التعوذ بالقراءة، إلا أن يكون أول القراءة اسم جلالة أو نحو (إليه يرد علم الساعة) أو (هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة) **فالأولى** : الوقف على الاستعاذة لما في الوصل من البشاعة .

واختلف المتأخرون في أجزاء براءة .

هل هي كغيرها من السور أم لا ؟

اختار السخاوى : الجواز ـ أى جواز الإتيان بالبسملة في أجزاء براءة .

وإلى المنع ـ ذهب الجعبرى ـ أى منع الإتيان بالبسملة في وسط براءة . والمراد بالوسط ما بعد أول السورة ولو بكلمة كما علمت . والصواب كما في النشر أن يقال :

إن من ذهب إلى ترك البسملة في أواسط غير براءة فلا إشكال عنده في تركها وسط براءة .

وكذلك لا إشكال في ترك البسملة من وسط براءة عند من ذهب إلى التفصيل ، إذ البسملة عندهم في وسط السورة تابعة لأولها ، ولا تجوز البسملة في أولها ـ أى براءة ـ عند الأكثر فكذلك لا تجوز في وسطها .

وأما من ذهب إلى البسملة في الأجزاء مطلقا فإن اعتبر أصل العلة التي من أجلها حذفت البسملة وهي نزولها بالسيف كالشاطبى ومن تبعه لم يبسمل ، وإن لم يعتبر بقاء أثرها علة مانعة بسمل بلا نظر . قال ابن غازى : والسنة أن يصل

البسملة بالحمدلة ، وأن يجهر بها حيث يشرع الجهر بالقراءة .

١ ـ الجهر والإسرار بالقرآن :

إختلف العلماء في الجهر والإسرار بالقرآن ورووا في فضل كل منهما أحاديث كثيرة وآثارا مشهورة .

أولا : فضل الإسرار بالقراءة وأدلة استجابه :

روى أنه صلى الله عليه وسلم قال : (فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية) . وفي لفظ آخر : (الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر به كالمسر بالصدقة)

وفي الخبر العام : يفضل عمل السر على عمل العلانية بسبعين ضعفا . وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم : (خير الرزق ما يكفى ، وخير الذكر الخفّى)

ثانيا : فضل الجهر بالقرآن وأدلة استجابه .

روى أن النبى صلى الله عليه وسلم : سمع جماعة من أصحابه يجهرون بالقرآن في صلاة الليل فصوّب ذلك .

وقد قال صلى الله عليه وسلم : (إذا قام أحدكم من الليل يصلى فليجهر بالقراءة فإن الملائكة وعمار الدار يسمعون قراءته ويصلون بصلاته) . ومرّ صلى الله عليه وسلم بثلاثة من أصحابه رضى الله عنهم مختلفى الأحوال . فمر على أبى بكر رضى الله عنه وهو يخافت . فسأله عن ذلك . فقال : إن الذي أناجيه هو يسمعنى .

ومرّ على عمر رضى الله عنه وهو يجهر . فسأله عن ذلك . فقال : أوقظ الوسنان ، وأزجر الشيطان ، وأرض الرحمن . ومرّ على بلال وهو يقرأ آيات من

هذه السورة وآيات من هذه السورة ، ويسر تارة ويجهر أخرى . فسأله عن ذلك . فقال : أخلط الطيب بالطيب ، وأتنقل من بستان إلى بستان . فقال صلى الله عليه وسلم (كلكم قد أحسن وأصاب) فالوجه في الجمع بين هذه الأحاديث . أن **الأسرار أفضل** حيث خاف القارىء الرياء ، أو تأذى به مصلون أو نيام .

والجهر أفضل في غير ذلك . لأن العمل فيه أكثر ، ولأن فائدته تتعدى إلى السامعين ، ولأنه يوقظ قلب القارىء ، ويجمع همه إلى الفكر ، ويصرف سمعه إليه ، ويطرد النوم ، ويزيد في النشاط .

ويقوى هذا حديث أبى داود بسند صحيح عن أبى سعيد . اعتكف رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ، فسمعهم يجهرون بالقراءة فكشف الستر وقال : (ألا كلكم مناج لربه ، فلا يؤذين بعضكم بعضا ، ولا يرفعن بعضكم على بعض في القراءة) .

وقال بعضهم : يستحب الجهر ببعض القراءة والإسرار ببعضها ، لأن المسر قد يمل فيأنس بالجهر ، والجاهر قد يكل فيستريح بالإسرار . أ هـ . ويستحب للقارىء إذا مر بأحد وهو - أى القارىء - يقرأ أن يقطع القراءة ويسلم ، ثم يرجع لقراءته ، ولو أعاد التعوذ كان حسنا . ويقطعها لرد السلام وجوبا ، وللحمد بعد العطاس وللتشميت ولإجابة المؤذن ندبا .

وإذا وَرَدَ عليه من فيه فضيلة من علم أو صلاح أو شرف فلا بأس بالقيام له على سبيل الإكرام لا للرياء .

ومن أدب التلاوة أن يستحضر قارىء القرآن في ذهنه أنه يناجى ربه ، ويتلو كتابه فيقرأ على حالةٍ من يرى الله تعالى ، فإن لم يكن يراه فإن الله يراه .

ويكره اتخاذ القرآن معيشة وأعنى بذلك هؤلاء الذين يجلسون على أبواب

المساجد أو في الشوارع أو في وسائل المواصلات أو القبور يقرأون القرآن كى يحصلوا على بعض المال .

قال في الاتقان : ويكره اتخاذ القرآن معيشة لما رواه عمران بن حصين مرفوعا : (من قرأ القرآن فليسأل الله به ، فإنه سيأتى قوم يقرءون القرآن يسألون به الناس) .

ومن آداب القراءة أن يكون القارىء على طهارة كما تقدم قال سبحانه وتعالى : (إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون)[1] .

قال الطبرى : والصواب من القول في ذلك عندنا ، أن الله جل ثناؤه ، أخبر أنه لا يمس الكتاب المكنون إلا المطهرون . فعّم بخبره المطهرين ولم يخصص بعضا دون بعض ، فالملائكة من المطهرين ، والرسل والأنبياء من المطهرين ، وكل من كان مطهرا من الذنوب فهو من المستثنى وعنى بقوله : (لا يمسه إلا المطهرون) إنتهى .

وفي تفسير القرطبى : اختلف في معنى : (لا يمسه) هل هو حقيقة في المس بالجارحة أو معنى ؟ وكذا اختلف في (المطهرون) من هم ؟ قال أنس وسعيد بن جبير : لا يمس ذلك الكتاب إلا المطهرون من الذنوب وهم الملائكة .

وكذا قال أبو العالية وابن زيد : إنهم الذين طهروا من الذنوب كالرسل من الملائكة والرسل من بنى آدم. فجبريل النازل بالقرآن مطهر، والرسل الذين يجيئهم بذلك مطهرون .

وقال الكلبى : هم السفرة الكرام البررة . وهذا كله قول واحد . وهو نحو ما اختاره مالك حيث قال : أحسن ما سمعت في قوله تعالى : (لا يمسه إلا

---

(١) الواقعة (٧٧ - ٧٩) .

المطهرون) أنها بمنزلة الآية التي في (عبس وتولى) وهي قوله تعالى : (فمن شاء ذكره ـ في صحف مكرمة ـ مرفوعة مطهرة ـ بأيدى سفرة ـ كرام برره)[1] . يريد أن المطهرين هم الملائكة الذين وصفوا بالطهارة في سورة (عبس) وقيل : لا يمس اللوح المحفوظ الذي هو الكتاب المكنون إلا الملائكة المطهرون .

وقيل : المراد بالكتاب المصحف الذي بأيدينا ، وهو الأظهر ، وهذا القول نميل إليه ونؤيده ونختاره .

قال ابن عمر : قال النبى صلى الله عليه وسلم : (لا تمس القرآن إلا وأنت طاهر) وقالت أخت عمر لعمر عند إسلامه وقد دخل عليها ودعا بالصحيفة :

(لا يمسه إلا المطهرون) فقام واغتسل وأسلم بعد أن قرأ الآيات من أول سورة (طه) .

وقيل معنى : (لا يمسه) لا يقرؤه . (إلا المطهرون) إلا الموحدون قاله محمد بن فضيل وعبيدة .

قال عكرمة : كان ابن عباس ينهى أن يمكن أحد من اليهود والنصارى من قراءة القرآن .

هذه بعض آراء العلماء في هذه الآية الكريمة . فما حكم مس المصحف لغير المتوضىء ؟ وما حكم قراءة القرآن للجنب والحائض والنفساء ؟ هذا ما سنجيب عليه مفصلا فيما يأتى :

٢ ـ حكم مس المصحف لغير المتوضىء .

أ ـ ذهب الجمهور إلى منع مس المصحف لغير المتوضىء لحديث عمرو بن

---

(١) عبس (١٢ ـ ١٦) .

حزم وهو : (أن لا يمس القرآن إلا طاهر) وهو مذهب على وابن مسعود وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد وعطاء والزهرى والنخعى والحكم وحماد وجماعة من الفقهاء منهم مالك والشافعى .

ويحرم عليه عند جمهور الشافعية وكثير من الفقهاء على اختلاف مذاهبهم مَسّ المصحف، وحمله من غير حائل ، إلا لضرورة ، لقوله تعالى في سورة الواقعة : (لا يمسه إلا المطهرون) .

وقد أجاز بعض الفقهاء ، مسه وحمله لغير المتوضىء لعدم وضوح الدليل ، فقد حملوا الطهارة في الآية على الطهارة من الحدث الأكبر دون الحدث الأصغر ، فحرموا مسه وحمله على الجنب، والحائض والنفساء ، ولم يحرموا ذلك على غير المتوضىء[1] .

ب واختلفت الرواية عن أبى حنيفة :

الأولى : أنه يمسه المحدث . وروى هذا عن جماعة من السلف منهم ابن عباس والشعبى وغيرهما .

الثانية : أن المحدث يمس ظاهره وحواشيه وما لا مكتوب فيه ، أى القرآن المكتوب في القراطيس أو في الرسائل .

وأما الكتاب فلا يمسه إلا طاهر . وأعنى المصحف الذي جمع فيه القرآن الكريم بين دفتين من أول الفاتحة إلى آخر سورة الناس .

قال ابن العربى : وهذا إن سلمه مما يقوى الحجة عليه ، لأن تحريم الممنوع ممنوع . وفيما كتبه النبى صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم أقوى دليل عليه .

قال مالك : لا يحمله غير طاهر بعلاقة ولا على وسادة .

(١) الفقه الواضح من الكتاب والسنة على المذاهب الأربعة . الشيخ محمد بكر إسماعيل (٨٧) .

وقال أبو حنيفة : لا بأس بذلك . ولم يمنع من حمله بعلاقة أو مسه بحائل

وقد روى عن الحكم وحماد وداود بن علىّ على أنه لا بأس بحمله ومسه للمسلم والكافر طاهرا أو محدثا ، إلا أن داود قال : لا يجوز للمشرك حمله .

واحتج هؤلاء في إباحة ذلك بكتاب النبى صلى الله عليه وسلم إلى قيصر، وهو موضع ضرورة فلا حجة به .

والذي نطمئن إليه . أنه لا يجوز مس المصحف أو حمله لغير المتوضىء كما هو رأى كثير من الصحابة والفقهاء ، وإن أجاز ذلك غيرهم .

٣ ـ حكم مس المصحف وحمله للصبيان ومعلم القرآن :

اختلف العلماء في حكم مس المصحف وحمله للصبيان ومعلم القرآن :

(أ) فأما حكم مسه للصبيان فعلى وجهين :

الوجه الأول : المنع اعتبارا بالبالغ .

الوجه الثاني : الجواز لأنه لو منع لم يحفظ القرآن ، لأن تعلمه حال الصغر ، ولأن الصبى وإن كانت له طهارة إلا أنها ليست بكاملة ، لأن النية لا تصح منه ، فإذا جاز أن يحمله على غير طهارة كاملة جاز أن يحمله محدثاً . فلا يمنع المميز المحدث من مس مصحف ولوح لدراسته وتعلمه .

(ب) وأما معلم القرآن :

فلا يجوز له أن يمس المصحف على غير وضوء . لكن أفتى الإمام بن حجر بأنه يسامح لمعلم القرآن ومؤدب الأطفال الذي لا يستطيع أن يقيم على الطهارة في مس الألواح لما في استمراره على الوضوء من المشقة ، لكن يتيمم لأنه أسهل من

الوضوء ، فإن استمرت المشقة فلا حرج من مس المصحف والألواح .

٤ ـ حكم قراءة القرآن للجنب والحائض

(أ) يحرم على الجنب أن يباشر عملاً من الأعمال الشرعية الموقوفة على الوضوء قبل أن يغتسل ، ومن هذه الأعمال قراءة القرآن .

فيحرم عليه قراءة القرآن وهو جنب .

فعن علىّ كرم الله وجهه قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى حاجته ثم يخرج فيقرأ القرآن ويأكل معنا اللحم ولا يحجبه ـ وربما قال : لا يحجزه من القرآن شيء ليس الجنابة) . رواه الخمسة . لكن لفظ الترمذى مختصر :

(كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئنا القرآن على كل حال ما لم يكن جنبا) . وقال حديث حسن صحيح .

قال الحافظ في الفتح :وضعف بعضهم بعض رواياته ـ والحق أنه من قبيل الحسن يصلح للحجة . والحديث يدل على أن الجنب لا يقرأ القرآن .

وقد ذهب إلى تحريم قراءة القرآن على الجنب القاسم والهادى والشافعى من غير فرق بين الآية وما دونها وما فوقها . **وهذا هو مذهب الجمهور** .

واحتج **هؤلاء** بحديثٍ عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (لا يقرأ الجنب ولا الحائض شيئا من القرآن) . راوه أبو داود والترمذى وابن ماجه .

والحديث يدل على تحريم القراءة على الجنب ، ويدل أيضا على تحريم القراءة على الحائض . وقد قال به قوم .

واحتجوا أيضا بحديث (اقرءوا القرآن ما لم يصب أحدكم جنابة ، فإن

أصابته فلا ولو حرفا)

وأخرج أبو يعلى من حديث علىّ رضى الله عنه قال:(رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ ثم قرأ شيئاً من القرآن ثم قال : هكذا لمن ليس بجنب أما الجنب فلا ولا آية) .

قال الهيثمى : رجاله موثوقون . فإن صح هذا صلح للاستدلال به على التحريم . وفي هذا الحديث إشارة إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يحب أن يقرأ القرآن وهو على وضوء . يدل لذلك قوله : (توضأ ثم قرأ شيئاً من القرآن) .

(ب) حكم قراءة اليسير من القرآن للجنب

رخص الشارع في تلاوة اليسير من القرآن بشروط مفصلة في المذاهب على النحو التالي :

(أ) المالكية : قالوا لا يحب للجنب أن يقرأ القرآن إلا بشرطين :

الأول : أن يقرأ ما تيسر من القرآن كآية ونحوها في حالتين :

(أ) أن يقصد بذلك التحصن من عدو ونحوه .

(ب) أن يستدل على حكم من الأحكام الشرعية . وفيما عدا ذلك لا يحل له أن يقرأ شيئاً من القرآن كثيراً كان أو قليلاً . وأكتفى بالشرط الأول توضيحاً لمذهب المالكية .

(ب) **الحنفية** : قالوا يحرم على الجنب تلاوة القرآن قليلا كان أو كثيراً إلا في حالتين أيضاً .

(أ) أن يفتتح أمراً من الأمور الهامة ـ ذات بال بالتسمية . فإنه يجوز للجنب

في هذه الحالة أن يأتى بالتسمية مع كونها قرآناً .

(ب) أن يقرأ آية قصيرة ليدعو بها لأحد ، أو ليثنى بها على أحد . كأن يقول : (رب اغفر لي ولوالدى) أو يقول : (أشداء على الكفار رحماء بينهم) .

وهكذا كل ما يقصد به الذكر لا التلاوة . (كيا مريم اقنتى) فإنه يجوز للجنب قراءته . وهو قول المؤ يد بالله والإمام يحيى وبعض أصحاب أبى حنيفة رضى الله عنه .

(جـ) الشافعية : قالوا يحرم على الجنب قراءة القرآن ولو حرفاً واحداً إن كان قاصداً تلاوته .

أما إذا قصد الذكر أو جرى القرآن على لسانه من غير قصد فلا يحرم . ومثال ما يقصد به الذكر أن يقول عند الأكل (بسم الله الرحمن الرحيم) أو يقول عند الركوب (سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين) .

كما يجوز لفاقد الطهورين ـ الماء والتراب ـ أن يقرأ القرآن في صلاته التي أبيحت له للضرورة وهي صلاة الفرض وكذلك الحائض والنفساء يجوز لهما قراءة القرآن على سبيل الذكر لا لقصد التلاوة .

(د) **الحنابلة**: قالوا يباح للمحدث حدثا أكبر بلا عذر أن يقرأ ما دون الآية الصغيرة أو قدره من الطويلة . ويحرم عليه قراءة ما زاد على ذلك ، وله أن يأتى بذكر يوافق لفظ القرآن .

ويحرم على الحائض أو النفساء أن تباشر الأعمال الدينية التي تحرم على الجنب من صلاة ومس مصحف وقراءة القرآن . لكن ذهب البخارى والطبرانى وداود وابن حزم إلى جواز القراءة للجنب . قال البخارى : قال ابراهيم : لا

بأس أن تقرأ الحائض الآية ، ولم ير ابن عباس بالقراءة للجنب بأساً . وتمسك هؤ لاء بعموم حديث عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كان يذكر الله على كل أحيانه) .

وبالبراءة الأصلية حتى يصح ما يصلح لتخصيص هذا العموم وللنقل عن هذه البراءة . قال الحافظ : تعليقا على هذا ، لم يصح عند المصنف (يعنى البخارى شيء من الأحاديث الواردة في ذلك : أى من منع الجنب والحائض من القراءة ، وإن كان مجموع ما ورد في ذلك تقوم به الحجة عند غيره لكن أكثرها قابل للتأويل .

ونحن نطمئن لرأى الجمهور وهو تحريم قراءة القرآن ولو حرفاً واحداً إن كان مقصودا به التلاوة .

وننبه إلى أن المقصود بجواز القراءة للجنب هي القراءة التي تكون عن ظهر قلب دون مس المصحف ، أما القراءة للجنب مع مس المصحف فهي محرمة عليه باتفاق الجميع . وكذلك يحرم مس المصحف لغير المتوضيء إلا للصبيان ومعلم القرآن كما بيناه سابقاً .

هذه هي آراء العلماء وأقوالهم في حكم قراءة القرآن للجنب والحائض والنفساء .

ومن آداب قراءة القرآن أن يجتهد المسلم في حفظه وتحرير النطق بلفظه ، والبحث عن مخارج حروفه ومعانى صفاتها ، والرغبة في تحسين الصوت به ونحو ذلك وهو حسن مطلوب .

لكن فوقه ما هو أهم منه وأولى وأتم ،وهو فهم معانيه ،والتفكر فيه ،والعمل بمقتضاه ، والوقوف عند حدوده ، والتأدب بآدابه فقد روى في فضائل القرآن لأبى عبيد القاسم بن سلام عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة في قوله تعالى :

(الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤ منون به)[1] قال : يتبعونه حق اتباعه . وقال الغزالى رحمه الله : تلاوة القرآن حق تلاوته . أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب ـ فحظ اللسان تصحيح الحروف ، وحظ العقل تفسير المعانى، وحظ القلب الاتعاظ والتأثر والانزجار والائتمار.

فاللسان يرتل ، والعقل ينزجر والقلب يتعظ.

وفي الجامع الكبير للسيوطى رحمه الله من حديث أبى بن كعب رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم ـ صلى بالناس فقرأ عليهم سورة فأغفل منها آية فسألهم (هل تركت منها شيئا) فسكتوا . فقال : (ما بال أقوام يقرأ عليهم كتاب الله لا يدرون ما قرىء عليهم منه ولا ما ترك هكذا كانت بنوا إسرائيل خرجت خشية الله من قلوبهم فغابت قلوبهم وشهدت أبدانهم ألا وإن الله عز وجل لا يقبل من أحد عملا حتى يشهد بقلبه ما شهد ببدنه) أ هـ إتحاف .

وفي الدر النظيم ـ يجب على القارىء أن يخلص في قراءته وأن يريد بها وجه الله تعالى ، وألا يقصد بها الوصول إلى شيء سوى ذلك . ويسن للقارىء أن يقرأ على ترتيب المصحف ، قال في شرح المهذب : لأن ترتيبه لحكمة فلا يتركها إلا فيما ورد به الشرع كصلاة صبح يوم الجمعة (بألم تنزيل)، (وهل أتى على الإنسان) ، ونظائره ، فلو فرق السور أو عكسها جاز ، وقد ترك الأفضل . وجاز له أن يلتقط الآيات من كل سورة فيقرأها ، فإنه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه مر ببلال رضى الله عنه . وهو يقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة فقال : (يا بلال مررت بك وأنت تقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة) قال : أخلط الطيب بالطيب ـ فقال : (اقرأ السورة على وجهها أو قال على نحوها) .

---

(١) البقرة (١٢١)

وقال ابن عوف : سألت ابن سيرين عن الرجل يقرأ من السورة آيتين ثم يدعها ويأخذ في غيرها . قال : ليتق الله أحدكم أن يأثم إثما كبيرا وهو لا يشعر .

ومن آداب التلاوة : أن يقرأ القرآن بالترتيل لقوله تعالى (ورتل القرآن ترتيلا)[1] . قال ابن عباس رضي الله عنهما : لأن أقرأ البقرة وآل عمران أرتلهما وأتدبرهما أحب إلى من أن أقرأ القرآن كله هذرمة[2] .

وأن يقرأه بالتدبر والتفهم ، لأنه المقصود الأعظم ، والمطلوب الأهم وبه تنشرح الصدور ، وتستنير القلوب ، قال تعالى : (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته)[3] وقال تعالى : (أفلا يتدبرون القرآن)[4] . وصفة ذلك أو طريقة التدبر أن يشغل القارىء قلبه بالتفكر في معنى ما يلفظ به ، فيعرف معنى كل آية ، ويتأمل الأوامر والنواهى ، ويعتقد قبول ذلك ، فإن كان مما قصر عنه فيما مضى اعتذر واستغفر .

وإذا مر بآية فيها اسم محمد صلى الله عليه وسلم ! صلى عليه سواء القارىء والمستمع ، ويتأكد ذلك ـ أى الصلاة على رسول الله ـ عند قوله تعالى : (إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما)[5] اللهم صلى وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وإذا مر بآية رحمة استبشر وسأل ، أو آية عذاب أشفق وتعوذ ، أو آية تنزيه نزه وعظم ، أو آية دعاء تضرع وطلب .

---

(١) المزمل (٤)

(٢) الهذرمة : شدة السرعة في القراءة .

(٣) ص (٢٩)

(٤) محمد (٢٤)

(٥) الأحزاب (٥٦) .

اخرج أبو داود والنسائى وغيرهما عن عوف بن مالك قال: قمت مع النبى صلى الله عليه وسلم ليلة فقام فقرأ سورة البقرة . لا يمر بآية رحمة الاوقف وسأل ، ولا يمر بآية عذاب الا وقف وتعوذ .

وروى أبو داود والترمذى حديث(من قرأ والتين والزيتون) فانتهى إلى آخرها فليقل : بلى : وأنا على ذلك من الشاهدين ، (ومن قرأ لا أقسم بيوم القيامة) فانتهى إلى آخرها وهو قوله تعالى : (أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى) فليقل : بلى . (ومن قرأ والمرسلات فبلغ (فبأى حديث بعده يؤمنون) فليقل: آمنا بالله) .

قال النووى رحمه الله قلت : وفي (فبأى آلاء ربكما تكذبان) يقول : (ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد) رواه الحاكم . وفي : (فمن يأتيكم بماء معين) يقول : الله رب العالمين . وفي ختم والضحى وما بعدها التكبير : رواه البيهقى .

وكان إبراهيم النخعى رحمه الله إذا قرأ :(وقالت اليهود عزيز ابن الله) حفض بها صوته .

ومن آداب تلاوة القرآن أن يكثر القارىء من البكاء عند القراءة كقوله صلى الله عليه وسلم: (اتلوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا) وقال ابن عباس رضى الله عنهما ـ إذا قرأتم سجدة سبحان ـ أى سجدة سورة الإسراء ـ فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فإن لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه ـ وإنما طريق تكلف البكاء أن يحضر قلبه الحزن فمن الحزن ينشأ البكاء.

قال صلى الله عليه وسلم : (إن القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فتحازنوا) وقال سبحانه وتعالى (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من

الدمع مما عرفوا من الحق)[1] ووجه إحضار الحزن أن يتأمل القارىء أو المستمع ما في التهديد والوعيد والمواثيق والعهود ـ ثم يتأمل في تقصيره في امتثال أوامره وزواجره فيحزن لا محالة ويبكى، فإن لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر أرباب القلوب الصافية، فليبك على فقد الحزن والبكاء، فإن ذلك من أعظم المصائب . روى أن البكاء عند القراءة أو سماع القرآن صفة العارفين وشعار عباد الله الصالحين.

ومن الأدب أن يراعى حق الآيات، فإذ مر بآية سجدة من سجدات التلاوة سجد ندبا خلافا للحنفية حيث قالوا بوجوبها وسيأتى توضيح سجود التلاوة في موضعه فاصبر وما صبرك إلا بالله . ويستحب للقارىء إذا انتهت قراءته أن يصدق الله ربه ، ويشهد بالبلاغ لرسوله صلى الله عليه وسلم ، ويشهد على ذلك أنه حق فيقول : صدق الله العظيم ، وبلغ رسوله الكريم ، ونحن على ذلك من الشاهدين، اللهم اجعلنا من شهداء الحق ، القائمين بالقسط، ثم يدعو بما أحب من الأدعية .

ومن الأدب : أنه إذا ارتج ـ أى غاب ـ على القارىء فلم يدر ما بعد الموضع الذي انتهى إليه فسأل عنه غيره فينبغى له أن يتأدب بما جاد عن ابن مسعود والنخفى وبشير بن أبى مسعود ـ قالوا : إذا سأل أحدكم أخاه عن آية فيقرأ ما قبلها ثم يسكت ، ولا يقول : كيف كذا وكذا ؟ فإنه يلبس عليه . أ هـ .

٥ ـ كتابة المصاحف .

يحرم كتب القرآن أو شيء من أسمائه تعالى بنجس أو على نجس . ومسه بنجس ـ كما يحرم محو القرآن المكتوب على الألواح بالريق ـ أى البصْق عليه ـ كما كنا نفعل ذلك أطفالا في الألواح التي كنا نكتب عليها القرآن في مكتب المعلم رحمه الله . أما إذا بصق على خرقة ومحاه ـ أى القرآن بها لم يحرم . والأفضل أن يبلل

---

(١) المائدة (٨٣) .

الحرقة بالماء تعظيما وإجلالا للقرآن . ويكره كتب القرآن على حائط ولو لمسجد وثياب وطعام ونحو ذلك . ولا يكره كتب شيء من القرآن في إناء ليسقى ماؤه للشفاء خلافا لما وقع لابن عبد السلام في فتاويه من التحريم ونحن نختار هذا الرأى .

ويستحب كتب المصحف وإيضاحه إكراما له ـ وكذا يستحب نقطه وشكله ، صيانة له من اللحن والتحريف .

قال في إرشاد القراء والكاتبين : فينبغى لمن يريد أن يكتب مصحفا أن تكون كتابته على مقتضى الرسم العثمانى ، ولا يكتبه على مقتضى الخط المتداول على القياس ، ولا يجوز لأحد أن يطعن في شيء من مرسوم الصحابة الأكابر ، إذ الطعن في الكتابة كالطعن في التلاوة . وقال أشهب سئل مالك رحمه الله : هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء اليوم فقال : لا إلا على الكتْبَةِ الأولى . قال الدانى في المحكم : ولا مخالف لمالك في ذلك من علماء الأمة لأن ما روى عنه ، هو مذهب الأمة . ومستند الأئمة الأربع هو مستند الخلفاء الأربع .

ثم روى عنه أيضا : أن هذا في غير المصاحف الصغار التي يتعلم فيها الصبيان وألواحهم . أما هى ـ أى المصاحف التي أعدت للتلاوة فلا . قال ناظم المورد الإمام الخراز .

ومالك حض على الاتباع : لفعلهم وترك الابتداع

إذ منع السائل من أن يحْدِثا : في الأمهات نقط ما قد أحدثا

وإنما رآه للصبيان في الصحف والألواح للبيان
والأمهات ملجأ للناس فمنع النقط للالتباس

يشير بذلك إلى وجوب اقتفاء ما فعله عثمان والصحابة برسوم المصاحف ، وأن مالك بن أنس حث على اتباع رسومها ، ونهى عن الابتداع فيها ، ومنع السائل

من أن يحدثا في الأمهات وهي المصاحف الكاملة ذلك النقط الذي حدث في عصر السائل، لأن الأمهات ملجأ ومقصدا للناس يرجعون إليها، والنقط يحدث فيها اللبس والخفاء، وإنما جوزه مالك في الصحف والألواح التي يكتبها الصبيان والمتعلمون ولو كبارا للتسهيل عليهم[1] .

ومعلوم أن هذا قبل حدوث نقط الاعراب الذي وضعه أبو الأسود الدؤ لى بأمر زياد بن أبى زياد والى البصرة في خلافة معاوية بن أبى سفيان ، ونقط الأعجام الذي حدث وقام بوضعه نصر بن عاصم ويحى بن يعمر بأمر الحجاج بن يوسف الثقفى والى العراق من قِبَلِ أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ـ وقال صاحب الجوهر الفريد : قال البيهقى في شعب الإيمان ـ من كتب مصحفا ينبغى له أن يحافظ على الهجاء الذي كتب به الصحابة المصاحف ، ولا يخالفهم في شيء مما كتبوه ، فإنهم كانوا أكثر علما . وأصدق قلبا ولسانا ، وأعظم أمانة منا ، فلا يصح أن نظن بأنفسنا استدراكا عليهم رضى الله عنهم أجمعين .

ويستحب تقبيل المصحف بالقياس على تقبيل الحجر الأسود لأنه هدية من الله عز وجل فشرع تقبيله ، كما يستحب تطييبه وتعظيمه وجعله على كرسي، أو على محل مرتفع ، أو فوق سائر الكتب تعظيما له .

ويحرم على المحدث ولو حدثا أصغر مس شيء من المصحف وحمله وكذا مسه وَمَسُّ خريطه وصندوق فيهما مصحف بشرط أن يكونا معدين له ، وكذا مس علاقة لائقة به ، ومس جميع كرسى بشرط أن يكونا عليه المصحف ، ويحرم مس ما كتب لِدراسة قرآن ولو بعض آيه لأن القرآن قد أثبت فيه للدراسة .

أما ما كتب لغير الدراسة كالتميمة وهي ورقة يكتب فيها شيء من القرآن وتعلق على الرأس للتبرك ، كما يحرم توسده لأن فيه إذلالا وامتهانا وكذا مد

(١) لطائف البيان في رسم القرآن : شرح مورد الظمآن : أحمد أبو زيتحار: جـ١ : (٨).

الرجلين إليه .

والقراءة في المصحف أفضل منها عن ظهر قلب ، لأنه يجمع القراءة والنظر في المصحف وهي عبادة أخرى .

وليس هذا تشجيعا لترك حفظ القرآن عن ظهر قلب ، والاكتفاء بالقراءة في المصحف ، وإنما هو بيان لأفضل القراءة . فإذا كان إنسان يحفظ القرآن عن ظهر قلب ونظر في المصحف حين القراءة فهو أفضل . نعم إن زاد خشوعه وحضور قلبه في قراءته عن ظهر قلب فهو أفضل في حقه . قال النووى : تفقها وَهو أدب حسن . أ هـ .

آدَابُ الاستِمَاعِ لِقَرَاءةِ القرآن

يجب الاستماع والانصات لقراءة القرآن ، وترك اللغط والحديث الأجنبي بحضور القراءة ـ أي أثنائها ـ قال سبحانه وتعالى : (وإذا قريء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون)[1] أي إذا قرأ أي قاريء غيركم فاستمعوا له سماع تدبر وتفكر .

واللام في قوله : (له) قيل : إنها لام الأجل ، وقيل : إنها صلة .

والمعنى فاستمعوه ، وقيل : إنها بمعنى إلى .

والانصات معناه السكوت ، يقال نصت وأنصت إذا سكت .

(لعلكم ترحمون) أي لكي تفوزوا بالرحمة التي هي أقصى ما تبتغون .

وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من استمع إلى آية من كتاب الله كتبت له حسنة مضاعفة ، ومن تلاها كانت له نورا يوم القيامة) رواه أحمد عن عبادة بن ميسرة . وقد وردت الآية هكذا عامة في وجوب الاستماع والإنْصات عند قراءة القرآن في كل الأحوال وعلى جميع الأوضاع خارج الصلاة وداخلها .

كل ذلك يجب فيه الاستماع والانصات للقرآن الكريم إذا قرىء .

---

(١) الأعراف (٢٠٤) .

حكم الاستماع خلف الامام

اختلف العلماء في حكم الاستماع للقراءة خلف الامام في الصلاة .

هل يجب على المأموم الاستماع والإنصات ويسقط عنه فرض القراءة ؟ أم لا يجب عليه الاستماع بل عليه أن يقرأ سواء في ذلك جهرية الامام وسريته أو ذلك خاص بالسرية دون الجهرية .

ولنوضح آراء العلماء واختلافهم في هذا الحكم مبينين رأي كل فريق والأدلة التي بنى عليها مذهبه .

أولاً : الحنفية .

ذهب الحنفية إلى أن المأموم لا يقرأ خلف الامام مطلقاً جهراً كان يقرأ الامام أم سراً .

واستدلوا بما يأتي :

أ ـ بظاهر قوله تعالى : (وإذا قريء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) ويقولون : إن الله تعالى طلب ممن قريء القرآن بمحضر منه شيئين : الاستماع والانصات . وذلك عام في كل الأحوال والأوقات لا يخرج منه شيء إلاّ ما أخرجه الدليل مثلاً ما إذا كان المصلي يصلي وآخر ليس معه في الصلاة يقرأ كان ذلك خارجاً على وجوب الاستماع والانصات .

وإذا كانت الصلاة جهرية أمكن تحقيق الأمرين جميعاً الاستماع والانصات ـ الذي هو السكوت . وإذا كانت الصلاة سرية اكتفينا منه بالانصات لأنه الممكن وهو يعلم أن المأموم يقرأ فعليه أن يلزم الصمت عملاً بهذه الآية . والحنفية في هذا الذي ذهبوا إليه يشاركون كثيراً من أجلة الصحابة رضوان الله عليهم ، فهو مذهب

على وابن مسعود وسعد وجابر وابن عباس وغيرهم . بل لقد روى عن معظمهم ذم من قرأ خلف الامام .

فقد رَوَى عبد الرحمن بن أبي ليلى عن على كرم الله وجهه قال :ومـن قرأ خلف الامام فقد أخطأ الفطرة .

وعن زيد بن ثابت قال : من قرأ خلف الامام مليء فوه تراباً .

وقال الشعبى : أدركت سبعين بدرياً ـ أي ممن حضروا معركة بدر ـ كلهم يمنعون المقتدي عن القراءة خلف الامام .

ب ـ واستدل الحنفية أيضاً على مذهبهم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقد أخرج بن أبي شيبة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إنما جعل الامام ليؤ تم به فإذا كبر فكبروا وإذا قرأ فأنصتـوا) . واستدلوا أيضاً بما جاء عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من صلى خلف إمام فإن قراءته له قراءة) .

ثانياً : ذهب جماعة : إلى أن المأموم يقرأ إذا أسر الامام ولا يقرأ إذا جهر . وهو قول عروة بن الزبير والقاسم بن محمد والزهري وابن المبارك . **ومذهب مالك وأحمد .**

واستدل المالكية ومن يرى رأيهم بما رواه مالك وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : انصرف من صلاة جهر فيها بالقراءة وقال : (هل قرأ أحد منكم آنفاً) فقال رجل نعم يا رسـول الله . فقال : (إني أقول مالي أُنَازَعُ في القرآن) قال : فانتهى الناس عن القـراءة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جهر فيه من الصلوات بالقراءة حين سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثالثاً : الشافعية :

ذهب الشافعي رضى الله عنه فيما رواه المزني عنه إلى أن المأموم يقرأ مطلقاً أسر الامام أم جهر .

وروى البويضي عنه أنه يقرأ في السرية أُمّ القرآن ويضم إليها السورة . وفي الجهرية أم القرآن فقط .

قال الألوسى : **والمشهور عند الشافعية** أنه لا سورة للمأموم الذي يسمع الامام في جهرية بل يستمع ، فإن بعد ـ أي المأموم عن الامام بأن لم يسمع ، أو سمع صوتاً لا يميز حرفه ، أو كانت ـ أي الصلاة ـ سرية قرأ المأموم في الأصح . وهو ما نختاره ونؤ يده .

واحتج الشافعية بما يأتي :

أ ـ بما رواه مسلم عن عمران بن حصين قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الظهر أو العصر فقال : (أيكم قرأ خلفي بسبح اسم ربك الأعلى) فقال رجل أنا : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (قد علمت أن بعضكم خالجنيها) .

ب ـ واحتجوا أيضاً بما روى عن عبادة بن الصامت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح فثقلت عليه القراءة فلما انصرف قال : (إني لأراكم تقرأون خلف إمامكم) قال : قلنا يا رسول الله أي والله . قال : (فلا تفعلوا إلا بأم القرآن) .

جـ ـ واحتجوا أيضاً بما ثبت من أنه (لا صلاة إلاّ بقراءة ولا صلاة إلا بفاتحة الكتاب) وبقوله تعالى : (فاقرءوا ما تيسر منه)[1] . وقد جمع البخارى رحمه الله في

(١) المزمل (٢٠) .

المسألة جزءاً كاملاً ، وكان رأيه رحمه الله أن المأموم يقرأ بفاتحة الكتاب خلف الامام في الصلاة الجهرية وهو مذهب الشافعية ، ورواية عن مالك رضى الله عنه[1] . وعلى كل حال فإن أدلة هذه المسألة متعارضة وقد سلك كل إمام طريقاً في الجمع بينهما ومن أراد المزيد فليرجع إلى كتب الفقه .

---

(١) تفسير آيات الأحكام : الشيخ محمد علي السايس (٢٣٠ ـ ٢٣٨) بتصرف .

آداب المعلّم

يشترط في معلم القرآن أن يكون مسلماً بالغاً عاقلاً ثِقَةً مأموناً ضابطاً متنزهاً عن أسباب الفسق ومسقطات المروءة .

ولا يجوز له أن يقرأ إلا بما سمعه ممن توفرت فيه هذه الشروط ، أو قرأ عليه القرآن وهو مصغ له ، أو سمعه بقراءة غيره عليه ، وهو ما يسمى بالتواتر أو صحة السند .

ويجب على معلم القرآن أن يخلص النية لله تعالى، ولا يقصد غرضاً من أغراض الدنيا كمعلوم يأخذه على ذلك ، أو ثناء يَلْحَقُهُ من الناس ، أو منزلة تحصل له عندهم . ففي الخبر أن الله عز وجل خلق جنة عدن ، وخلق فيها مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ثم قال لها : تكلمي . فقالت : قد أفلح المؤمنون ثلاثاً ، ثم قالت : أنا حرام على كل بخيل ومراء .

وفيه أيضاً ـ أي في الخبر ـ من عمل من هذه الأعمال شيئاً يريد بها غرضاً من الدنيا لم يشم عَرَفُ الجنة، وعرفها يوجد على مسيرة خمسمائة عام.

فإن كان لمعلم القرآن شيء يأخذه على ذلك ، فلا يأخذه بنية الاجارة بل بنية الاعانة على ما هو بِصَدَدِهِ ويقول مع المعرفة أنا عبد الله أخدمه ، وآكل وأشرب من رزقه ،وخدمتي له حق عَلَيَّ ورزقه لي محض فضل منه . وإذا كانت نيته هذه فلا

يتضجرولا يترك القراءة لقطع معلوم فإن قطع القراءة لقطع المعلوم فهو دليل على فساد نيته وهذا الحكم يجري على كل من يأخذ شيئاً على وظيفة شرعية كالامام والمؤذن والمدرس وحارس الثغور .

حكم أخذ الأجرة على تعليم القرآن

قال الرميلي في شرحه على الدرة :

وأما أخذ الأجرة على الإقراء ففيه خلاف مشهور بين العلماء نوضحه فيما يأتي : ـ

أ ـ **ذهب أبو حنيفة** والزهري وجماعة إلى منع أخذ الأجرة على تعليم القرآن .

ب ـ **وذهب الحسن** وابن سيرين والشعبي إلى جواز أخذ الأجرة إذا لم يشترط .

جـ ـ **وذهب الشافعي ومالك** وعطاء إلى جوازها إذا شارطه واستأجره إجارة صحيحة . قلت : لكن يشترط في أخذ الأجرة أن يكون في بلده غيره ـ أي يوجد في البلد أكثر من معلم للقرآن .

أما إذا لم يكن في بلده غيره فلا يحل له أخذ الأجرة لأن الإقراء صار عليه واجباً .

وقال في بستان العارفين : (التعليم على ثلاثة أوجه)

الوجه الأول : أن يعلم للحُسبة ـ أي يحتسب ذلك عند الله تعالى ولا يأخذ عوضاً .

الوجه الثاني : أن يعلم بالأجرة .

الوجه الثالث : أن يعلم بغير شرط ، فإذا أُهْدِيَ إليه قَبِلَهْ ـ أي إذا أهداه أحد شيئاً على تعليم القرآن قَبِلَهُ .

فأما الوجه الأول : فهو مأجور فيه ، وعمله عمل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

وأما الوجه الثاني : وهو التعليم بالأجرة فقد اختلف الناس فيه على قولين :

أ ـ قال أصحابنا المتقدمون : لا يجوز له أخذ الأجرة لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (بلغوا عني ولو آية) فأوجب على أمته التبليغ ، فكما لم يجز للنبي عليه الصلاة والسلام أخذ الأجرة فكذلك لا يجوز لأمته .

ب ـ وقال جماعة من العلماء المتأخرين أنه يجوز مثل عصام بن يوسف ونصير بن يحيى وأبي نصر بن سلام وغيرهم .

فالأفضل للمعلم أن يشارط على الأجر للحفظ وتعليم الهجاء والكتابة ، فلو شارطه لتعليم القرآن أرجو أن لا بأس به ، لأن المسلمين قد توارثوا ذلك واحتاجوا إليه .

والوجه الثالث : وهو أن يعلم بغير شرط وأهدى إليه وقبل الهدية فإنه يجوز في قولهم جميعاً لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان معلماً وكان يقبل الهدية ، وروى أبو المتوكل الباجي عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا في غزاة فمروا بحي من أحياء العرب فقالوا : ـ أي أهل الحي ـ هل فيكم من راق فإن سيد الحي قد لدغ فرقاه رجل بفاتحة الكتاب فبرىء سيد الحي فأعطى ـ أي الرجل الذي رقاه ـ قطيعاً من الغنم فأبى أن يأخذه ، فسأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (بم رقيته) قال : بفاتحة الكتاب قال : (فما يدريك أنها رقية خذها ـ أي القطيع ـ واضربوا لي معكم بسهم) يعني أن أخذه القطيع مباح .

وينبغي لمعلم القرآن أن يتخلق بالأخلاق الحميدة المرضية ، من الزهد في الدنيا ، والتقلل منها ، وعدم المبالاة بها وبأهلها ، والسخاء والحلم والصبر ومكارم الأخلاق ، وطلاقة الوجه من غير خروج إلى حد الخلاعة ، وملازمة الورع والخشوع والسكينة والوقار ، والتواضع والخضوع .

وينبغي له تحسين هيئته ، وليحذر من الملابس المَنهي عنها ، ومما لا يليق بأمثاله ، ويجلس غير متكيء ، مستقبل القبلة ، متطهراً طهارة كاملة خصوصاً إذا كان معلماً للصبيان ، لأنه يحتاج لمس المصحف والألواح .

وينبغي للمعلم أن يزيل نتن إبطيه ، وما له رائحة كريهة بما أمكن له ، ويمس من الطيب ما يقدر عليه ، ولا يعبث بلحيته ولا بغيرها ، وليحفظ بصره عن الالتفات إلا لحاجة ، وليكن متدبراً في معاني القرآن ، ساكن الأطراف ، إلا إذا احتاج إلى إشارة للقاريء لما فات ، ويصبر عليه حتى يتفكر ، فإن تذكر وإلا أخبره بما ترك ، وليحذر كل الحذر من الرياء والحسد والحقد والغيبة واحتقار غيره وإن كان دونه ، وليحذر العجب وقلَّ من يسلم منه .

ويستحب له أن يوسع مجلسه ليتمكن جلساؤه فيه لما روى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (خير المجالس أوسعها) .

وليقدم الأول فالأول ، فإن رضي الأول بتقديم غيره عليه قدمه . وينبغي له القيام من مجلسه لمن يستحق الاكرام من طلبته وغيرهم استمالة لقلوبهم على حسب ما يراه ، فقد كان نافع رضي الله عنه وهو إمام في الإقراء يقوم لابن جمّاز إذا رآه ، ويرفع قدره ، ويجل منزلته ، لأنه كان رفيقه في القراءة على أبي جعفر ثم قرأ ـ أي ابن جمّاز عليه ـ أي على نافع .

وينبغي له أن يسوي بين الطلبة بحسبهم إلا أن يكون أحدهم مسافراً أو

يتفرس فيه النجابة أو غير ذلك .

ويجوز له الاقراء في الطريق .

قال الرميلي في شرحه على الدرة : لا نعرف أحداً أنكر ذلك إلا ما روى عن الامام مالك رحمه الله تعالى أنه قال: ما أعلم القراءة تكون في الطريق.

وروى ابن أبي داود عن أبي الدرداء رضى الله عنه أنه كان يقرىء في الطريق .

وعن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : أنه أذن فيها ـ أي القراءة في الطريق ـ قال الشيخ محي الدين النووي : وأما القراءة في الطريق فالمختار أنها جائزة غير مكروهة ، إذا لم يلته صاحبها ، فإن التهى عنها كرهت ، كما كره النبي صلى الله عليه وسلم القراءة للناعس محافظة من الغلط ـ قال الرميلي في شرحه على الدرة : وقد قرأت على الشيخ شمس الدين بن الصائغ غير مرة تارة أكون أنا وهو ماشيين ، وتارة يكون هو راكباً على البغلة وأنا ماشٍ .

وقال ابن عطاء بن السائب : كنا نقرأ على أبي عبد الرحمن السلمي وهو يمشي . قال السخاوي عقب هذا وقد عاب قوم علينا الإقراء في الطريق ، ولنا في أبي عبد الرحمن أسوة ، كيف وقد كان لمن هو خير منا قدوة . أ هـ .

آدَابُ المُتَعَلِّم

يجب على المتعلم أن يخلص نيته ، ثم يجد في قطع ما يقدر عليه من العلائق والعوائق الشاغلة عن تمام مراده .

وليبادر في شبابه وأوقات عمره بالتحصيل ، ولا يغتر بخدع التسويف فهذه آفة الطالب . وأن لا يستنكف عن أحد وجد عنده فائدة ، وليقصد شيخاً كملت أهليته وظهرت ديانته ، جامعاً للشروط المتقدمة في الكلام على المعلم . فإذا دخل ـ أي المتعلم ـ فليكن كامل الحال ، متنظفاً متأدباً .

ويجب عليه أن ينظر لشيخه بعين الاحترام ، ويعتقد كمال أهليته ورجحانه على نظرائه، فهو أقرب إلى انتفاعه ورسوخ ما يسمعه منه في ذهنه .

قال إمامنا الشافعي رحمه الله تعالى : كنت أتصفح الورق بين يدى مالك رحمه الله تصفحاً رقيقاً هيبة له لئلا يسمع وقعها .

وقال الربيع صاحب الشافعي ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر إليَّ هيبة له .

فإن وقع منه ـ أي معلم القرآن ـ نقص فليجعل ـ أي المتعلم ـ النقص من نفسه بأنه لم يفهم قول الشيخ .

وينبغي للمتعلم أن لا يذكر عند شيخه أحداً من أقرانه، ولا يقول : قال فلان خلافاً لقولك . وإذا قرب من حلقة الشيخ سلم على الحاضرين ، وليخص

الشيخ بالتحية ولا يتخطى رقاب الناس بل يجلس حيث انتهى به المجلس إلاّ أن يأذن له الشيخ في التقدم ، ولا يقيم أحداً من مجلسه ، فإن آثره لم يقبل اقتداء بابن عمر رضى الله عنهما إلا أن يقسم عليه ، أو يأمر الشيخ بذلك . ولا يجلس بين صاحبيه إلا بإذنهما ، وإذا جلس فليتأدب مع رفقته وحاضري مجلس الشيخ . ولا يرفع صوته رفعاً بليغاً ، ولا يضحك ، ولا يكثر الكلام ، ولا يلتفت يميناً ولا شمالاً ، بل يكون مقبلاً على الشيخ ، مُصْغياً إلى كلامه .

وإذا أراد القراءة: ينبغي له أن يستاك بعود من آراك ، فإنه مطهرة للفم ، مرضاة للرب ، وأبقى للفصاحة ، وأنقى للنكهة .

فينبغي للقاريء أن يحافظ على تلك الآداب جميعها على قدر الطاقة ، لأنه ورد أن من ابتلى بترك الآداب وقع في ترك السنن ، ومن ابتلى بترك السنن وقع في ترك الواجبات ، ومن ابتلى بترك الواجبات وقع في ارتكاب المحرمات ، ومن ابتلى بارتكاب المحرمات وقع في ترك الفرائض ومن ابتلى بترك الفرائض وقع في استحقار الشريعة ، ومن ابتلى بذلك وقع في الكفر . نعوذ بالله من ذلك .

تحسين الصوت بالقرآن

عن جابر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنـه قال : (أحسن الناس صوتاً من إذا قرأ رأيته يخشى الله تعالى) رواه ابن ماجه ـ وروى عن زياد النميرى أنه جاء مع القراء إلى أنس بن مالك فقيل له : إقرأ فرفع صوته وطرب وكان رفيع الصوت ، فكشف أنس عن وجهه وكان على وجهه خرقة سوداء فقال : يا هذا ما هكذا كانوا يفعلون ؟ وكان إذا رأى شيئا ينكره كشف الخرقة عن وجهه .

وروى عن قيس بن عباد أنه قال : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرهون رفع الصوت عند الذكر. **وممن روى عنه كراهة رفع الصوت** عند قراءة، القرآن، سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والقاسم بن محمد والحسين وابن سيرين والنخفى وغيرهم، وكرهه مالك بن أنس وأحمد ابن حنبل كلهم كره رفع الصوت بالقرآن والتطريب فيه.

روى عن مالك : أنه سئل عن النبر في قراءة القرآن في الصلاة فأنكر ذلك وكرهه كراهة شديدة ، وأنكر رفع الصوت .

وروى ابن القاسم عنه : أنـه سئـل عن الألحـان في الصـلاة فقـال : لا يعجبنى ، وقال : إنما هو غناء يتغنون به ليأخذوا عليه الدراهم . **وأجازت طائفة رفع الصوت بالقرآن والتطريب به** ، وذلك لأنه إذا حَسَّن الصوت به كان أوقع في النفس ، وأسمع في القلوب ، **واحتجوا بقولـه عليه السـلام : (زينـوا القـرآن**

بأصواتكم) رواه البراء بن عازب ، وأخرجه أبو داود والنسائى . وبقوله عليه الصلاة والسلام : (ليس منا من لم يتغن بالقرآن) أخرجه مسلم .

ويقول أبو موسى للنبى صلى الله عليه وسلم : (لو أعلم أنك تستمع لقراءتى لحبرته لك تحبيرا) ؛ وبما رواه عبد الله بن مغفل قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح في مسيره سورة الفتح على راحلته فرجَّع في قراءته . وممن ذهب إلى هذا أبو حنيفة وأصحابه والشافعىٌ وابن المبارك والنضر بن شميل ، وهو إختيار أبى جعفر الطبرى وأبى الحسن بن بطال والقاضى أبى بكر ابن العربى وغيرهم .

والقول الأول أصح لما ذكرناه من الأحاديث ويأتى .

وأما ما احتجوا به ـ أى الطائفة التي أجازت رفع الصوت بالقرآن والتطريب به ـ من الحديث الأول فليس على ظاهره ، وإنما هو من باب المقلوب أى زينوا أصواتكم بالقرآن .

قاله الخطابى وكذا فسره غير واحد من أئمة الحديث : زينوا أصواتكم بالقرآن ، وقالوا : هو من باب المقلوب ـ كما قالوا : عرضت الحوض على الناقة) وإنما هو عرضت الناقة عل الحوض ، قال : رواه معمر عن منصور عن طلحة فقدم الأصوات على القرآن وهو الصحيح . قال الخطابى : رواه طلحة عن عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : (زينوا القرآن بأصواتكم) أى ألهجوا بقراءته واشغلوا به أصواتكم واتخذوه شعارا وزينة ، وقيل معناه الحض على قراءة القرآن والدءوب عليه ،وَقَدروى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (زينوا أصواتكم بالقرآن) .

وروى عن عمر أنه قال : (حسنوا أصواتكم بالقرآن) وإلى هذا المعنى يرجع قوله عليه الصلاة والسلام : (ليس منا من لم يتغن بالقرآن) أى ليس منا من لم يحسن صوته بالقرآن ، كذلك تأوله عبد الله بن أبى مليكة . وإليه يرجع أيضا قول أبى موسى للنبى صلى الله عليه وسلم : إنى لو علمت أنك تستمع لقراءتي لحسنت صوتى بالقرآن وزينته ورتلته ، وهذا يدل على أنه كان يهذ[1] قراءته مع حسن صوته الذي جبل عليه ، والتحبير: التزيين والتحسين ، فلو علم أنَّ النبى صلى الله عليه وسلم كان يسمعه لمدّ في قراءته ورتلها كما كان يقرأ على النبى صلى الله عليه وسلم ، فيكون ذلك زيادة في حسن صوته بالقراءة.

ومعاذ الله أن يتأول على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول : إن القرآن يزين بالأصوات أو بغيرها ، فمن تأول هذا فقد واقع أمراً عظيما أن يحوِّج القرآن إلى من يزينه ، وهو النور والضياء والزين الأعلى لمن ألبس بهجته واستنار بضيائه ، وقد قيل : إن الأمر بالتزيين اكتساب القراءات وتزيينها بأصواتنا .

وتقدير ذلك أى زينوا القرآن بأصواتكم فيكون القرآن بمعنى القراءة ، كما قال تعالى : (وقرآن الفجر)[2] أى قراءة الفجر . وقوله : (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه)[3] أى قراءته .

فيكون معنى التغنى على هذا التأويل صحيحا إلا أن يخرج القراءة التي هي التلاوة عن حدها على ما نبينه فيمتنع . ذكر الإمام الحافظ أبو الحسين وأبو عبد الله الترمذى الحكيم في نوادر الأصول من حديث حذيفة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال : (إقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها وإياكم ولحون أهل الفسق ولحون أهل الكتابين وسيجيء بعدى قوم يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء

---

(١) الهذ في القراءة : الإسراع فيها .
(٢) الإسراء (٧٨)
(٣) القيامة (١٨)

والنوح لا يجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم)

اللحون : جمع لحن وهو التطريب وترجيع الصوت وتحسينه بالقراءة والشعر والغناء . والمعنى : أى احذروا يا معشر القراء من أن تكون لحونكم وقراءتكم كلحون أهل الفسق والكبائر وهم الذين يرجعون القرآن ترجيع الغناء فيقرأونه حسب النزوات ونغمات الأصوات من غير مراعاة لأحكام التجويد ولا تفكر في قول الله جل شأنه (كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا)[1] . وأخرج ابن ماجة - وصححه ابن حبان والحاكم ، من حديث فضالة بن عبيد مرفوعا : لَلَّهُ أشد أذنا - أى استماعا (للرجل) الحسن الصوت بالقرآن ، من صاحب القينة ، إلى قينته . والقينة : المغنية . وقال عمر بن شيبه : ذكرت لأبى عاصم النبيل تفسير ابن عيينة فقال : لم يصنع شيئا . وعن ابن عباس : أن داود كان يقرأ الزبور سبعين لحنا ، ويقرأ قراءة يطرب منها المحموم ، وكان إذا أراد أن يُبكى نفسه لم تبق دابة في بر ولا بحر إلا أنصتت له ، واستمعت وبكت ، وبالجملة : فليس ما فسره سفيان بن عيينة من أن معنى يتغنى بالقرآن أى يستغنى به عما سواه من الأحاديث بمدفوع وإن كانت ظواهر الأخبار ترجِّح أنّ المراد : تحسين الصوت ، ويؤيده قوله : يجهر به ، ويمكن الجمع بين أكثر التأويلات المذكورة ، وهو أنّه يحسِّن به صوتَه جاهرًا به ، مترنمًا على طريق التحزُّن ، مستغنياً به عن غيره من الأخبار طالباً غِنَى النفس ، راجياً غِنَى اليد .

ولا شك أن النفوس تميل إلى سماع القراءة بالترنُّم ، لأنّ لِلتطريب تأثيراً في رقّة القلب وإجراء الدموع وذلك سبب للرقة ، وإثارة الخشية ، وإقبالُ النفوس على استماعه ، وكان بين السلف اختلافٌ في جواز القراءة بالألحان . أمّا تحسين الصوت ، وتقديم حَسَنَ الصوت على غيره فلا نزاع فيه[2] .

---

(١) الفرقان (٣٣) .

(٢) مع القرآن للدكتور شعبان إسماعيل (٣٣ - ٣٦) .

وقد حكى القاضى عبد الوهاب المالكى عن مالك تحريم القراءة بالألحان وحكاه أبو الطيب الطبرى وابن حمدان الحنبلى عن جماعة من أهل العلم . وحكى ابن بطال والقاضى عياض ، والقرطبى من المالكية ، وَالْمَاوَرْدِى ، وَالْبند نيجى ، والغزالى ـ من الشافعية ، وصاحب الذخيرة من الحنفية : الكراهة ، واختاره أبو يَعْلى ، وابن عقيل ، من الحنابلة .

وحكى ابن بطال عن جماعة من الصحابة والتابعين الجواز ، وهو المنصوص للشافعىّ ، ونقله الطّحاوى عن الحنفية .

وقال القُورانى من الشافعية في الإبانة : يجوز ، بل يستحبّ . ومحلّ هذا الخلاف إذا لم يختلّ شيء من الحروف عن مخرجه ، فلو تغيّر قال النّووى في التبيان : أجمعوا على تحريمه ، ولفظه : أجمعَ العلماءُ على استحباب تحسين الصوت بالقرآن ، ما لم يخَرُج عن حدّ القراءة بالتنطيط فإن خرج حتى زاد حرفاً أو أخفاه حرم .

وقد ابتدع بعضُ القارئين لكتاب الله في القراءة أشياء كثيرة في قراءتهم للقرآن لا تحلّ ولا تجوز ، لأنها تكون في القراءة إمّا بزيادة على الحدّ المتفق عليه في قراءة القرآن ، أو بنقصٍ عنه .

وهذه الأشياء تكون بواسطة الأنغام لأجل صرْف الناس إلى سماعهم وفهْم معانى القرآن والتدبّر فيما يُتلى عليهم من آيات الله ، وصرْفهم إلى نغماتهم التي ابتدعوها في القراءة .

من هذه الأمور المبتدعة :

١ ـ القراءة بالألحان المُطرِبة المرجعة كترجيع الغناء فإن ذلك ممنوع لما فيه من اخراج التلاوة عن أوضاعها وتشبيه كلام رب العزّة بالأغانى التي يُقصد بها الطرب ولم يزل السلف ينهون عن التطريب ، رُوى أن رجلاً قرأ في مسجد رسول

الله صلى الله عليه وسلم فطرب فأنكر ذلك عليه القاسم بن محمد وقال : (يقول الله تعالى : « وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » .

وقال مالك : لا تعجبنى القراءة بالألحان ولا أحبها في رمضان ولا في غيره لأنه يُشبه الغناء .

وقال الحافظ السيوطى في الاتقان) : وأما القراءة بالألحان فنصَّ الشافعىّ رحمه الله تعالى في المختصر : أنه لا بأس بها ما لم تخُرِج القراءة عن حدّ القرآن وإلا فتكون القراءة بالألحان حراماً . أ . هـ .

قال الرافعى : فقال الجمهور ؛ ليست على قولين بل المكروه أن يُفرط القارىء في المدّ وفي إشباع الحركات حتى يتولّد من الفتحة ألف ومن الضّمة واو ومن الكسرة ياء ، أو يُدْغم في غير موضع الادغام فإن لم ينته - أى الافراط - إلى هذا الحد فلا كراهة .

قال النووي في زوائد الروضة : الصحيح أن الإفراط على الوجه المذكور حرام يفسق به القارىء ، ويأثم به المستمع ، لأنه عَدَلَ به عن منهجه القويم ، قال : وهذا مراد الشافعى بالكراهة . أ هـ . وقد عُلِمَ بذلك أن القائلين بجواز قراءة القرآن بالألحان يشترطون عدم الإفراط والزيادة وإشباع الحركات لأن ذلك يؤ دى إلى الزيادة في القرآن وهو ممنوع - وإلى هذا المعنى أشار الجعبرى بقوله :

« إقرأ بألحان الأعارب طبعها - وأجيزت الأنغام بالميزان » ولا يفوتنا أن نُنَبِّه أن الألحان التي تجوز القراءة بها هي المرادة في الحديث الشريف « إقرأوا القرآن بلحون العرب » ومعنى لحون العرب قراءة الإنسان بحسب جبلته وطبيعته

على طريقة عرب العربـاء الذين نزل القرآن بلغتهم .

٢ ـ **الترقيص** : معناه أن الشخص يرقص صوته كالمتكسر الذي يفعل الرقص . وقال بعضهم : هو أن يروم السكت على الساكن ثم ينفر عنه مع الحركة في عدو وهرولة .

٣ ـ **التحزين** : وهو أن يترك القارىء طباعه وعادته في التلاوة ، ويأتى بها على وجه آخر كأنه حزين يكاد أن يبكى من خُشوع وخُضوع . وإنمّا نهُى عنه لما فيه من الرياء .

٤ ـ **الترعيد** : **ومعناه أنّ الشخص يرعِّد صوته بالقرآن كأنـه يرعد من برد أو ألم أصابه .**

٥ ـ **التحريف** : وأحدثـه هؤلاء الـذين يجتمعـون ويقـرءون بصـوت واحـد ، فيقطعون القراءة ويأتى بعضهم ببعض الكلمـة والآخـر ببعضهـا الآخـر ، ويحافظون على مراعـاة الأصـوات ولا ينظـرون إلى ما يترتـب على ذلك من الإخلال بالثواب فضلا عن الإخلال بتعظيم كلام الجبار ، فكل ذلك يمتنـع قبوله ويجب رده وإنكاره على مرتكبه . أ هـ . شرح ابن غازى . ولذلك أشار بعضهم فقال :

حدود حروف الـذكر في لفـظ قارىء
بحـدر وتحقيق ودور مرتلا
فإنـى رأيت البعض يتلـو القـرآن لا
يراعـى حدود الحـرف وزنـا ومنزلا

فمنهـم بتـرقيص ولحـن وَضَجَّـةٍ ومنهـم بتـرعيد ونـوح تبدلا
فما كلّ مَن يتلـو القـرآن يقيمه ولا كلّ مَن يقـرا مجمِّلا

فذرْ نُطقَ أعجامٍ وما اخترعـوا به ... وخُذْ نُطقَ عُرْبٍ بالفصاحة سُوَّلا

فيا قارىء القــرآن أجمِــلْ أداءه ... يضاعف لك الرحمنُ أجراً فأجزِلا

ومن الأمور المبتدعةِ في قراءة القرآن أيضا ما يأتى :

١ ـ القراءةُ باللِّين والرخـاوة في الحـروف وكونهُـا غـير صلْبـة بحيثُ تُشبـه قراءةَ الكسلان .

٢ ـ النفر بالحروف عند النطق بها بحيث يشبه المتشاجر .

٣ ـ تقطيع الحروف بعضها من بعض بما يشبه السكت خصوصا الحروف المظهرة قصدا في زيادة بيانها إذ الاظهار له حد معلوم .

٤ ـ عدم بيان الحرف المبدوء به والموقوف عليه ، وكثير من الناس يه ساهلون فيهما حتى لا يكاد يسمع لهما صوت .

٥ ـ إشباع الحركات بحيث يتولد منها حروف مدوَرُبمَّـا يفسد المعنى بذلك .

٦ ـ أن يبلغ القارىء بالقلقلة في حروفها رتبة الحركة ، وإعطاء الحرف صفة مجاوره قوية كتفخيم لام (الصلاة) لمجاورتها الصاد القوية المفخمة ، أو ضعيفـة كترقيق طاء (بالقسطاس) لمجاورتها السين .

ومثل ما تقدم من الأمور المبتدعة تفخيم المرقق ، وإشباع حركة الحـرف الذي قَبْلَ الحرف الموقوف عليه ، وتحريك الحروف السواكن ، والمبالغة في إخفاء الحروف بحيث يشبه المد ، وضم الشفتين عند النطق بالحـروف المفتوحـة لأجـل المبالغة في التفخيم إلى غير ذلك من الأمور المبتدعة . فكل حرف له ميزان يعرف به مقدار حقيقته وذلك الميزان هو مخرجه وصفته فإذا خرج من مخرجه معطى ما له من الصفات على وجه العدل في ذلك من غير إفراط ولا تفريط فقد وزن بميزانه ، وهذا هو حقيقة التجويد .

واليه أشار الخافقانى رحمه الله تعالى بقوله :

زن الحرف لا تخرجه عن حد وزنه فوزن حروف الذكر من أفضل البر

ومن الأمور المنهى عنها أيضا : عدم ضم الشفتين عند النطق بالحرف المضموم لأن كل حرف مضموم لا يتم ضمه إلا بضم الشفتين وإلا كان ضمه ناقصا ، ولا يتم الحرف إلا بتمام حركته فإن لم تتم الحركة لا يتم الحرف ، وكذلك الحرف المفتوح لا يتم إلا بفتح الضم وإلا كان ناقصا وهو حركته وكذلك الحرف المكسور لا يتم إلا بخفض الضم وإلا كان ناقصا وهو حركته . يعنى أن الحروف تنقص بنقص الحركات فيكون أقبح من اللحن الظاهر لأن النقص من الذوات أقبح من ترك الصفات .

فتفطن رحمك الله واجتهد في ضبط هذه القواعد المقررة وأحكامها المضبوطة المحررة ، لتفوز بالسعادة الأبدية في الدنيا والآخرة ، فإن تعلمك تجويد كتاب الله في الدنيا أيسر من عقوبتك على تركه يوم القيامة ، فإن أمر الحساب عسير ، والناقد بصير ، فحافظ على تلاوة القرآن على الوجه المتلقى من حضرة خير الأنام عسى الله إذا قبل منك اليسير أن يتجاوز عنك الكثير[1] .

---

(١) نهاية القول المفيد في علم التجويد، الشيخ محمد مكى نصر: (١٨ - ٢٢)

سُجُود التِلاَوة

من آداب تلاوة القرآن أن يَعْرِفَ القاريء حق الآيات . فيستحب له السجود إذا مرّ بآية سجدة من سجدات التلاوة ، وهي ـ أي سجدة التلاوة ـ مندوبة خلافاً للحنفية حيث قالوا بوجوبها ، وأن يدعو في سجوده بما يليق بالأية التي قرأها مثل أن يقرأ قوله تعالى : (خروا سجداً وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون)[1] فيقول: اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك، المسبحين بحمدك ، وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك أو على أوليائك. وإن قرأ قوله تعالى: (ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً)[2] فيقول : اللهم اجعلني من الباكين إليك الخاشعين لك وكذلك في كل سجدة.

ويشترط في سجود التلاوة شروط الصلاة من ستر العورة واستقبال القبلة وطهارة الثوب والبدن والمكان ، ومن لم يكن على طهارة عند الاستماع يسجد بعد أن يتطهر .

فضل سجود التلاوة :

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا قرأ ابن آدام السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ، يقول : يا وَيْلَهْ ـ يقصد

---

(١) السجدة (١٥)

(٢) الأسراء (١٠٩)

نفسه ـ وفي رواية : يا ويلي ، أُمر ابن آدام بالسجود فسجد فله الجنة ، وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار) رواه مسلم وابن ماجه .

(وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أنه رأى رؤ يا أنه يكتب (ص ـ يعني سورة (ص) فلما بلغ إلى سجدتها قال : رأى الدواة والقلم وكل شيء بحضرته انقلب ساجدا ، قال فقصصتها على النبي صلى الله عليه وسلم فلم يزل يسجد بها) رواه أحمد .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : (جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ، فقال يا رسول الله ـ رأيت في هذه الليلة فيما يرى النائم كأني أصلي خلف شجرة ، فرأيت كأني قرأت سجدة فرأيت الشجرة كأنها تسجد بسجودي فسمعتها وهي ساجدة تقول : (اللهم اكتب لي عندك بها أجراً ، واجعلها لي عندك زخراً ، وضع عني بها وزراً واقبلها مني كما تقبلت من عبدك داود) قال ابن عباس : فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ السجدة فسمعته وهو ساجد يقول مثل ما قال الرجل عن كلام الشجرة) رواه الترمذي وابن ماجة وابن حبان في صحيحه واللفظ له وقال حديث غريب . ورواه أبو يَعْلى والطبرانى من حديث أبى سعيد الخدري قال : (رأيت فيما يرى النائم كأني تحت شجرة وكأن الشجرة تقرأ (ص) ، فلما أتت على السجدة سجدت فقالت في سجودها : (اللهم اغفر لي بها ، اللهم حط عني بها وزراً ، وأحدث لي بها شكراً ، وتقبلها مني كما تقبلت من عبدك داود سجدته) فغدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأخبرته فقال : (سجدت يا أبا سعيد) . قلت : لا قال : (فأنت أحق بالسجود من الشجرة) ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (ص) ثم أتى على السجدة فسجد ، وقال في سجوده ما قالت الشجرة في سجودها) .

وعن سعدان بن أبي طلحة قال : لقيت ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : أخبرني بعمل أعمله يدخلني الله به الجنة . أو قال : قلت

بأحب الأعمال إلى الله فسكت ، ثم سألته فسكت ثم سألته الثالثة فقال : سألت عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (عليك بكثرة السجود ، فإنك لا تسجد لله سجدة إلاّ رفعك الله بها درجة وحط بها عنك خطيئة) رواه مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة .

وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ما من عبد يسجد لله سجدة إلا كتب الله له بها حسنة ومحاعنه بها سيئة ورفع له بها درجة فاستكثروا من السجود) رواه ابن ماجة باسناد صحيح .

وعن ربيعة بن كعب رضى الله عنه قال : كنت أبيت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأَتيتُهُ بوضوءه وحاجته فقال لي : (سلني) فقلت : أسألك مرافقتك في الجنة ، قال : (أو غير ذلك) قلت : هو ذاك . قال : (فأعني على نفسك بكثرة السجود) رواه مسلم مختصراً . وعن حذيفة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما من حالة يكون عليها العبد أحب إلى الله من أن يراه ساجداً يُعَفِّر وجهه في التراب) رواه الطبراني في الأوسط .

كيفية سجود التلاوة :

علمنا أن من آداب تلاوة القرآن الكريم أن يراعي القاريء حق الآيات فإذا مَرَّ بآية سجْدَةً أو سمعها غيره **يستحب للقاريء والمستمع أن يكبر ويسجد سجدة ثم يكبر للرفع من السجود ولا تشهد فيه ولا تسليم** . وعلمنا أيضاً أنه يشترط في سجود التلاوة شروط الصلاة من ستر العورة ، واستقبال القبلة ، وطهارة الثوب والبدن والمكان ، ومن لم يكن على طهارة عند الاستماع يسجد بعد أن يتطهر . أما القاريء فإن الوضوء مستحب له إذا كان يقرأ عن ظهر قلب دون مس المصحف ، فإن كان على غير وضوء وأراد السجود توضأ ، وأما إن كان يقرأ في المصحف فلا

يحل له ذلك بغير وضوء . ويتبين لنا كيفية السجود من الحديث الذي يرويه نافع عن ابن عمر قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقرأ علينا القرآن فإذا قرأ بالسجدة كبر وسجد وسجدنا) رواه أبو داود والبيهقي والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين :

فيستحب للمسلم قارئاً كان أو مستمعاً أن يكون على وضوء فإن الوضوء طهارة ونضارة ، وهو سلاح المؤمن ، ونظافة للأعضاء مما علق بها من أوساخ . فعليك أخي المسلم بالوضوء ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، تصفو نفسك ،وينشرح صدرك .

حكم سجود التلاوة :

أ ـ ذهب جمهور العلماء إلى أن سجود التلاوة سنة للقاريء والمستمع لما رواه البخاري عن عُمر أنه قرأ على المنبر يوم الجمعة سورة النحل حتى جاء السجدة فنزل وسجد وسجد الناس حتى إذا كانت الجمعة القابلة قرأ بها حتى إذا جاء السجدة قال : (يا أيها الناس إنا لم نؤمر بالسجود فمن سجد فقد أصاب ، ومن لم يسجد فلا إثم عليه) . وفي لفظ : (إن الله لم يفرض علينا السجود إلا أن نشاء) .

وعن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ (والنجم) فسجد فيها وسجد من كان معه ، غير أن شيخاً من قريش أخذ كفاً من حصى أو تراب فرفعه إلى جبهته ، وقال : يكفيني هذا .

قال عبد الله : فلقد رأيته بعدُ قتل كافراً . رواه البخاري ومسلم .

ب . وذهب الحنفية إلى وجوبها

مواضع السجود في القرآن :

هى في الجديد أربع عشرة سجدة ، في الأعراف ـ والرعد ـ والنحل ـ والاسراء ـ ومريم ـ واثنان في الحج ـ وفي الفرقان ـ والنمل ـ وألم السجدة ـ وحم السجدة ـ والنجم ـ والانشقاق واقرأ باسم ربك . وأما سجدة (ص) فسجدة شكر ، والصارف لها عن سجدات التلاوة إلى الشكر حديث النسائي (سجدها داود توبة ونحن نسجدها شكراً) أي على قبول توبته . وزاد بعضهم آخر الحجر . نقله إبن الغرس في أحكامه أ هـ إتقان .

ومما يدل على أنها خمس عشرة . حديث عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأه خمس عشرة سجدة في القرآن ، منها ثلاث في المفصل وفي الحج سجدتان . رواه أبو داود وابن ماجة والحاكم والدارقطنى وحسنه المنذر والنووي[1] .

وفيما يلي السجدات الخمس عشرة :

١ ـ قوله تعالى : (إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون) .[2]

٢ ـ قوله تعالى : (ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدو والآصال)[3] .

٣ ـ قوله تعالى : (ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم

---

(١) نهاية القول المفيد في علم التجويد ـ للشيخ محمد مكي نصر (٢٤١)
(٢) الأعراف (٢٠٦) .
(٣) الرعد (١٥) .

لا يستكبرون)[1] .

٤ ـ قوله تعالى : (قل آمنوا به أولاً تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً)[2] .

٥ ـ قوله تعالى : (إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً)[3] .

٦ ـ قوله تعالى : (ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فماله من مكرم إن الله يفعل ما يشاء)[4] .

٧ ـ قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون)[5] .

٨ ـ قوله تعالى : (وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أَنَسْجُدُ لما تأمرنا وزادهم نفوراً)[6] .

٩ ـ قوله تعالى :(ألاّ يسجدوا لله الذي يخرج الخبىء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون)[7] .

١٠ ـ قوله تعالى : (إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجداً وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون)[8] .

---

(١) النحل (٤٩) .
(٢) الاسراء (١٠٧) .
(٣) مريم (٥٨) .
(٤) الحج (١٨) .
(٥) الحج (٧٧) .
(٦) الفرقان (٦٠) .
(٧) النمل (٢٥) .
(٨) السجدة (١٥) .

١١ ـ قوله تعالى : (وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب)[١] .

١٢ ـ قوله تعالى : (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر وا سجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون)[٢] .

١٣ ـ قوله تعالى : (واسجدوا لله واعبدوا)[٣] .

١٤ ـ قوله تعالى : (وإذا قريء عليهم القرآن لا يسجدون)[٤] .

١٥ ـ قوله تعالى : (واسجد واقترب)[٥] .

دعاء سجود التلاوة :

تقدم أن من آداب قراءة القرآن أن يعرف القاريء حق الآيات ومنها سجود التلاوة ، وعرفنا أيضاً أن القاريء يدعو في سجوده بما يليق بالآية التي قرأها مثل أن يقرأ قوله تعالى : (خروا سجداً وسبحوا بحمد ربهم)[٦] فيقول : اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك ، المسبحين بحمدك ، وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك أو على أوليائك .

وإذا قرأ قوله تعالى : (ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً)[٧] فيقول اللهم اجعلني من الباكين إليك الخاشعين لك وكذلك في كل سجدة . أو يدعو في سجوده بما شاء ولم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك إلاّ

---

(١) ص (٢٤) .
(٢) فصلت (٦٢) .
(٣) النجم (٦٢) .
(٤) الانشقاق (٢١) .
(٥) العلق (١٩) .
(٦) السجدة (١٥) .
(٧) الاسراء (١٠٩) .

حديث عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في سجود القرآن : (سجد وجهي للذي خلقه وشق سمعه وبصره بحوله وقوته فتبارك الله أحسن الخالقين) رواه الخمسة إلا ابن ماجه . ومن قرأ آية سجدة ولم يسجد لسبب من الأسباب يستحب له أن يقول أربع مرات : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وإذا قرأ آية السجدة وكررها أو سمعها أكثر من مرة في المجلس الواحد يسجد سجدة واحدة بشرط أن يؤخر السجود عن التلاوة الأخيرة ، فإن سجد عقب التلاوة الأولى فقيل : تكفيه وهو مذهب الحنفية وقيل : يسجد مرة أخرى لتجدد السبب وهو مذهب أحمد ومالك والشافعى.

ويرى الجمهور أن القارىء يستحب له السجود عقب قراءة آية السجدة أو سماعها ، فإن أخر السجود لم يسقط ما لم يطل الفصل. فإن طال فإنه يفوت ولا يقضى .

هذا بيان حكم سجود التلاوة عند الجمهور خارج الصلاة والدعاء الذى يقوله القارىء في سجوده فى غير الصلاة .

حكم سجود التلاوة فى الصلاة :

اختلفت المذاهب : البعض يرى السجود فى الصلاة عند قراءة آية فيها سجدة مطلقاً . ومنهم من يرى أنها تسن فى أولى ركعتى الصبح من يوم الجمعة وبقراءة سورة السجدة .

فيجوز للامام والمنفرد أن يقرأ آية سجدة في الصلاة الجهرية والسرية ويسجد متى قرأها ، وعلى المؤتم أن يتابع إمامه في السجود إذا سجد وإن لم يسمع إمامه

يقرأ السجدة ، فإذا قرأها الامام ولم يسجد لا يسجد المؤتم ، بل عليه متابعة إمامه .

روى البخاري ومسلم عن أبي رافع قال : صليت مع أبي هريرة صلاة العَتَمة أو قال : صلاة العشاء فقرأ (إذا السماء انشقت) فسجد فيها ، فقلت : يا أبا هريرة ما هذه السجدة ؟ فقال : سجدت فيها خلف أبي القاسم صلى الله عليه وسلم : فلا أزال أسجدها حتى ألقاه .

وروى الحاكم وصححه على شرط الشيخين عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم : (سجد في الركعة الأولى من صلاة الظهر فرأى أصحابه أنه قرأ (الم تنزيل) السجدة[1] .

---

(١) فقه السنة الشيخ سيد سابق ـ حـ ١ (١٨٥ ـ ١٨٩) .

ثواب قراءة القرآن الكريم

من خصوصيات القرآن الكريم أن قراءته عبادة يثاب عليها الانسان وينال بها الأجر من الله عز وجل ، وهذه الخصوصية ليست لغيره من الكتب السابقة .

قال تعالى :(إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور)[1] .

وفي هذه الآية الكريمة إشادة بالتالين لكتاب الله تعالى ، وبيان لعظيم أجرهم ، وكريم جزائهم ، وليس المراد بالتلاوة مجرد المرور بالكلمات ، وترديدها على الأفواه من غير فكر ولا روية ، وإنما المراد التلاوة التي يصحبها التمعن والتدبر الذي ينشأ عنه الادراك والتأثر ، ولا شك أن التأثر يفضي بالقارىء لا محالة إلى العمل بمقتضى قراءته ولذلك أتبع الله القراءة بإقامة الصلاة وبالانفاق سراً وعلانية من فضل الله ثم برجاء القارئين ـ بسبب ذلك ـ تجارة لن تبور . . .

فهم يعرفون أن ما عند الله فيها خير مما ينفقون ، ويتاجرون تجارة كاسبة ، مضمونة الربح ، يعاملون الله وحده وزيادتهم من فضل الله تعالى (إنه غفور شكور) يغفر التقصير، ويشكر الأداء، وشكر الله تعالى كناية عن رضاه تعالى عن هؤلاء، وحسن جزائهم عنده.

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) فاطر (١٩ ـ ٢٠) .

(من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه ، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة ، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه) أخرجه مسلم.

والكربة : هي الشدة التي توقع صاحبها في الكرب . ومعنى تنفيسها : تفريجها وإزالتها ، وقوله : (في بيت من بيوت الله) ليس البيت قيداً فإذا اجتمعوا في مكان آخر غير المسجد كان لهم هذا الفضل أيضاً ، فالتقييد ببيت الله بيان لأفضل الأماكن التي يتلى فيها القرآن.

فالاجتماع في أي مكان يترتب عليه هذا الفضل وإن كان الاجتماع للتلاوة والمدارسة في المسجد أفضل من الاجتماع في أي مكان آخر لما في المسجد من مزايا وخصائص لا توجد في غيره .

والمراد بالسكينة : طمأنينة النفس ، وانشراح الصدر وهدوء الضمير .

قال الامام النووي : وفي الحديث فضل قضاء حوائج المسلمين ،ونفعهم بما تيسر من علم ، أو مال ، أو معاونة ، أو إشارة بمصلحة ، أو نصيحة ، أو غير ذلك ، وفيه فضل السعة على المسلمين ، وفضل إنظار المعسر ، وفضل المشي في طلب العلم . انتهى .[1]

ولنا في الحبيب المحبوب صلوات الله وسلامه عليه أسوة حسنة ، فلقد كان عليه الصلاة والسلام قرآناً يمشي على الأرض وعلم - صلى الله عليه وسلم - أصحابه كيف يقرؤ ون القرآن ويطبقونه في كل شؤ ونهم ، قال عبد الله بن عمر

(١) مع القرآن للدكتور شعبان (١٨ - ١٩) .

رضى الله عنه (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا العشر فلا نتجاوزها حتى نتعلم ما فيها من العلم والعمل) ويحكى عشرة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : (بينا كنا نتعلم العلم في مسجد قباء إذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله حتى تعملوا) .

وكان صلى الله عليه وسلم يرغب أصحابه ويحضهم على قراءة القرآن مادحاً قراءة بعضهم فيقول عليه الصلاة والسلام : (من أراد أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه قراءة ابن أم عبد) يعني عبد الله بن مسعود رضوان الله عليه ، ويسمع صلى الله عليه وسلم صوت أبي موسى الأشعري وهو يقرأ القرآن فيقول عليه الصلاة والسلام : (لقد أوتي هذا مزماراً من مزامير آل داود) لأن داود عليه السلام كان إذا قرأ الزبور تدنو إليه الوحوش حتى تؤخذ بأعناقها لحسن صوته .

وكان الصحابة رضوان الله عليهم حريصين كل الحرص على قراءة القرآن بأدب وخشوع ، عاملين به . وكانت أحب قراءتهم للقرآن في صلواتهم ، لما لها من ثواب جزيل ، وفضل كبير ، فعن أبي عثمان النهدي قال : صلى بنا ابن مسعود المغرب (بقل هو الله أحد) ووالله لوددت أنه قرأ سورة البقرة ، من حسن صوته وترتيله .

وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (تعلموا القرآن واتلوه فإنكم تؤجرون فيه بكل حرف عشر حسنات أما إني لا أقول لكم الم حرف ولكن الف ولام وميم ثلاثون حسنة) .

وكان صلى الله عليه وسلم يقرأ في صلاته بالستين آية أو أكثر ، فقد صح عن عائشة رضى الله عنها في كيفية قراءة النبي صلى الله عليه وسلم قالت : كان يصلي النافلة جالساً حين أسنّ قبل موته بسنة ، فكان يقرأ قاعداً ، حتى إذا أراد أن يركع

قام وقرأ نحواً من ثلاثين أو أربعين آية ثم يركع) .

كما كان عليه الصلاة والسلام يرغب أصحابه على عد الآي في صلواتهم لمعرفة الثواب الذي يحصلون عليه .

ففي الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام : (كان يقرأ في صلاة الصبح بالستين إلى المائة) وفي مسند الدارمي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من قرأ في صلاة الليل بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ، ومن قرأ بخمسين آية كتب من الحافظين ، ومن قرأ بمائة آية كتب من القانتين ، ومن قرأ بمائتين كتب من الفائزين ، ومن قرأ بثلثمائة كتب له قنطار من الأجر) وثبت بالأحاديث الصحيحة والآثار المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تعلم آية من كتاب الله تعالى أفضل من ناقة سمينة ، عظيمة السنام ، كائنة من الابل الحمر التي هي خير أموال العرب من ذلك ما روى عن عقبة بن عامر الجهني يقول خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في الصفة فقال عليه الصلاة والسلام : (أيكم يحب أن يغدو إلى بُطحاء أو العقيق فيأتي كل يوم بناقتين كَوْمَاوَين زهراوين يأخذهما في غير إثم ولا قطيعة رحم ؟ قال : فقلنا كلنا يا رسول الله يحب ذلك قال : (فلأن يغدو أحدكم إلى المسجد فيتعلم آيتين من كتاب الله خير له من ناقتين ، وثلاث خير له من ثلاث ، وأربع خير له من أربع ، ومن أعدا دهن من الابل) الحديث .

وفي ذلك المعنى يقول الشاطبي رحمه الله :

وقد صح عنه أن إحراز آيةٍ - لأفضل من كوماً من الابل الحُمْرِ

ويبين لنا الحبيب المحبوب صلوات الله وسلامه عليه أن من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف ثم أدركه الدجال لم يضره .

فعن أبي الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من حفظ عشر

---

(١) بشير اليسر شرح ناظمة الزهر في علم الفواصل للشاطبي (١٤ - ١٥) .

آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال) رواه مسلم . وفي رواية (عصم من فتنة الدجال) .

ولقراءة القرآن آداب تجب مراعاتها منها : حضور القلب ليتعظ بالقراءة وينزجر ، فمن قرأ القرآن أو سمعه بقلب لاه غافل لا يدري ما قريء منه ولا ما ترك فإن القرآن يلعنه قال عليه الصلاة والسلام : (رب قاريء للقرآن والقرآن يلعنُه) . أي إذا أخل بمبانيه أو معانيه أو بالعمل بما فيه ومن جملة العمل بما فيه ترتيله وتلاوته حق تلاوته لأن الله تعالى أنزله مجوداً مرتلاً وقد وصل إلينا كذلك من المشايخ العارفين بتحقيقه وتدقيقه المتصل سندهم بالنبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن اللوح المحفوظ عن الله عز وجل[1] أ . هـ . فليتق الله كل إنسان في القرآن ، فإنه نور في الأرض ، وذخر في السماء ، لمن قرأه وتدبره وعمل به . فعن أبي ذر رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله أوصني . قال : (عليك بتقوى الله ، فإنه رأس الأمر كله . قلت : يا رسول الله زدني . قال : عليك بتلاوة القرآن ، فإنه نور لك في الأرض وذخر لك في السماء) رواه ابن حبان في صحيحه وعن جابر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (القرآن شافع مشفع وما (حلّ)[2] مصدق من جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلف ظهره قاده إلى النار) رواه ابن حبان في صحيحه . وفي حديث مسلم : (والقرآن حجة لك أو عليك) يعني إن عملت به كان حجة لك وإن لم تعمل به كان حجة عليك . وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه بات عند خالته ميمونة ، فبات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى منتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل ثم استيقظ فجلس يمسح عن وجهه بيده ، ثم قرأ العشر الآيات الخواتيم من سورة آل عمران . وفي البخاري : (من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه) (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه) إلى آخر السورة .

(١) شرح ابن غازي وشرح الملاعلي .

(٢) حل - أي ساع - وقيل خصم مجادل .

وليس الثواب مقصوراً على القاريء فحسب ، بل للمستمع المنصت لقراءة القرآن ثواب الاستماع ، إذا استمع سماع قبول واتعاظ ، وتأدب في مجلس القرآن ، وظهرت عليه السكينة والوقار ، متشبهاً بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كانوا يقرأون القرآن أو يستمعون إليه كأن على رؤ وسهم الطير ، وكما كان غيرهم ممن سمعوا القرآن قال سبحانه : (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين)[1] وهم وفد النجاشي وكانوا من علماء النصارى . وقوله تعالى في شأن الجن : (وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما قضى ولو إلى قومهم منذرين)[2] . ويقول عليه الصلاة والسلام : (من استمع إلى آية من كتاب الله كتبت له حسنة مضاعفة ومن تلاها كانت له نوراً يوم القيامة) رواه أحمد. ومعلوم أن فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه جاء في الحديث عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة، ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مُرّ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة لا ريح لها وطعمها مّرّ) رواه البخاري ومسلم.

قال النووي : في الحديث فضيلة حافظ القرآن واستحباب ضرب الأمثال لإيضاح المقاصد ، وفيه الحض على حفظ القرآن ، ودوام تلاوته والعمل بما فيه .

أرأيت أخي المسلم جزاء كل من المؤمن والمنافق، فكن صادق الايمان مع الله ، واقرأ القرآن وتدبر معانيه ، واعمل بما فيه ، تفز بالسعادة في الدنيا وحسن الجزاء في الآخرة ، واستعن بالله ، واسأله أن تكون ماهراً بالقرآن ، تقرؤه كما

---

(١) المائدة (٨٣) .

(٢) الأحقاف (٩) .

أنزل الله ، لا تحرف فيه ولا تبدل ، فإنه كلام رب الأرباب وإن شئت اقرأ قوله تعالى : (الذين اتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤ منون به)[1] وقوله تعالى : (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً)[2] وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران) وفي رواية (والذي يقرؤه وهو يشتد عليه له أجران) رواه البخاري ومسلم .

والماهر : هو الحاذق في الحفظ الذي لا يتوقف ولا تشق عليه القراءة لجودة حفظه وإتقانه .

والسفرة : الملائكة ، جمع سافر .

قال الملهب : ومعنى كون الماهر بالقرآن مع السفرة أنه معهم في الحفظ في درجة واحدة . وقوله : ويتتعتع فيه . قال القرطبي : التتعتع التردد في الكلام عيّاً وصعوبة فالمعنى يتردد فيه بقلة حفظه ، والأجران أحدهما في تلاوته ، والثاني في تعبه ومشقته ، ودرجات الماهر فوق ذلك كله لأنه قد كان القرآن متتعتعاً عليه ، ثم ترقى عن ذلك إلى أن شبه بالملائكة .

قال القاضي عياض : وليس المعنى أنه أكثر أجراً من الماهر بل الماهر أكثر لأنه مع السفرة ، وله أجور كثيرة ، وكيف يلتحق من لم يعتن بكتاب الله تعالى ممن اعتنى به حتى مهر فيه . انتهى .

وعن أبي هريرة أنه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يا أبا هريرة علم الناس القرآن وتعلمه فإنك إن مت وأنت كذلك زارت الملائكة قبرك كما

---

(١) البقرة (١٢١) .
(٢) الانفـال(٢) .

يزار البيت العتيق . رواه السلفي في البلدانيات[1] .

وروى ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (تفتح أبواب السماء لخمسة : نزول الغيث ، وقراءة القرآن ، ولقاء الزحف ، والأذان ، والدعاء) رواه الطبراني في الأوسط . وعن أبي أُمَامَة الباهلي رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه) رواه مسلم .

وعن عبدالله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (الصيام والقرآن يشفعان للعبد ، يقول الصيام : منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ، ويقول القرآن : منعته النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان) أخرجه وصححه الحاكم على شرط مسلم . وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ما تكلم العباد(بكلام أحب إلى الله من كلامه ، وما تقرب إليه المتقربون بأحب إليه من كلامه) .

وعن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (اقرءوا القرآن فإن الله تعالى لا يعذب قلباً وعى القرآن ، وإن هذا القرآن مأدبة الله فمن دخل فيه فهو آمن ، ومن أحب القرآن فليبشر) رواه الدارمي .

وعن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لأن تغدو فتتعلم آيتين من كتاب الله تعالى خير لك من أن تصلي مائة ركعةٍ) أخرجه بن ماجة .

ومن فضل الله ورحمته أن بركة القرآن تشمل الوالدين فعن سهيل بن معاذ الجهني عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من قرأ القرآن وعمل به ألبس والداه تاجاً يوم القيامة ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا ، فما ظنكم بالذي عمل بهذا) أخرجه أبو داوود .

---

(١) لطائف الاشارات حـ ١ (١٢١) .

وعن علي رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من قرأ القرآن فاستظهره فأحل حلاله وحرّم حرامه أدخله الله الجنة وشفعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد استوجبوا النار) أخرجه الترمذي .

ويؤ خذ من هذه الأحاديث أن الثواب الذي ادخره الله تعالى لقراء القرآن لا يحصل عليه إلا من عمل به فأتمر بأوامره وانتهى بنواهيه .

روى أبو سعيد الخدرى أن رسول الله صلى عليه وسلم قال : (إن من شر الناس رجلاً فاسقاً يقرأ القرآن لا يرعوى إلا شيء منه) .

وقال ابن مسعود : ليس حفظ القرآن بحفظ حروفه ولكن بإقامة حدوده .
وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (يأتي القرآن إلى الذي حمله فأطاعه في صدره حسنة فيأخذ بيده حتى يأتي ربه عز وجل فيصير خصياً من دونه فيقول : أي رب حفظته إياي ، فخير حامل ، حفظ حدودي ، وعمل بفرائضي ، وعمل بطاعتي ، واجتنب معصيتي فلا يزال يقذف دونه بالحجج حتى يقال له : فشأنك به ، قال : فيأخذ بيده لا يدعه يسقيه بكأس الخلد ، ويتوج تاج الملك ، قال : ويأتي صاحبه الذي حمله فأضاعه فيأخذ بيده حتى يأتي ربه عز وجل فيصير له خصياً فيقول : يا رب حملته إياي فشر حامل، ضيع حدودي ، وترك فرائضي ، واجتنب طاعتي ، وعمل بمعصيتي ، فلا يزال يقدف عليه بالحجج حتى يقال له : فشأنك به ، فيأخذ بيده فلا يدعه حتى يكبه على منخره في نار جهنم) أخرجه البزار وغيره .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يجيء صاحب القرآن يوم القيامة فيقول يا رب حلِّه فيلبس تاج الكرامة ، ثم يقول يا رب زده فيلبس حلة الكرامة ، ثم يقول يا رب ارض عنه فيرضى عنه ، . فيقال له : اقرأ وارق و يزداد بكل آية حسنة) رواه الترمذي وقال حديث حسن .

فليجدّ كل انسان قدر طاقته على حفظ ما يستطيع من كتاب الله عز وجل حتى يفوز بالمنزلة الكريمة في مقعد صدق عند مليك مقتدر ، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون . عَنْ ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) (لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله هذا الكتاب فقام به آناء الليل وآناء النهار ورجل أعطاه الله مالاً فتصدق به آناء الليل وآناء النهار) رواه البخاري ومسلم .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا حسد إلا في اثنتين رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار فسمعه جار له فقال : ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل) . رواه البخاري .

والمراد بالحسد هو : الغبطة وهو تمني ما للمحسود لا تمني زوال تلك النعمة عنه ، فإن ذلك هو الحسد المذموم . واقصد بقراءتك القرآن وجه الله سبحانه وتعالى ، فقد روى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثلاثة لا يهولهم الفزع الأكبر ولا ينالهم الحساب هم على كثيب من مسك حتى يفرغ من جميع الخلائق : رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله وأم به قوماً وهم به راضون ، وداع يدعو إلى الصلوات ابتغاء وجه الله ، ورجل أحسن فيما بينه وبين ربه وفيما بينه وبين مواليه) . رواه الطبراني . ولقد كان ميزان التفاضل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم هو القرآن ، فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : (بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثاً وهم ذوو عدد فاستقرأ كل رجل منهم يعني ما معه من القرآن قال : فأتى على رجل من أحدثهم سناً ـ فقال ما معك يا فلان ؟ فقال : معي كذا وكذا وسورة البقرة ، فقال : أمعك سورة البقرة ؟ قال نعم . قال : اذهب فأنت أميرهم ـ فقال رجل من أشرافهم والله ما منعني أن أتعلم البقرة إلا خشية ألا أقوم بها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (تعلموا

القرآن واقرءوه فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه كمثل جراب محشو مسكاً يفوح ريحه في كل مكان ، ومن تعلمه فيرقد به وهو في جوفه فمثله كمثل جراب أوكيء على مسك) . راوه الترمذى وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى إليه ، لا ينبغي لصاحب القرآن أن يجد مع من وجد ، ولا يجهل مع من جهل وفي جوفه كلام الله) . رواه الحاكم .

وقراءة القرآن في جوف الليل فضلها عظيم ، وثوابها جزيل تنزل الملائكة لسماعها ، فعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه ، أن أسيد بن حضير بينما هو ليلة يقرأ في مربده إذ جالت فرسه فقرأ ، ثم جالت أخرى فقرأ ، ثم جالت أيضاً قال أسيد فخشيت أن تطأ يحيى . فقمت إليها فإذا مثل الظلة فوق رأسي فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها ، فغدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت يا رسول الله : بينما أنا البارحة من جوف الليل أقرأ في مربدي إذ جالت فرسي فقال صلى الله عليه وسلم (اقرأ ابن حضير) فقرأت ثم جالت أيضاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اقرأ ابن حضير) فانصرفت وكان يحيى قريباً منها خشيت أن تطأه فرأينا مثل الظلة فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (تلك الملائكة كانت تستمع لك ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستر منهم) . رواه البخاري ومسلم .

وقوله : (مربدي) هو بكسر الميم وفتح الباء الموضع الذي تربط فيه الابل .

وقوله : (جالت فرسه) أي وثبت واضطربت .

والظلة : السحابة ، والسرج : المصباح .

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :(اقرأ ابن حضير :معناه كان ينبغي أن تستمر على قراءتك لتستمر لك البركة بنزول الملائكة . قال النووي : وفي جواز رؤية آحاد الأمة للملائكة . وفيه فضيلة القراءة .وأنها سبب نزول

الرحمة ، وحضور الملائكة ، وفيه فضيلة استماع القرآن الكريم . انتهى . وعنه صلى الله عليه وسلم قال : (من قرأ القرآن يقوم به آناء الليل يحل حلاله ويحرم حرامه حرم الله لحمه ودمه على النار وجعله رفيق السفرة الكرام البررة حتى إذا كان يوم القيامة كان القرآن حجة له)[1] .

---

(١) مع القرآن للدكتور شعبان اسماعيل (٢٠ - ٣٢) بتصرف .

فضل قراءة سور بعينها

١ ـ فضل قراءة سورة الفاتحة :

سورة الفاتحة . مكية ومدنية لأنها نزلت مرتين :

الأولى : بمكة حين فرضت الصلاة .

الثانية : بالمدينة حين حولت القبلة .

وهي سبع آيات إجماعا ـ وهى أم القرآن ، والسبع المثانى قال تعالى : (ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم)[١] وسميت مثانى لأنها تثنى في كل صلاة ، قيل : إن القرآن هنا فاتحة الكتاب ، ولا صلاة لمن لم يقرأ بها .

قال عليه الصلاة والسلام : (لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب) . رواه الجماعة .

ولعظمها كانت ركنا من أركان الصلاة فقد صحت الأحاديث في افتراض قراءتها في كل ركعة يدل على ذلك الحديث المتقدم وما جاء عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن ـ وفي رواية : بفاتحة الكتاب ـ فهى خداج[٢] غير تمام ، رواه أحمد والشيخان ثم إن

---

(١) الحجر (٨٧)

(٢) خداج : ـ قال الخطابى : هي خداج . ناقصة نقص بطلان وفساد .

الثابت أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقرأ الفاتحة في كل ركعة من ركعات الفرض والنفل ، ولم يثبت عنه خلاف ذلك ، ومدار الأمر في العبادة على الاتباع . فقد قال صلى الله عليه وسلم : (صلوا كما رأيتمونى أصلى) رواه البخارى .

ولقد ورد في فضل قراءتها أحاديث كثيرة . فعن أبى سعيد ابن المعلى رضى الله عنه قال : كنت أصلى بالمسجد فدعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجبه ثم أتيت فقلت يا رسول الله كنت أصلى فقال : (ألم يقل الله) . (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم)[1] . ثم قال : (لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد) فأخذ بيدى فلما أردنا أن نخرج قلت يا رسول الله : إنك قلت لأعلمنك أعظم سورة في القرآن ، قال : (الحمد لله رب العالمين) هي السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيته) رواه البخارى . وعن أبى هريرة ، رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : خرج على أبّى بن كعب رضى الله عنه فقال : (يا أبّى) وهو يصلى فالتفت أبى فلم يجبه وصلى أبىّ فخفف ثم انصرف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : السلام عليك يا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وعليك السلام ـ (ما منعك يا أبى أن تجيبنى إذْ دعوتك) فقال يا رسول الله : إنى كنت أصلى فقال : (فلم تجد فيما أوحى الله إلىّ أن (استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) قال: بلى ولا أعود إن شاء الله قال: (أتحب أن أعلمك سورة لم ينزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها، قال نعم يا رسول الله : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كيف تقرأ في الصلاة) قال : نقرأ أم القرآن ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (والذي نفسى بيده ما أنزل الله في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان

---

(١) الأنفال : (٢٤) .

مثلها ، وإنها سبع من المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيته) رواه الترمذى ، وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم .

وعن أنس رضى الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عيهوسلم في مسير فنزل ونزل إلى جانبه قال : فالتفت النبى صلى الله عليه وسلم فقال : (ألاَ أخبرك بأفضل سورة في القرآن) قال بلى . (فتلى الحمد لله رب العالمين) رواه ابن حبان في صحيحه وعن أبى هريرة ، رضى الله عنه قال . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (قال الله تعالى) : (قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل ـ وفي رواة فنصفها لى ونصفها لعبدى ـ فإذا قال العبد (الحمد لله رب العالمين) قال الله : حمدنى عبدنى . فإذا قال : (الرحمن الرحيم ، قال : أثنى علَىَّ عبدى . فإذا قال : (مالك يوم الدين) قال : مجدنى عبدى . وإذا قال : (إياك نعبد وإياك نستعين ، قال : هذا لعبدى ولعبدى ما سأل .

فإذا قال : (اهدناالصراطالمستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم . غير المغضوب عليهم ولا الضالين) قال : هذا لعبدى ولعبدى ما سأل) رواه مسلم . قوله : قسمت الصلاة يعنى القراءة بدليل تفسيره بها . وقد تسمى القراءة صلاة لكونها ـ أى القراءة ـ جزءا من أجزائها .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : (بينما جبرائيل عليه السلام قاعد عند النبى صلى الله عليه وسلم : سمع نقيضا من فوقه فرفع رأسه فقال : ـ أى جبريل ـ هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم فنزل منه مَلَك فقال : هذا مَلَك نزل إلى الأرض لم ينزل قط وقال : أى الملك : أبشر نورين أوتيتهما لم يؤ تهما نبى قبلك ، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة ، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته) رواه مسلم . والنقيض هو الصوت .

٢ ـ فضل قراءة سورة البقرة وآل عمران .

بعد أن تبين لنا فضل سورة الفاتحة وأنها أم القرآن والسبع المثانى . نتكلم عَنْ فضل سورتين من الكتاب العزيز هما : سورة البقرة ، وآل عمران : **أما سورة البقرة** : فمدنية إلا آية (٢٨١) فنزلت في منى في حجة الوداع . وعدد آيها مائتان وسبع وثمانون آية .

وهي أول سورة نزلت بالمدينة ، وأطول سورة في القرآن كما جاء في الحديث . (أعطيت مكان التوراة السبع الطوال ـ يعنى : البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس ـ وأعطيت مكان الزبور المئين وأعطيت مكان الأنجيل المثانى وفضلت بالمفصل) .

وأما سورة آل عمران : فمدنية أيضا وآيها مائتان كما أشار الشاطبى في قوله : وفي آل عمران فَعُدّ رغائبا . فالراء من (رغائبا) بمائتين وهذا العدد لجميع الأئمة . ونزلت هذه السورة بعد الانفال .

والسورتان ـ أى البقرة وآل عمران ـ ابتدأتا بحروف الهجاء التي هي سر الله في القرآن .

ولقد جاء في فضل قراءة هاتين السورتين أحاديث كثيرة .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا تجعلوا بيوتكم مقابر ، إن الشيطان يفر من البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة ، رواه مسلم .

وهي سنام القرآن وذروته قال عليه الصلاة والسلام : (البقرة سنام القرآن وذروته نزل مع كل آية منها ثمانون ملكا واستخرجت (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) من تحت العرش فوصلت بها أو فوصلت بسورة البقرة) .

وعن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه ، اقرءوا الزهراوين البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان[1] أو كأنهما فرقان[2] من طير صواف يحاجان عن صاحبهما يوم القيامة ، اقرءوا سورة البقرة فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولا تستطيعها البطلة) . قال معاوية بن سلام بلغنى أن البطلة السحرة . رواه مسلم . وفي سورة البقرة آية هي سيدة آى القرآن قال عليه الصلاة والسلام : (لكل شيء سنام وإن سنام القرآن سورة البقرة وفيها آية هي سيدة آى القرآن) رواه الترمذى .

ورواه الحاكم : (سورة البقرة فيها آية سيدة آى القرآن لا تقرأ في بيت وفيه شيطان إلا خرج منه آية الكرسى) وقال صحيح الاسناد وعن النواس بن سمعان رضى الله قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (يؤ تى بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران) ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثال ما نسيتهن بَعْدُ قال : (كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما) رواه مسلم . وختم الله سورة البقرة بآيتين قال عنهما رسول اله صلى الله عليه وسلم : (من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه ـ (آمن الرسول) إلى آخر السورة .

وقال عليه الصلاة والسلام : (إن الله ختم البقرة بآيتين أعطانيهما من كنزه الذي تحت العرش فتعلموهن وعلموهن نساءكم وأبناءكم فإنهما صلاة وقرآن ودعاء) رواه الحاكم وقال صحيح على شرط البخارى . ويبين لنا المصطفى عليه الصلاة والسلام جزاء من قرأ آخر آل عمران ولم يتفكر فيها وأن له الويل .

---

(١) هي كل شيء أظل الانسان فوق رأسه كالسحابة والغاشية.
(٢) قطعتان

فعن عبيد بن عمير أنه قال لعائشة رضى الله عنها : أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فسكتت ثم قالت : لما كان ليلة من الليالي قال : (يا عائشة ذرينى الليلة أتعبد لربى) قالت : والله إنى أحب قربك وأحب ما يسرك قالت : فقام فتطهر ثم قام يصلى ، قالت : فلم يزل يبكى حتى بَلَّ حجره قالت : وكان جالسا فلم يزل يبكى صلى الله عليه وسلم حتى بَلَّ لحيته قالت : ثم بكى حتى بل الأرض فجاء بلال يؤذنه بالصلاة ، فلما رآه يبكى قال : يا رسول الله تبكى وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر . قال عليه الصلاة والسلام : (أفلا أكون عبدا شكورا) لقد أنزلت عَلَىَّ الليلة آية ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها . (إن في خلق السموات والأرض ، الآية كلها يعنى إلى قوله تعالى : (إنك لا تخلف الميعاد)[1] .

٣ ـ فضل قراءة آية الكرسى :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : وكلنى رسول الله صلى عليه وسلم حفظ زكاة رمضان ، فأتانى آت فجعل يحثو من الطعام، فأخذته فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : إنى محتاج وعَلَىَّ عيال وبى حاجة شديدة ، فخليت عنه ، فأصبحت ؛ فقال رسول الله صلى اله عليه وسلم : (يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة ؟) قلت ، يا رسول الله : شكا حاجة وعيالا ، فرحمته فخليت سبيله . فقال : (أما إنه قد كذبك وسيعود) فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فرصدته الثانية فجاء يحثو من الطعام ، فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : دعنى فإنى محتاج وعلىَّ عيال لا أعود .

فرحمته فخليت سبيله ، فأصبحت فقال لى رسول الله صلى الله عليه

---

(١) (١٩٠ ـ ١٩٤) آل عمران .

وسلم : (يا أبا هريرة ما فعل أسيرك ؟) قلت : يا رسول الله شكا حاجة وعيالا فرحمته فخليت سبيله ، فقال : (إنه قد كذبك وسيعود) فرصدته الثالثة فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا آخر ثلاث مرات أنك تزعم لا تعود ثم تعود ! فقال : دعنى فإنى أعلمك كلمات ينفعك الله بها . قلت : ما هى ؟ قال : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى ، فإنه لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح . فخليت سبيله ، فأصبحت فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما فعل أسيرك البارحة ؟) قلت : يا رسول الله زعم أنه يعلمنى كلمات ينفعنى الله بها فخليت سبيله . قال : (ما هي ؟) قلت : قال لي : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى من أولها حتى تختم الآية : (الله لا إله إلا هو الحى القيوم ، وقال لي : لا يزال عليك من الله حافظ ولن يقربك شيطان حتى تصبح . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : (أما إنه قد صدقك وهو كذوب) تعلم من تخاطب منذ ثلاث يا أبا هريرة ؟ قلت : لا . قال : (ذلك شيطان) رواه البخارى .

وعن أبى بن كعب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يا أبا المنذر أتدرى أى آية من كتاب الله معك أعظم ؟ قال قلت : الله ورسول أعلم . قال : (يا أبا المنذر أتدرى أى آية من كتاب الله معك أعظم ؟) قلت : (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) قال : فضرب في صدرى وقال : (ليهنك العلم أبا المنذر) رواه مسلم .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لكل شيء سنام وأن سنام القرآن سورة البقرة وفيها آية هي سيدة آى القرآن) .

وعن أبى أمامة مرفوعا : (اسم الله الأعظم الذي إذا دعى به أجاب في ثلاث : سورة البقرة وآل عمران وطه ، قال هشام وهو ابن عمار خطيب دمشق :

أما البقرة : فـ (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) وفي آل عمران : (آلم الله لا إله إلا هو الحى القيوم) وفي طه : (وعنت الوجوه للحى القيوم) . فليكثر كل مسلم من قراءة هذه الآية الكريمة سيما دبر كل صلاة فإن فضل قراءتها عظيم وثوابها أجزل وأعظم قال عليه الصلاة والسلام:(من قرأ دبركل صلاة مكتوبة آيةالكرسى لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت) . رواه النسائى .

هذا : **واشتملت هذه الآية على عشر جمل مستقلة :**

الجملة الأولى : قوله تعالى : (الله لا إله إلا هو)

إخبار بأنه منفرد بالإلهية لجميع الخلائق . فلفظ (الله) إشارة إلى الذات . (لا إله إلا هو) إشارة إلى توحيد الذات .

الجملة الثانية : قوله تعالى : (الحى القيوم) أى الحى في نفسه الذى لا يموت أبدا القيم لغيره .

الجملة الثالثة : قوله تعالى : (لا تأخذه سنة ولا نوم) أى لا يعتريه نقص ولا غفلة ولا ذهول عن خلقه بل هو قائم على كل نفس بما كسبت شهيد على كل شيء ، لا يغيب عنه ، ولا تخفى عليه خافية ، ومن تمام القيومية أنه لا يعتريه سِنَةٌ - أى لا تغلبه سنة - (وهي الوَسْنُ والنعاس) ولهذا قال : (ولا نوم) لأنه أقوى من السنة .

وفي الصحيح عن أبى موسى قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم : بأربع كلمات فقال : (إن الله لا ينام ، ولا ينبغى له أن ينام يخفض القسط ويرفعه ، يرفع الله عمل النهار قبل عمل الليل ، وعمل الليل قبل عمل النهار ، حجابه النور أو النار لو كشفه لأحرقت سبَحَاتُ وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه .

وروى عن عكرمة مولى ابن عباس في قوله تعالى : (لا تأخذه سنة ولا نوم) أن موسى عليه السلام سأل الملائكة هل ينام الله عز وجل ؟ فأوحى الله تعالى إلى الملائكة فأمرهم أن يؤ رقوه ثلاثا فلا يتركوه ينام ففعلوا ثم أعطوه قارورتين فأمسكها ثم تركوه وحذروه أن يكسرها .قال :فجعل ينعس وهما في يده في كل يد واحدة قال : فجعل ينعس وينبه وينعس وينبه حتى نعس نعسة فضرب إحداهما بالأخرى .

قال معمر : إنما هو مثل ضربه الله عز وجل يقول : فكذلك السموات والأرض في يده .

الجملة الرابعة : قوله تعالى : (له ما في السموات وما في الأرض) إخبار بأن الجميع عبيده وفي ملكه وتحت قهره وسلطانه .

الجملة الخامسة : قوله تعالى : (من ذا الذي يشفع عنه إلا بإذنه) كقوله تعالى : (وكم من ملك في السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ، وكقوله تعالى : (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) وهذا من عظمته وجلاله وكبريائه عز وجل أنه لا يتجاسر أحد على أن يشفع لأحد عنده إلا بإذنه له بالشفاعة كما في حديث الشفاعة : (آتى تحت العرش فأخرسا جدا فيدعنى من شاء أن يدعنى ـ ثم يقال : ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع ـ قال :(فيحد لى حدًا فأدخلهم الجنة) .

الجملة السادسة : قوله تعالى : (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) دليل على إحاطة علمه بجميع الكائنات ماضيها وحاضرها ومستقبلها .

الجملة السابعة : قوله تعالى : (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء) أى لا يطلع أحد من علم الله على شيء إلا بما أعلمه الله عز وجل وأطلعه عليه .

الجملة الثامنة : قولـه تعـالى : (وسـع كرسيه السمـوات والأرض) قال السدّى : (السموات والأرض في جوف الكرسى والكرسى بين يدى العرش) وقال الضحاك عن ابن عباس : (لو أن السموات السبع والأراضين السبع بسطن ثم وصلن بعضهن إلى بعض ما كان في سعة الكرسى إلا بمنزلة الحلقة في المفازة .

وقال ابن يزيد : حدثنى أبى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما السموات السبع في الكرسى إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس) .

الجملة التاسعة : قوله تعالى : (ولا يؤ وده حفظهما) أى لا يثقله ولا يكترثه حفظ السموات والأرض ومن فيهما ومن بينهما ، بل ذلك سهل عليه ، يسير لديه ، وهو القائم على كل نفس بما كسبت، الرقيب على جميع الأشياء ، فلا يعزب عنه شيء ، ولا يغيب عنه شيء ، والأشياء كلها حقيرة بين يديه ، متواضعة ذليلة صغيرة بالنسبة إليه ، محتاجة فقيرة ، وهو الغنى الحميد ، الفعال لما يريد ، الذي لا يسئل عما يفعل وهم يسألون ، وهو القاهر لكل شيء الحسيب على كل شيء ، الرقيب العلى العظيم ، لا إله غيره ولا رب سواه .

الجملة العاشرة : قوله تعالى : (وهو العلى العظيم) كقوله : (وهو الكبير المتعال) وهذه الآيات وما في معناها من الأحاديث الصحاح . الأجود فيها طريقة السلف الصالح أمروها ـ والمعنى عدم تأويلها بآراء الناس بل نؤ من بها مع تنزيه الله تعالى عن الشبه بشيء من خلقه[1] .

---

(١) تفسير إبن كثير . جـ١ (٥٤٠ ـ ٥٥١) بتصرف .

٤ ـ فضل قراءة سورة الكهف :

سورة الكهف من السور المكية وآياتها مائة وعشر آيات إلا آية ثمان وثلاثين ومن آية ثلاث وثمانين إلى الآية الواحدة بعد المائة .

وجاء في فضل قراءة هذه السورة أو قراءة عشر آيات من أولها أو من آخرها أحاديث كلها ترغب في قراءتها .

من هذه الأحاديث قوله عليه الصلاة والسلام : (من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال) رواه مسلم .

وفي رواية : (عصم من فتنة الدجال) . وفي رواية لمسلم وأبى داود : (من آخر سورة الكهف) .

وفي رواية للنسائى : (من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف) ورواه الترمذى ولفظه : (من قرأ ثلاث آيات من أول الكهف عصم من فتنة الدجال) .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (من قرأ الكهف كما أنزلت كانت له نورا يوم القيامة من مقامه إلى مكة ، ومن قرأ عشر آيات من آخرها ثم خرج الدجال لم يسلط عليه ، ومن توضأ ثم قال : سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك كتب في رق ثم طبع بطابع فلم يكسر إلى يوم القيامة ؛ رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم .

وعن البراء بن عازب رضى الله عنهما : (قرأ رجل الكهف وفي الدار الدابه ، فجعلت تنفر ، فسَلَّم ، فإذا ضبابة أو سحابة غشيته . فذكره للنبى صلى الله عليه وسلم فقال : (اقرأ فلان فإنها السكينة نزلت للقرآن) أو (تنزلت للقرآن) .

ويستحب قراءة هذه السورة يوم الجمعة فهو خير يوم طلعت عليه الشمس ، قال عليه الصلاة والسلام : (خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم وفيه دخل الجنة وفيه أخرج منها ، رواه مسلم .

فيستحب للمسلم في هذا اليوم المبارك أن يغتسل ويتطيب ويلبس أجمل الثياب وأفضلها البيض ليصبح شامة بين الناس .

وإذا أضحى على هذه الحال من الطهارة والنضارة ، ثم قرأ القرآن ، وعاش في رحابه ، وارتشف من بحر فيوضاته ، وتدبر آياته ، انشرح صدره ، ووجل قلبه ، وسكنت جوارحه خشية ورهبة لله جل علاه .

فإذا قرأ سورة الكهف في هذا اليوم الكريم ، وهو على تلك الصورة الطيبة الكريمة خرج له نور من تحت قدميه إلى عنان السماء يضيء له يوم القيامة ، وغفر له ما بين الجمعتين .

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين) رواه النسائي والبيهقى مرفوعا .

٥ ـ فضل قراءة سورة يسٓ :

عن معقل بن يسار رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (قلب القرآن يسٓ لا يقرؤ ها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر له ، اقرءوها على موتاكم ،)رواه أحمد وأبو داود والنسائى واللفظ له ، وابن ماجة والحاكم وصححه .

فأمر صلى الله عليه وسلم أن تتلى يس على الموتى ، أو على المحتضر للتذكر تَوحيداً لله وحسابه .

وقلبا ـ أى خَالصا صافيا من قلب النخل لبها ، وخلاصته معانى القرآن في

يسٓ ، ومجمل رسالته صلى الله عليه وسلم وثمرات تبليغه فيها .وعن جندب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من قرأ يسٓ في ليلة ابتغاء وجه الله غفر له) . رواه مالك وابن السنىٌ ، وابن حبان في صحيحه .

وروى الحافظ أبو يعلى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قرأ يس في ليلة أصبح مغفور له ، ومن قرأ حم التي يذكر فيها الدخان أصبح مغفوراً له) أخرجه الحافظ الموصلى وإسناده جيد كذا قال ابن كثير.

ولهذا قال بعض العلماء : من خصائص هذه السورة أنها لا تقرأ عند أمْرٍ عسير إلا يسره الله تعالى ، وكأن قراءتها عند الميت ـ أى عند الاحتضار ـ لتنزل الرحمة والبركة ، وليسهل عليه خروج الروح والله تعالى أعلم ، قال الإمام أحمد رضى الله عنه : كان المشيخة يقولون : إذا قرئت ـ يعنى يسٓ ـ عند الميت خفف الله عنه بها. هذا: وقد تكلم أستاذنا الشيخ عطية صقر عن صلة الأحياء بالأموات) في باب الفتاوى ـ مجلة الوعى الاسلامي بالكويت العدد ١٥٧ ذو الحجة ١٣٩٧ هـ عن مسائل كثيرة ويعنينا منها ما جاء في العدد المذكور وهو: قراءة القرآن قال بالحرف الواحد: صلة الأحياء بالأموات[٣] .

ز ـ قراءة القرآن

في قراءة القرآن للميت خلاف للعلماء بين المنع من استفادته بها بناء على أنها عبادة بدنية لا تقبل النيابة ، وبين الجواز بناء على رجاء رحمة الله وما ورد من بعض النصوص ، ومن تتبع أقوال الكثيرين يمكن استنتاج ما يلي :

١ ـ إذا قرىء القرآن بحضرة الميت فانتفاعه بالقراءة مرجو ، سواء أكان معها إهداء أم لم يكن ، وذلك بحكم المجاورة ، فإن القرآن إذا تلى ، وبخاصة إذا كان في اجتماع ، حفت القارئين الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ،

روى مسلم قول النبى صلى الله عليه وسلم : (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يقرءون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة ، والقرآن ذكر بل أفضل الذكر ، وقد روى مسلم وغيره حديث (لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده ، بل لا يشترط لنزول الملائكة وغيرهم أن تكون القراءة أو الذكر في جماعة ، فيحصل ذلك للشخص الواحد . روى البخارى ومسلم حديث أسيد بن حضير الذي كان يقرأ القرآن في مربده وبجواره ولده وفرسه ، وجاء فيه ، فإذا مثل الظلة فوق رأسى ، فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم (تلك الملائكة تستمع لك ، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منه) .

على أن النص قد جاء بقرارة (يس) عند الميت ، روى أحمد وأبو داود والنسائى ، واللفظ له ، وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححاه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (قلب القرآن يس ، لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر الله له ، اقرءوها على موتاكم) .

وقد أعل الدارقطنى وابن القطان هذا الحديث ، لكن صححه ابن حبان والحاكم ، وحمله المصححون له على القراءة على الميت حال الاحتضار ، بناء على حديث في مسند الفردوس (ما من ميت يموت فتقرأ عنده يسٓ إلا هون الله عليه) . لكن بعض العلماء قال : إن لفظ الميت عام لا يختص بالمحتضر ، فلا مانع من استفادته بالقراءة عنده إذا انتهت حياته ، سواء دفن أم لم يدفن ، روى البيهقى بسند حسن أن ابن عمر استحب قراءة أول سورة البقرة وخاتمتها على القبر بعد الدفن وابن حبان الذي قال في صحيحه معلقا على حديث (اقرأوا على موتاكم يسٓ) أراد به من حضرته المنية لا أن الميت يقرأ عليه رد عليه المحب الطبرى ، بأن ذلك غير مُسلَّم له وان سُلِّمَ أن يكون التلقين حال الاحتضار . قال الشوكانى :

واللفظ نص في الأموات ، وتناوله للحى المحتضر مجاز فلا يصار إليه إلا لقرينة (نيل الأوطار ج ٤ ص ٥٢)

والنووى ذكر في رياض الصالحين تحت عنوان : الدعاء للميت بعد دفنه والقعود عند قبره ساعة للدعاء له والاستغفار والقراءة (الباب الحادى والستون بعد المائة) ذكر أن الشافعي قال : يستحب أن يقرأ عنده شيء من القرآن ، وإن ختموا القرآن كان حسناً . وجاء في المغنى لابن قدامة (ص ٧٥٨) : تسن قراءة القرآن عند القبر وهبة ثوابها ، وروى أحمد أنه بدعة ثم رجع عنه . وكره مالك وأبو حنيفة القراءة عند القبر حيث لم ترد بها السنة . لكن القرافى المالكى قال : الذي يتجه أن يحصل للموتى بركة القراءة ، كما يحصل لهم بركة الرجل الصالح يدفن عندهم أو يدفنون عنده .

٢ ـ إذا قرىء القرآن بعيدا عن الميت أوعند القبر وامتنع انتفاعه به بحكم المجاورة وحضور الملائكة ، اختلف الفقهاء من جواز انتفاع الميت به ، وهناك ثلاث حالات دار الخلاف حولها بين الجواز وعدمه :

الحالة الأولى :

إذا قرأ القارىء ثم دعا الله بما قرأ أن يرحم الميت أو يغفر له ، فقد توسل القارىء إلى الله بعمله الصالح وهو القراءة ، ودعا للميت بالرحمة والدعاء له متفق على جوازه وعلى رجاء انتفاعه به إن قبله الله ، كمن توسلوا إلى الله بصالح أعمالهم فانفرجت عنهم الصخرة التي سدت فم الغار .

وفي هذه الحالة لا ينبغى أن يكون هناك خلاف يذكر في عدم نفع الميت بالدعاء بعد القراءة .

الحالة الثانية :

إذا قرأ القارىء ثم دعا الله أن يهدى مثل ثواب قراءته إلى الميت . قال ابن

الصلاح : وينبغى الجزم بنفع : اللهم أوصل ثواب ما قرأناه ، أى مثله ، فهو المراد ، وأن يُصرح به لفلان ، لأنه إذا نفعه الدعاء بما ليس للداعى فما له أولى ، ويجرى ذلك من سائر الأعمال . ومعنى كلام ابن الصلاح إن الداعى يدعو الله أن يرحم الميت، والرحمة ليست ملكا له بل لله ، فإذا جاز الدعاء بالرحمة وهي ليست له فأولى أن يجوز الدعاء بما له هو وهو ثواب القرءة أو مثلها . وكذلك يجوز في كل قربة يفعلها الحى من صلاة وصيام وصدقة ، ثم يدعو بعدها أن يوصل الله مثل ثوابها إلى الميت .

وقد تقدم كلام ابن قدامه في المُغنى عن ذلك والدعاء بإهداء مثل ثواب القارىء إلى الميت هو المراد من قول المجيزين :

اللهم أوصل ثواب ما قرأته لفلان .

الحالة الثالثة : إذا نوى القارىء أن يكون الثواب ، أي مثله ، للميت ابتداءا أى قبل قراءته أو في أثنائها يصل ذلك إن شاء الله ، قال أبو عبد الله الأبى : إن قرأ ابتداء بنية الميت وصل إليه ثوابه كالصدقة والدعاء ، وان قرأثم وهبه لم يصل ، لأن ثواب القراءة للقارىء لا ينتقل عنه إلى غيره . وقال الامام ابن رشد في نواز له :

إن قرأ ووهب ثواب قراءته لميت جاز وحصل للميت أجره ، ووصل اليه نفعه ، ولم يُفّصل بين كون الهبة قبل القراءة أو معها أو بعدها ، ولعله يريد ما قاله الأبى .

هذا وانتفاع الميت بالقراءة مع الاهداء أو النية هو ما رآه المحققون من متأخرى مذهب الشافعى ، وأولوا المنع على معنى وصول عين الثواب الذي للقارىء أو على قراءته لا بحضرة الميت ولا بنية ثواب قراءته له ، أو نيته ولم يدع له ، وقد رجح الانتفاع به أحمد وابن تيمية وابن القيم . وقد مر كلامهم في ذلك . قال الشوكانى

(نيل الأوطار جـ٤ ص١٤٢) : المشهور من مذهب الشافعي وجماعة من أصحابه أنه لا يصل إلى الميت ثواب قراءة القرآن . وذهب أحمد ابن حنبل وجماعة من العلماء وجماعة من أصحاب الشافعي إلى انه يصل ، كذا ذكره النووى في الأذكار.

وفي شرح المنهاج : لا يصل إلى الميت عندنا ثواب القراءة على المشهور ، والمختار الوصول إذا سأل الله إيصال ثواب قراءته ، وينبغى الجزم به لأنه دعاء ، فاذا جاز الدعاء للميت بما ليس للداعى فلأن يجوز بما يقوله أولى ، ويبقى الأمر فيه موقوفا على استجابة الدعاء . وهذا المعنى لا يختص بالقراءة ، بل يجرى في سائر الأعمال . والظاهر ان الدعاء متفق عليه ان ينفع الميت والحى ، والقريب والبعيد ، بوصية وغيرها ، وعلى ذلك أحاديث كثيرة ، بل كان أفضل الدعاء أن يدعو لأخيه بظهر الغيب . أ .هـ .

هذا ، وقد قال الابى : والقراءة للميت ، وان حصل الخلاف فيها فلا ينبغى إهمالها ، فلعل الحق الوصول ، فإن هذه الأمور مغيبة عنا ، وليس الخلاف من حكم شرعى إنما هو في أمر هل يقع كذلك أم لا .

وأنا مع الابى في هذا الكلام ، فإن القراءة للميت إن لم تنفع الميت فهى للقارىء ، فالمستفيد منها واحد منهما ، ولا ضرر منها على أحد . مع تغليب الرجاء في رحمة الله وفضله أن يفيد منها الميت كالشفاعة والدعاء وغيرهما

وهذا الخلاف محله إذا قرىء القرآن بغير أجر ، أما إن قرىء بأجر فالجمهور على عدم انتفاع الميت به ، لأن القارىء أخذ ثوابه الدنيوي عليها فلم يبق لديه ما يهديه أو يهدى مثل ثوابه إلى الميت ، ولم تكن قراءته لوجه الله حتى يدعو بصالح عمله ان ينفع بها الميت ، بل كانت القراءة للدنيا . ويتأكد ذلك إذا كانت هناك مساومة أو اتفاق سابق على الأجر أو معلوم متعارف عليه ، أما الهدية بعد القراءة إذا لم تكن نفس القارىء متعلقة بها فقد يرجى من القراءة النفع للميت .

والأعمال بالنيات ، وأحُذر قارىء القرآن من هذا الحديث الذي رواه أحمد والطبراني والبيهقي عن عبد الرحمن بن شبل (اقرأوا القرآن واعملوا به ، ولا تجفوا عنه ، ولا تغلوا فيه ، ولا تأكلوا به ، ولا تستكثروا به) قال الهيثمي : رجال أحمد ثقات ، وقال ابن حجر في الفتح : سنده قوى . وفسر الأكل به بأخذ الأجرة عليه ، كما فسر الاستجداء به والتسول . وقد قال الشيخ حسنين محمد مخلوف في أخذ الأجرة على قراءة القرآن : مذهب الحنفية لا يجوز أخذها على فعل القُرب والطاعات كالصلاة والصوم وتعليم القرآن وقراءته ، ولكن المتأخرين من فقهاء الحنفية استثنوا من ذلك أمورا ، منها تعليم القرآن ، فقالوا : بجواز أخذ الأجرة عليه استحسانا ، خشية ضياعه . **ولكن بقى حكم أخذ الأجرة على قراءة القرآن على ما تقرر في أصل المذهب من عدم الجواز .**

ومذهب الحنابلة لا يجوز أخذ الأجرة على تعليم القرآن ولا على قراءته ، استنادا إلى حديث (اقرأوا القرآن) الذي تقدم .

ومذهب المالكية لا يجوز أخذ الأجرة على ما لا يقبل النيابة من المطلوب شرعا كالصلاة والصيام

ولكن يجوز أخذ الأجرة على ما يقبل النيابة ، ومنها تعليم القرآن وقراءته ، **ومذهب الشافعية** يجوز أخذ الأجرة على قراءة القرآن وتعليمه ، سواء أكانت القراءة عند القبر أو بعيدة عنه ، مع الدعاء بوصول الثواب إلى الميت . أ . هـ .[1] .

٦ ـ فضل قراءة سورة : تبارك الذي بيده الملك : عن أبى هريرة رضى الله عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (إن سورة في القرآن ثلاثون آية شفعت[2] لرجل حتى غفر له ، وهي : تبارك الذي بيده الملك ، رواه أبو داود والترمذى وحسنه واللفظ

---

(١) مجلة الوعي الاسلامى : العدد ١٥٦ « الحجة ١٣٩٧ هجرية . الفتاوى للشيخ عطية صقر : (٦٢ - ٦٥)

(٢) أى طلبت من الله عز وجل أن يستر ذنوبه ويمحو خطاياه ، وقد أجاب الله شفاعتها .

له ، والنسائى وابن ماجه وابن حبان في صحيحه ، والحاكم ، وقال صحيح الاسناد . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وددت[1] أنها في قلب كل مؤمن : يعنى تبارك الذي بيده الملك ، رواه الحاكم ، وقال هذا إسناده عند اليمانيين صحيح . وعن ابن مسعود ، رضى الله عنهما قال : يؤتى الرجل في قبره فتوتى رجلاه ، فتقول : ليس لكم على ما قبلى سبيل كان يقرأ سورة الملك ، ثم يؤتى من قبل صدره أو قال بطنه ، فيقول : ليس لكم على ما قبلى سبيل كان يقرأ في سورة الملك ، ثم يؤتى من قبل رأسه ، فيقول : ليس لكم على ما قبلى سبيل كان يقرأ في سورة الملك ، فهى المانعة تمنع عذاب القبر ، وهي في التوراة سورة الملك من قرأها في ليلة فقد أكثر[2] وأطيب[3] . رواه الحاكم ، وقال صحيح الاسناد ، وهو في النسائى مختصر : (من قرأ تبارك الذي بيده الملك كل ليلة منعه الله عز وجل بها من عذاب القبر ، وكنا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نسميها المانعة ، وأنَّ في كتاب الله عز وجل سورة من قرأ بها في كل ليلة فقد أكثر وأطاب .

٧ ـ فضل قراءة سورة التكوير والانفطار والانشقاق :

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من سرَّه أن ينظر إلىَّ يوم القيامة كأنه رأى العين فليقرأ إذا الشمس كورت وإذا السماء انفطرت وإذا السماء انشقت) رواه الترمذى وغيره .

[قال المملى] ـ رضى الله عنه : لم يصنف الترمذى هذا الحديث بحسن ، ولا بغرابة وإسناده متصل ، ورواته ثقات مشهورون ، ورواه الحاكم وقال صحيح الأسناد .

---

(١) رجوت أن كل مؤمن يحفظها عن ظهر قلب .
(٢) جلب الحسنات الكثيرة
(٣) أحسن وأصاب

٨ ـ فضل قراءة سورة الزِّلْزَلَةُ :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا زلزلت : تعدل نصف القرآن[1] وقل هو الله أحد : تعدل ثلث القرآن وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن) رواه الترمذى وقال الحاكم صحيح الاسناد .

وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل من أصحابه : (هل تزوَّجْتَ يا فلان ؟ قال : لا والله يا رسول الله ، ولا عندى ما أتزوج به قال : أليس معك قل هو الله أحد ؟ قال : بلى ، قال : ثلث القرآن . قال أليس معك : إذا جاء نصر الله والفتح ؟ قال : بلى . قال : ربع القرآن . قال أليس معك : قل يا أيها الكافرون ؟ قال : بلى . قال : ربع القرآن . قال أليس معك : إذا زلزلت الأرض ؟ قال : بلى . قال : ربع القرآن تزوج تزوج) رواه الترمذى وقال حديث حسن .

قوله في الحديث : تزوجت : دخلت على امرأة في نكاح حلال . وهذا يدلنا على مدى اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بأصحابه ، شأن الرئيس الرءوف برعيته أن يسأل عن أحوال أفرادها .

قوله : أليس معك ؛ قل هو الله أحد ؟ أى ألست تحفظ هذه السورة ؟
قوله : ثلث القرآن : كأنك فهمت معانى ثلث القرآن وحويت ثواب قراءته .

قوله : تزوج تزوج : أمره صلى الله عليه وسلم بالزواج وجعل مهر عروسه هذا القدر من المهر .

---

(١) أى قراءتها تعدل ثواب قراءة نصف القرآن ، لأنها تدل على النفخة الأولى للمحشر ، وإخراج ما في جوفها ـ أى الأرض ـ من الدفائن ، وسؤ ال الكافر عن سبب هذا الاضطراب [مالها] .

٩ ـ فضل قراءة سورة : قل هو الله أحد .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : أقبلتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمِعَ رجلاً يقرأ : (قل هو الله أحد ، اللهُ الصمد ، لم يلد ولم يُولد ، ولم يكن له كفوا أحد) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وجبتْ ، فسألته ماذا يا رسول اله ؟ فقال : الجنة ، فقال أبو هريرة : فأردتُ أن أذْهَبَ إلى الرجل فأُبشره ، ثم فَرِقْتُ أنْ يفوتَني الغداءُ ـ أى تناول الطعام ـ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ذهبتُ إلى الرجل فوجدتُهُ قد ذهب) رواه مالك والترمذى والنسائى والحاكم وقال صحيح الإسناد . قولُهُ : (فَرِقْتُ) بكسرْ الرّاء ، أى خُفْتُ .

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أُحشُدُوا[1] فإنّى سأقرأُ عليكم ثُلُثَ القرآن فحشد مَن حُشد ، ثم خرج النبى صلى الله عليه وسلم فقرأ : قل هو الله أحد ، ثم دخل . فقال بعضُنَا لبعض : إنّا نرى هذا خبراً جاءه من السماء فذلك الذي أدخله ، ثم خرج نبىُّ الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنّى قلتُ لكم سأقرأ عليكم ثلث القرآن ، ألا إنها تعدل ثلث القرآن) رواه مسلم والترمذىّ .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (أيَعْجزُ أحدُكم أن يقرأ في ليلة ثلثُ القرآن : قالوا : وكيف يقرأ ثلث القرآن ؟ قال : قل هو الله أحد : تعدل ثلث القرآن . وفي رواية قال : (إن الله عزّ وجلّ جزّأ القرآن بثلاثة أجزاء ، فجعل : (قل هو الله أحد) جُزْءاً من أجزاء القرآن) رواه مسلم .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنّ رجلاً سمع رجلاً يقرأ : قل هو

---

(١) أى إجتمِعُوا .

الله أحد يُردِّدها ، فلما أصبح جاء إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له ، وكان الرجلُ يتقالها[1] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن) . رواه مالك والبخارى وأبو داوود والنسائى .

[قال الحافظ] والرجُلُ القارىء هو قتادة بن النعمان أخو أبى سعيدٍ الخدرى من أمّه .

ورُوى عن معاذ بن أنس الجهنىّ رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من قرأ : قل هو الله أحد حتى يختمها عَشْرَ مرات بَنَى اللهُ له قصراً في الجنة ، فقال عمر بن الخطاب : إذاً نستكثر يا رسول الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله ، أكثِرْ وأطيِبْ)[2] . رواه احمد .

وعن عائشة رضى الله عنها أن النبىّ صلى الله عليه وسلم بعث رجلاً على سريّةٍ[3] وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بقل هو الله أحد ، فلماّ رجعوا ذكروا ذلك للنبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : سَلُوهُ لأىّ شىء يصنعُ ذلك ؟ فسألوه ، فقال : لأنها صفةُ الرحمن ، وأنا أحبُّ أن أقرأ بها ، فقال النبّى صلى الله عليه وسلم : أخبِرُوه أنّ الله يحبُّه[4]) . رواه البخارى ومسلم والنسائى ورواه البخارى أيضا والترمذى عن أنس أطْوَل منه ، وقال في آخره : فلماّ أتاهم النبىُّ صلى الله عليه وسلم أخبروه الخبر ، فقال : يا فلان ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك وما يحملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة ؟ فقال : إنى أحبُّها ، فقال : حبُّك إياها أدْخلَكَ الجنةَ) .

---

(١) يعدُّها قليلة لما قرأ .

(٢) أىْ زِدْ وأحْسِنْ واستكثرْ فالله جدير ، بكلِّ ثناء وفضلُهُ عميم

(٣) طائفَةٌ من الجند نحو ٤٠٠ جندى .

(٤) قال المازنى : محبة الله تعالى العبادة إرادة ثوابهم وتنعيمهم ، وقيل ، محبة لهم : نفس الإقامة والتنعيم لا لأِرادة .

قال القرطبى : اشتملت هذه السورة على اسمين من أسماء الله تعالى : يتضمنان جميعَ أوصاف الكمال لم يوجد في غيرها من السُّور : وهما الأحَد والصّمد . لأنهما يدلاّن على أحديّة الذات المقدسة الموصوفة بجميع أوصاف الكمال ، وبيان ذلك أن الأَحَد يشعر بوجوده الخاص الذي لا يشاركه فيه غيرُه والصّمد يشعر بجميع أوصاف الكمال لأنّه الذي انتهى إليه سؤ دده فكان مرجعُ الطّلب منه وإليه ولا يتم ذلك على وجْه التحقيق إلا لمن حاز جميع خصال الكمال ، وذلك لا يصلح إلاّ لله تعالى : فلماّ اشتملتْ هذه السورة على معرفة الذات المقدسة كانت بالنسبة إلى تمام المعرفة لصفات الذات وصفات الفعل ثلثا أ هـ .

١٠ ـ فضل قراءة المعوذتين :

عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ألم ترآيات أنزلت الليلةَ لم ير مثلهن : قل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس) . رواه مسلم والترمذى والنسائس وأبو دود ، ولفظه قال : كنت أقود برسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر ، فقال ياعقبة: ألاَ أعلمك خير سورتين قرئتا فعلَّمنى : قل أعود برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس ، فذكر الحديث .

وفي رواية لأبى داود قال : بينا أنا أسير مع رسول اله صلى الله عليه وسلم : بين الجُحْفَةِ والأبْوَاء إذ غشيتنا ريح وظلمة شديدة ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم : يتعوذ بأعوذ برب الفلق ، وأعوذ برب الناس ويقول : يا عقبة تعوذْ بهما ، فما تعوذَ متعوذ بمثلهما . قال : وَسَمعْتُهُ يؤ منا بهما في الصلاة .

ورواه ابن حبان في صحيحه ، ولفظه : قلت : يا رسول الله أَقْرِئْني آياً من سورة هود وآياً من سورة يوسف ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : يا عقبة بن عامر ، إنك لن تقرأ سورة أحب إلى الله ، ولا أبلغ عنده من أن تقرأ : قل أعوذ

برب الفلق . فإن استطعت أن لا تفوتك في الصلاة فافعل . ورواه الحاكم بنحو هذه . وقال صحيح الاسناد ، وليس عندهما ذكر : قل أعوذ برب الناس .

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأ يا جابر ، فقلت : وما أقرأ بأبى أنت وأمى ؟ قال : قل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس فقرأتهما ، فقال : اقرأ بهما ، ولن تقرأ بمثلهما ، رواه النسائى وابن حبان في صحيحه .

قوله صلى الله عليه وسلم : (لم يُرَ مثلهن ، في زيادة الأجر وجليل الفائدة إذ فيهما الاستعاذة بالخالق رب الصبح .

قال البيضاوى : وتخصيصه لما فيه تغير الحال وتبدل وحشة الليل بسرور النور ، ومحاكاة فاتحة يوم القيامة والاشعار بأن من قدر أن يزيل به ظلمة الليل عن هذا العالم قدر أن يزيل عن العائذ به ما يخافه ، وفيها الاستعاذة به سبحانه من جميع خلقه الانس والجن . وإحراق النار وإهلاك السموم والكفر والظلم .

(غاسق ، ليل عظيم ظلامه . (وقب ، دخل ظلامه في كل شيء .

(النفاثات) السواحر أو النساء السواحر اللاتى يعقدن في خيوط وينفثن عليها ، والنفث النفخ مع ريق ، وتخصيصه لما روى أن يهوديا سحر النبى صلى الله عليه وسلم في إحدى عشرة عقدة في وتر دسه في بئر فمرض النبى صلى الله عليه وسلم ونزلت المعوذتان ، وأخبره جبريل عليه الصلاة والسلام موضع السحر فأرسل عَليًّا رضى الله عنه فجاءه به فقرأها عليه فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد بعض الخفة ، ولا يوجب ذلك صدق الكفرة في أنه مسحور لأنهم أرادوا به أنه مجنون بواسطة السحر .

(حَسَدْ) أظهر حسده وعمل بمقتضاه . فإنه لا يعود ضرر منه قبل ذلك إلى

المحسود ، بل يخص به لاغتمامه بسروره وتخصيصه .

(رب الناس) استعاذ من المضار البدنية والأضرار التي تعم الانسان وغيره ، وكذا استعاذ بالأضرار التي تعرض للنفوس البشرية فإنه سبحانه يملك أمور الناس ويستحق عبادتهم .

(الوسواس) الوسوسة . (الخناس) الذي عادته أن يتأخر إذا ذكر الانسان ربه . أ هـ .

والمعوذات : الاخلاص والفلق والناس ؛ وقد أخرج أصحاب السنن الثلاثة ، وأحمد وابن خزيمة وابن حبان من حديث عقبة بن عامر . قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل هو الله أحد ، وقل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس ، تعوذ بهنَّ فإنه لم يتعوذْ بمثلهن ، وفي لفظ : إقرأ المعوذات دبر كل صلاة فذكرهن .

وفي البخاري حديثا السيدة عائشة رضى الله عنها :

١ ـ « كان إذا اشتكى صلى الله عليه وسلم يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث ، فلما اشتدّ وجعه كنتُ أقرأ عليه وأمسح بيده رجاء بركتها »

٢ ـ « كان صلى الله عليه وسلم إذا أوَى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما « قل هو الله أحد ، وقل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس ، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات » أ هـ .

تعاهد القرآن

عن أبى موسى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(تعاهدوا هذا القرآن فوا الـذي نفس محمـد بيده لهـو أشـد تفلتـا من الابـل في عُقُلِها ،) متفق عليه . وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إنما مثل صاحب القرآن كمثل الابل المعقلة إن عاهد عليهـا أمسكها وإن أطلقها ذهبت ، متفق عليه .

المعقلة : أى المشدودة بالعقال وهو الحبل الذي يشد في ركبة البعير . وزاد مسلم في رواية : (وإذا قام صاحب القرآن فقرأ بالليل والنهار ذكره وإن لم يقم به نسبه) .

وفي خزينة الأسرار : أخرج البخارى ومسلم وأحمد عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (تعاهـدوا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لهو ـ أى القرآن ـ أشد تفصيا من قلوب الرجال من الابل في عُقُلها، بضم العين والقاف جمع عقال ككتب وكتاب أ هـ لهذا يستحب تعاهد القرآن بالقراءة فيه كل يوم لما ورد عن معاوية رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :

(ثلاثة هم الغرباء في الدنيا القرآن في جوف الظالم ، ورجل صالح بين قوم سوء ، والمصحف في بيت لا يقرأ فيه ، هكذا ذكره الليث .

وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من تعلم القرآن وعلق مصحفه لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يا رب عبدك هذا اتخذنى مهجورا اقض بينى وبينه)

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (بئس ما لأحدهم أن يقول نسيت آية كيت وكيت بل نُسِّى واستذكروا القرآن فإنه أشد تفصيا من صدور الرجال من النعم ، رواه البخارى .

قوله : نُسِّى أى أن الله هو الذي أنسانى ، فينسب الأفعال إلى خالقها . وعن عائشة رضى الله عنها ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام ، ومثل الذي يقرأ القرآن وهو يتعاهده وهو عليه شديد فله أجران) . وعنها أيضا قالت : سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قارئا يقرأ من الليل في المسجد فقال : يرحمه الله لقد أذكرنى كذا وكذا آية أسقطها من سورة كذا وكذا ، متفق عليه . أسقطها نسيانا لا عمداً .

ومعلوم أن الله سبحانه وتعالى تكفل بجمع القرآن في صدره الشريف صلى الله عليه وسلم قال سبحانه وتعالى : (إن علينا جمعه وقرآنه)[1] والجمع هنا بمعنى الحفظ في الصدور. وقال سبحانه : (سنقرئك فلا تنسى)[2] وروى عنه صلى الله عليه وسلم قال: (من قرأ القرآن ثم نسيه لقى الله تعالى يوم القيامة أجذم) أخرجه أبو داود.

والمراد بالأجذم هنا قيل : مقطوع اليد ، وقيل : مقطوع الحجة ، وقيل : هو الذي به جذام .

ومضمون هذه الأحاديث الترغيب في كثرة تلاوة القرآن واستذكاره وتعاهده لئلا يعرضه حافظه للنسيان فإن ذلك خطأ كبير .

روى عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من خشى أن ينسى القرآن فليقل : اللهم نور بكتابك بصرى، وأطلق به لسانى ، واشرح به صدرى ، واستعمل به جسدى ، بحولك وقوتك ، فإنه لا حول ولا قوة إلا بك) أهـ . من الدر النظيم . والسنة أن يقول : أُنْسيتُ كذا لا نسيته ، إذ ليس هو فاعل النسيان . فليجتهد كل مسلم في حفظ ما تيسر من القرآن

---

(١) القيامة (١٧)

(٢) الأعلى (٦) .

فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيما يرويه عنه ابن عباس رضى الله عنهما :

(إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب) رواه الترمذى ويقول سبحانه وتعالى : (فاقرء واما تيسر من القرآن)[1] .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عيه وسلم : (إن أصغر البيوت بيت ليس فيه شيء من كتاب الله) رواه الحاكم موقوفا وقال رفعه بعضهم .

فاللهم علمنا من القرآن ما جهلنا ، وذكرنا منه مانسينا، ورطب به ألسنتنا، ونور به بصائرنا واجعله حجة لنا لا علينا .

---

(١) المزمل (٢٠)

أحوال السلف عند ختم القرآن

كان بعض السلف الصالح إذا ختم القرآن أمسك عن الدعاء اكتفاءا بما في القرآن منه ـ ولجأ إلى الاستغفار مع الخجل والحياء اعترافا بالتقصير وخوفا من العلى القدير ـ ومنهم من كان إذا ختم القرآن أردف الختام مباشرة بقراءة الفاتحة وأول البقرة حتى قوله تعالى : (وأولئك هم المفلحون)

ومنهم من كان إذا ختم القرآن دعا بما شاء من الأدعية أو الدعاء المأثور عن النبى صلى الله عليه وسلم : وهو :اللهم إنا عبيدك وأبناء عبيدك وأبناء إمائك ناصيتنا بيدك ماض فينا حكمك عدل فينا قضاؤ ك نسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تصلي على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك وأن تجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ونور أبصارنا وشفاء صدورنا وجلاء أحزاننا وذهاب همومنا وغمومنا وسائقنا وقائدنا إليك وإلى جناتك جنات النعيم ودارك دار السلام مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين برحمتك يا أرحم الراحمين اللهم اجعله لنا شفاء وهدى وإماما ورحمة وارزقنا تلاوته على النحو الذي يرضيك عنا . ولا تجعل لنا ذنبا إلا غفرته ولا هماً إلا فرجته ولا دينا إلا قضيته ولا مريضا إلا شفيته ولا عدوا إلا كفيته ولا غائبا إلا رددته ولا عاصيا إلا عصمته ولا فاسدا إلا أصلحته ولا ميتا إلا رحمته ولا عيبا إلا سترته ولا عسيرا إلا يسرته ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة لك فيها رضى ولنا فيها صلاح إلا أعنتنا على

قضائها في يسر منك وعافية برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم[1] .

---

(١) الفريد في فن التجويد جـ١ (٦٠ - ٦١) للشيخ عبد الرءف سالم وآخرين .

معاني بعض ألفاظ القرآن الكريم

مرتبة حسب حروف المعجم

الكلمة : المعاني الواردة فيها

« حرف الألف »

إذْ : تكون بمعنى قد كقوله تعالى : (وإذ قال ربك)
وتكون بمعنى إذا كقوله تعالى : (ولو ترى إذ فزعوا)
وتكون بمعنى حين كقوله تعالى : (إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا) .

أُمَّةً : تكون بمعنى العصبة كقوله تعالى : (ومن ذريتنا أمة مسلمة لك)
وتكون بمعنى الملة كقوله : (كان الناس أمة واحدة) .
وتكون بمعنى السنين كقوله : (إلى أمة معدودة) .
وتكون بمعنى الجماعة كقوله (أن تكون أمة هي أر بي من أمة) .
وتكون بمعنى الامام كقوله : (إن إبراهيم كان أمة قانتا لله) .

امرأة : امرأة عمران ـ اسمها حنة ـ وامرأة سعد بن ربيعة ـ اسمها خولة ـ قال تعالى : (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً) وقيل إنها ـ أي

خولة ـ امرأة رافع بن خديج . وامرأة ابراهيم عليه السلام ـ اسمها سارة ـ وامرأة العزيز واسمها زليخة .

وبلقيس ـ وبنتا شعيب ـ واسمها صفوراء ، وصفيراء ـ وامرأة فرعون ـ اسمها آسيا بنت مزاحم ، والمرأة التي أرادت تزويج نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم : قال تعالى : (وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي) واسمها ميمونة . وامرأة نوح عليه السلام: واسمها باعلة ـ وامرأة لوط عليه السلام: واسمها واهلة ـ

هذه عشرة والحادية عشر امرأة أبي لهب واسمها جميلة .

ولم تذكر واحدة باسمها في القرآن إلا مريم عليها السلام فذكرت باسمها في القرآن في أربعة وثلاثين موضعاً .

قوله تعالى : (يهب لمن يشاء إناثاً) هو لوط عليه السلام (ويهب لمن يشاء الذكور) وهو إبراهيم : (أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً) هو سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام (ويجعل من يشاء عقيماً) هو سيدنا يحيى بن زكريا عليه السلام.

« حرف الباء »

البر : يكون بمعنى الاتباع كقوله تعالى : (أتأمرون الناس بالبر) ويكون بمعنى الطاعة كقوله تعالى : (ليس البر أن تولوا وجوهكم) .

ويكون بمعنى الجنة كقوله تعالى : (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) .

البيت : يطلق على : الكعبة ـ كقوله تعالى : (ثم محلها إلى البيت العتيق) ويطلق على : بيت إبراهيم كقوله تعالى : (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) ويطلق على : بيت سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام

كقوله تعالى : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) .
ويطلق على : سفينة نوح كقوله تعالى : (ولمن دخل بيتي مؤمناً)
ويطلق على : البيت المعمور كقوله تعالى : والبيت المعمور) .

البعل : هو الزوج : كقوله تعالى : (وبعولتهن أحق بردهن) .
ويطلق على الصنم : كقوله تعالى : (أتدعون بعلاً) وهو صنم طوله ثلاثون ذراعاً ـ له أربعة أوجه : وجه أمام ، ووجه خلف ووجه يمين ، ووجه شمال .
قال عكرمة قوله تعالى : (ظهر الفساد في البر والبحر) في البر ـ القرى البرية . يعني المبنية في البر . والبحرية التي على سواحل البحر .

« حرف التاء »

التّوفي : يطلق على : النوم ـ كقوله تعالى : (وهو الذي يتوفاكم بالليل) .
ويطلق على : الاماتة ـ كقوله تعالى : (والذين يتوفون منكم) .

« حرف التاء »

الثواب : يطلق ويراد به : الفتح والغنيمة كقوله : (فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة) .
وقوله تعالى : (وأثابهم فتحا قريباً) .
ويطلق على : الزيادة ـ كقوله : (فأثابكم غماً بغم) يعني فزادكم غما على غمكم .
ويطلق على : العقوبة كقوله تعالى : (قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله) فمعنى مثوبة ـ هنا ـ عقوبة .

« حرف الجيم »

الجدال : يطلق ويراد به ـ الشك ـ كقوله تعالى : (ولا جدال في الحج) أي لا شك في فريضة الحج .

ويطلق على : المراء ـ كقوله : (قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا) .

ويطلق على : المخاصمة ـ كقوله تعالى : (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن) .

« حرف الحاء »

الحمد : يطلق على الشكر وعلى : الثناء ـ كقوله تعالى : (وسبح بحمد ربك حين تقوم) .

ويطلق على : القول ـ كقوله تعالى : (ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا) .

الحق : يطلق على : الصدق ـ كقوله تعالى : (ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق) .

ويطلق على : المال ـ كقوله تعالى : (وليملل الذي عليه الحق)

ويطلق على : الاسلام ـ كقوله تعالى : (وقل جاء الحق وزهق الباطل) .

ويطلق على : جبريل ـ كقوله تعالى : (لقد جاءك الحق من ربك) .

الحكمة : تطلق على : النبوة ـ وعلى : القرآن ـ كقوله تعالى : (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) واختلف في تفسير قوله : (يؤتي الحكمة من يشاء) فقال ابن عباس : النبوة ـ وقال مقاتل : تفسير

القرآن ـ وقال مجاهد : إصابة القول والفعل ـ ويقال معناها : الحظ الحسن ـ ويقال : الفقه ـ وقال الحسن : الورع ـ ويقال : الخشية لله ـ ويقال : السنة والجماعة ويقال : إلهام الصواب .

الحسن : يطلق على : الصدق ـ كقوله تعالى : (ألم يعدكم ربكم وعدا حسناً) ويطلق على : الحق ـ كقوله تعالى : (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً) .

الحسنة : قيل : التوحيد ـ كقوله تعالى : (من جاء بالحسنة فله خير منها) وقيل : الثناء ـ كقوله تعالى : (وآتيناه في الدنيا حسنة) . وفسر ابن عباس قوله تعالى : (ربنا آتنافى الدنيا حسنة) شهادة ـ (وفي الآخرة حسنة) ـ الجنة ـ

الحبر : أي العالِم ـ قال تعالى : (والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله) . ويطلق على : الاكرام ـ كقوله تعالى : (ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون) .

« حرف الخاء »

الخير : يطلق على : الأفضل ـ كقوله تعالى : (والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملا) .
ويطلق على : الأشرف ـ كقوله تعالى : (أتستبد لون الذي هو أدنى بالذي هو خير) .
ويطلق على : الاسلام ـ كقوله : (فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً) .
ويطلق على : المال ـ كقوله تعالى : (إن ترك خيراً) .
ويطلق على : الايمان ـ كقوله تعالى : (ولو علم الله فيهم خيراً

لأسمعهم) وقال تعالى : لن يؤتيهم الله خيراً) .

ويطلق على : النعمة ـ قال تعالى : (وإن يردك بخير فلا راد لفضله) .

ويطلق على : الأجر كقوله تعالى : (والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير) .

ويطلق على : الطعام ـ قال تعالى : (فقال رب إني لما أنزلت إليّ من خير فقير) .

ويطلق على : الظفر ـ كقوله تعالى : (وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً) .

ويطلق على الخيل ـ قال تعالى : (فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي) .

ويطلق على : المال الكثير ـ قال تعالى : (إني أراكم بخير) .

« حرف السين »

السؤال : يكون للاستفهام كقوله تعالى : (يسألونك ماذا ينفقون) ويكون للحاجة ـ كقوله : (ويسألونك عن الروح) .

ويكون للامتحان ـ كقوله تعالى : (ويسألونك عن الجبال) .

السكينة : هي الطمأنينة كقوله تعالى : (فأنزل الله سكينته عليه) .

وتكون للثبات ـ كقوله : (أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم) .

السيد : الحليم ـ ويطلق على : الزوج والرئيس .

السيئة : لها إطلاقات:

تطلق على القتل ـ والهزيمة ـ والشرك كقوله تعالى : (ومن جاء بالسيئة

فلا يجزي إلا مثلها) .

وتطلق على : القحط والشدة ـ كقولـه تعـالى : (وإن تصبهـم سيئـة يطيروا بموسى ومن معه)

وتطلق على : الضر ـ كقولـه تعـالى : (ويستعجلونـك بالسيئـة قبـل الحسنة)

وعلى القبيح ـ كقوله تعالى : (ويدرؤ ون بالحسنـة السيئـة) وكقولـه تعالى : (ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن) .

« حرف الشين »

الشاهد : يطلق على : مشركي العرب كقوله تعالى : (شاهـدين علي أنفسهـم بالكفر) .

ويطلق على : جبريل ـ كقوله تعـالى : (ويتلـوه شاهـد منـه) يعنـي جبريل .

ويطلق على : ابن عم زليخة ـ وقيل اخوها قال تعالى : (وشهـد شاهدٌ من أهلها) .

ويطلق على : عبد الله بن سلام كقوله تعالى : (وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله) .

الشجرة : التي نهى آدم عنها هي : السنبلة ـ وقيل :البرُ ـوقيل: الـكرم. وقيل : التين. وقيل: إنه نهى عن أكل شجرة بعينها .

ونهى عن جنسها فهو لم يأكل من الشجرة المعينة .

وقيل إنه أكل من جنسها . قال تعالى : (ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فَنَسِي) أي نسى تلك الشجرة .

الشرك : يطلق على : الشرك بالله كقوله تعالى : (لا تشرك بي شيئاً) .

ويطلق على : الرياء ـ كقوله تعالى : (فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) .

الشفاء : هو الشفاء بعينه ـ وقيل : البيان ـ وقيل الدواء ـ كقوله تعالى : (فيه شفاء للناس) ـ وقيل: العافية ـ كقوله تعالى : (وإذا مرضت فهو يشفين) .

« حرف الصاد »

الصراط : يطلق على : الدين ـ كقوله تعالى : (اهدنا الصراط المستقيم) ويطلق على : الطريق ـ كقوله تعالى : (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون) .

الصلاة : الصلوات الخمس ـ ويطلق على : العبادة ـ وعلى الخضوع ـ وقيل الدعاء : كقوله تعالى : (وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم) .

وقوله : (وصل عليهم)

وقوله : (إن صلاتك سكن لهم) .

وتطلق على : القراءة ـ قال تعالى : (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) .

قال الحسن : لا تصلها رياء ولا تدعها حياء .

وتطلق على : الاسلام ـ قال تعالي : (فلا صدق ولا صلى) .

« حرف الضاد »

الضلالة : تطلق على : الخطأ ـ كقوله تعالى : (فقد ضل سواء السبيل) .

وتطلق على : الكفر ـ كقوله: (وإن كنتم من قبله لمن الضالين) .

وتطلق على : النسيان ـ كقوله : (أن تضل أحداهما فتذكر إحداهما الأخرى) .

وتطلق على : المحبة ـ كقوله تعالى : (قالوا تالله إنك لفى ضلا لك القديم) .

وقوله تعالى : (ووجدك ضالا فهدى) .

أي ـ وجدك خامل الذكر ـ فرفع لك ذكرك .

أو وجدك جاهلاً ـ بتبليغ الرسالة ـ فهداك الله . أو وجدك بين قوم ضلال فهدا هم بك . أو وجدك ضالاً عن الطريق ـ فهداك إليها . وذلك في وقت الصبا .

« حرف الطاء »

الطهارة : من الأدناس كقوله تعالى : (ولا تقربوهن حتى يطهرن) وتطلق على النجاة ـ كقوله تعالى : (ومطهرك من الذين كفروا) وتطلق على : الاخلاص ـ كقوله تعالى : (وثيابك فطهر) .

وقيل ثيابك فاغسل أو فقصر.وقيل : وقلبك فأصلح . وقيل خلقك فحسن . وقيل الطهارة من الشرك .

« حرف الظاء »

الظلم : يطلق على العسر والضيق والشدة ـ كقوله تعال : (فإن مع العسر يسرا) وقيل : بعد ضيق مكة يسر المدينة ـ أو بعد ضيق الدنيا يسر الآخرة ـ أو بعد ضيق القبر يسر الآخرة .

« حرف الغين »

الغيب : هو الله تعالى : (الذين يؤمنون بالغيب) ويطلق على : السر ، والفرج ، والمطر ، وعلى القحط والجدب ، كقوله تعالى : (ولو كنت

أعلم الغيب لاستكثرت من الخير) . قال الكلبي : الغيب هنا ـ الموت ـ وقيل الجوع . وقيل دفع المضرة وجلب المنفعة ـ وقيل الولد من بطن الأم .

« حرف الفاء »

فتنة : تكون بمعنى البلية . كقوله تعالى : (إنما نحن فتنة فلا تكفر) وتكون بمعنى الشرك ـ كقوله تعالى : (والفتنة أشد من القتل) وتكون بمعنى الكبر كقوله تعالى : (ابتغاء الفتنة) وتكون بمعنى الاختبار كقوله تعالى : (إن هي إلا فتنتك) وتكون بمعنى : الجنون ـ كقوله تعالى : (بِأَيكُمُ المفتون) .

فضل : هي المنة : كقوله تعالى : (ولو لا فضل الله عليكم ورحمته) .
ويطلق على : التجاوز والحلف والاسلام كقوله تعالى : ـ (قل إن الفضل بيد الله) .
ويطلق على القرآن : كقوله تعالى : (قل بفضل الله وبرحمته) .
ويطلق على : الطاعة كقوله تعالى : (ويؤت كل ذي فضل فضله) الفضل في الآية ـ الدرجات ـ ويكون بمعنى الجنة ـ كقوله تعالى : (وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً) .

فزع : الخوف ـ وقيل هو : فزع الموت بين الجنة والنار . ونداء ـ جبريل ـ بين الجنة والنار : حياة بلا موت .

« حرف القاف »

القرية : جاءت في القرآن ست مرات :

١ ـ أريحا : كقوله تعالى : (وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية) .

٢ ـ نَيْنَوَى: كقوله تعالى : (واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر) .

٣ ـ مكة : كقوله تعالى : (ضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة) .

٤ ـ أنطاكية : كقوله تعالى : (فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها) .

٥ ـ مدينة قوم لوط : كقوله تعالى : (إنا منزلون على أهل هذه القرية) .

٦ ـ بلد من البلدان : كقوله تعالى : (وكم من قرية أهلكناها) .

القرآن : يطلق على ستة أوجه .

١ ـ القرآن بعينه .

٢ ـ يطلق على كتاب من الكتب كقوله تعالى : (ائت بقرآن غير هذا أو بدله) .

٣ ـ آية الكرسي : كقوله تعالى : (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم) . ويقال إن القرآن هنا فاتحة الكتاب) .

٤ ـ صلاة الفجر : كقوله تعالى : (وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً) .

٥ ـ يطلق على : التوحيد ـ كقوله تعالى : (الرحمن علم القرآن) .

٦ ـ يطلق على : القراءة ـ كقوله تعالى : (إن علينا جمعه وقرآنه) فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) .

« حرف الميم »

ما : تطلق على : عشرة أوجه :

١ ـ مصدرية : كقوله تعالى : (ماعنتم ـ (بما غفر لي ربي) .
٢ ـ للاستفهام : كقوله تعالى : (يبين لنا ما هي ؟) .
٣ ـ للتعجب : كقوله تعالى : (فما أصبرهم على النار) .
٤ ـ شرطية : كقوله تعالى : (ما نَنْسَخْ من آية أو ننسها) .
٥ ـ كافة : كقوله تعالى : (قل إنما أنا بشر مثلكم) .
٦ ـ للنفي : كقوله : (وما كان الله ليضيع إيمانكم) .
٧ ـ مهيئة : إذ وحيث للجزم : نحو :

وإنك إذ ما تأت ما أنت آمر به
تلف من إياه تأمر آتياً

وحيثما تستقم يقدر لك الله نجاحاً في غابر الأزمان .
٨ ـ بمعنى الوقت : كقوله تعالى : ما دمت فيهم) أي مدة دوامي فيهم .
٩ ـ وتكون صلة : كقوله : (فبما رحمة من الله لنت لهم) .
١٠ ـ موصولة : بمعنى الذي .

المعروف : يطلق على معان كثيرة نذكر منها عشرة :
١ ـ حسن العشرة من النفقة والكسوة .
٢ ـ بمهر جديد ـ كقوله تعالى : (إذا تراضوا بينهم بالمعروف) .
٣ ـ من غير إسراف ولا تقتير : كقوله تعالى : (وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف) .
٤ ـ الكلام الحسن : كقوله تعالى : (فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف) .
٥ ـ هدية الرجل لامرأته عند الطلاق : كقوله تعالى : (متاعاً بالمعروف) .

٦ ـ اتباع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم : كقوله تعالى : (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف .

٧ ـ قدر ما يحتاج إليه كقوله : (ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف) .

٨ ـ القرض : كقوله تعالى : (بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس) .

٩ ـ والوصية بلا ريبة كقوله تعالى : (إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف) .

١٠ ـ العمل : كقوله تعالى : (فأولى لهم طاعة وقول معروف) .

« حرف النون »

النار : يطلق على : ستة أوجه :

١ ـ نار جهنم ٢ ـ نار الدنيا .

٣ ـ نار الزبد ٤ ـ نار الشجرة كقوله تعالى :

« الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً) .

٥ ـ نار الحرام : كقوله تعالى : (ما يأكلون في بطونهم إلا النار)

٦ ـ النور : كقوله تعالى في قصة موسى عليه السلام : (إني آنست ناراً) .

النور : يطلق النور على وجوه نذكر منها عشرة :

١ ـ الايمان : كقوله تعالى : (يخرجهم من الظلمات إلى النور) .

٢ ـ القرآن : كقوله تعالى : (فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا) .

٣ ـ محمد ، صلى الله عليه وسلم : كقوله تعالى : (قد جاءكم من الله

نور وكتاب مبين) .

٤ ـ النهار : كقوله تعالى : (وجعل الظلمات والنور) .

٥ ـ الهدى : كقوله تعالى : (وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس) .

٦ ـ التوراة : كقوله تعالى : (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس) .

٧ ـ الاسلام : كقوله تعالى : (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم) .

٨ ـ النور : وهوالله سبحانه وتعالى : كقوله : (الله نور السموات والأرض) .

٩ ـ العدل : كقوله تعالى : (وأشرقت الأرض بنور ربها) .

١٠ ـ الضياء : كقوله تعالى : (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا) .

النجم : : له إطلاقات :

يطلق على : النجوم بعينها ـ وعلى : الفرقدين ـ وعلى : النباتات التي لا ساق لها ـ قال تعالى : ـ (والنجم والشجر يسجدان) .

« حرف الهاء »

الهدى : له إطلاقات :

يطلق على : التوفيق ـ وعلى : الصواب ـ وعلى : الايمان ـ وعلى : التثبيت ـ وعلى : الاسلام كقوله تعالى : (قل إن الهدى هدى الله) .

ويطلق على : التوحيد ـ كقوله تعالى : (إنما أنت منذر)

ويطلق على : السنة : كقوله تعالى : (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثار هم مقتدون) .

ويطلق على : التوبة : كقوله تعالى : (إنا هدنا إليك)

ويطلق على : القرآن : كقوله تعالى : (وما منع الناس أن يؤ منوا إذ جاءهم الهدى) .

« حرف الواو »

الوحي : يطلق على : وحي السماء ـ وهو الأصل .

ويطلق على : وحي الالهام ـ كقوله تعالى : (وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولى) .

وكقوله تعالى : (وأوحى ربك إلى النحل) .

ويطلق على : وحى أمر ـ كقوله تعالى : (يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً) . وقوله تعالى : (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم) .

الواو : وتكون الواو للمعاني التالية :

١ ـ للاستفهام . ٢ ـ للابتداء .

٣ ـ للعطف ٤ ـ للقسم .

٥ ـ للصرف : كقوله تعالى : (ويعلم الصابرين) .

٧ ـ مقحمة كقوله تعالى (وناديناه أن يا إبراهيم) .

٨ ـ للنعت : أي تدخل في الصفات كقوله تعالى : (مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع) .

٩ ـ واو الضمير : كقوله : (وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير) أي قاتل ومعه جموع كثيرة .

١٠ ـ منقلبة عن همزة : كقوله تعالى : (وإذا الرسل أقتَتْ) فتقرأ وقتت بواو بدل الهمز .

١١ ـ للعموم : كقوله تعالى : (التائبون العابدون) إلى قوله تعالى : (والناهون عن المنكر) .

١٢ ـ للتحقيق : كقوله تعالى : (وثامنهم كلبهم) . أي حقق الله هذا العدد من غيره بالواو .

١٣ ـ للتمييز ـ كقوله : (ثيبات وأبكارا) .

١٤ ـ تسمى واو الثمانية : كقوله تعالى : (وفتحت أبوابها) فالجنة لها ثمانية أبواب) .

١٥ ـ وتسمى واو الجمع : كقوله تعالى : (يؤ منون بالغيب ويقيمون) .

١٦ ـ وواو توجب التفريق كقوله تعالى : (وسبعة إذا رجعتم) .

١٧ ـ وواو توجب الترتيب : كقوله : (فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤ وسكم وأرجلكم إلى الكعبين) .

١٨ ـ وواو توجب الجمع ـ كقوله تعالى : (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) .

١٩ ـ وواو المفعول : كقوله تعالى : (والظالمين أعدلهم عذاباً أليماً) . تدخل هذه الواو علامة لرجوعها إلى ما بعدها دون ما قبلها .

٢٠ ـ تكون بمعنى أو : ـ كقوله تعالى : (مثنى وثلاث ورباع) معناه ـ أو ثلاث أو رباع .

٢١ ـ تكون بمعنى حتى : كقوله تعالى في سورة الفتح : (تقاتلونهم أو

يسلمون) معناه ـ حتى يسلموا .

٢٢ ـ وواو بمعنى الفاء كقوله تعالى : (سمعنا وأطعنا) .

٢٣ ـ وواو بمعنى مَعَ ـ كقوله تعالى : (مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين) . معناه ـ مع أنك أرحم الراحمين) .

٢٤ ـ بمعنى اللام : كقوله تعالى : (ونرى فرعون وهامان وجنودهما) .

٢٥ ـ واو البناء ـ ألحق بناء الثلاثي ببناء الرباعي بهذه الواو .

« حرف الياء »

اليد : تكون صفة من صفات الذات : كقوله تعالى : (خلقت بيدي) .

وتكون للنصرة : كقوله تعالى : (يد الله فوق أيديهم) .

وتكون للجارحة : كقوله تعالى : (ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها) .

وتكون بمعنى القهر والذل : كقوله تعالى : (حتى يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون .

وتكون بمعنى القوة : كقوله تعالى : (والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون [1]) فاللهم اجعل القرآن ربيع قلوبنا ، ونور أبصارنا ، وشفاء أمراضنا ، واجعله شفيعاً لنا يوم القيامة ، إنك يا مولانا سميع مجيب .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الكويت : ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م

تمّ بحمد الله وحسن توفيقه .

إبراهيم علي عمر

(١) منار الهدى في بيان الوقف والابتداء : أحمد بن محمد الأشموني (٤٣٩ ـ ٤٤٤) .

أهمّ المراجع

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ تفسير القرآن العظيم للحافظ بن كثير ط : الحلبى بمصر

٣ ـ تفسير القرطبى الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبى ط : الشعب . مصر

٤ ـ فقه السنة للشيخ السيد سابق ط : دار الفكر بيروت لبنان

٥ ـ نهاية القول المفيد في علم التجويد ـ المرحوم الشيخ محمد بكر نصر تصحيح المرحوم الشيخ على الضياع ط : الحلبى بمصر

٦ ـ مع القرآن الكريم للدكتور ـ شعبان محمد إسماعيل ـ ط دار الاتحاد العربي بمصر

٧ ـ مختصر منهاج القاصدين ـ لابن قدامة المقدسى ـ ط : دار البيان ـ دمشق

٨ ـ مناهل العرفان في علوم القرآن ـ الشيخ عبد العظيم محمد الزرقاني ط : إحياء التراث العربي ـ بيروت لبنان

٩ تفسير آيات الأحكام للشيخ محمد على السايس : ط : محمد صبيح بمصر

١٠ ـ بشير اليسر شرح ناظمة الزهر للإمام الشاطبى تأليف الشيخ عبد الفتاح القاضى ط : المكتبة المحمودية التجارية بمصر

١١ ـ الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ـ للحافظ المنذرى ط : دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان

١٢ ـ الوافى شرح الشاطبية في القراءات السبع ـ للشيخ عبد الفتاح القاضى ط : عبد الرحمن محمد بمصر.

١٣ ـ شرح طيبة النشر في القراءات العشر للإمام ابن الجزرى ط : الحلبى بمصر تحقيق المرحوم الشيخ على الضياع
١٤ ـ الفقه على المذاهب الأربعة : تأليف عبد الرحمن الجزيرى ط ؛ المكتبة التجارية الكبرى بمصر .
١٥ ـ منار الهدى في الوقف والابتدا المرحوم أحمد بن محمد الأشموني ط : الحلبى بمصر .
١٦ ـ المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية / تأليف : ملا على بن سلطان محمد القارى : ط : الحلبى بمصر .
١٧ ـ نيل الأوطار للعلامة محمد بن على بن محمد الشوكانى ط : دار الجيل بيروت لبنان .
١٨ ـ لطائف البيان في رسم القرآن ـ شرح مورد الظمآن للشيخ أحمد محمد أبو زيتحار : ط الأزهر الشريف بمصر .
١٩ ـ السبيل الى ضبط كلمات التنزيل في فن الضبط للشيخ أحمد محمد أبو زيتحار : ط : الأزهر الشريف بمصر .
٢٠ ـ البرهان في علوم القرآن . للإمام الزركشي : ط : دار المعرفة لبنان
٢١ ـ الفريد في فن التجويد : للشيخ عبد الرؤ وف محمد سالم ط : وزارة الأوقاف والشؤ ون الاسلامية ـ بالكويت .
٢٢ ـ الاتقان في علوم القرآن للإمام السيوطى : ط : المشهد الحسينى بمصر .
٢٣ ـ مذكرات في الثقافة الإسلامية . للدكتور سعد المرصفى وآخرين : ط جامعة الكويت .
٢٤ ـ الفقه الواضح من الكتاب والسنة على المذاهب الأربعة للشيخ محمد بكر إسماعيل : ط دار المطبوعات الدولية مصر .
٢٥ ـ مباحث في علوم القرآن للدكتور صبحى صالح ط : دار العلم للملايين بيروت ـ الطبعة السادسة .

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات الكتاب

الموضوع ..... الصفحة

المقدمة ٧

١ ـ تعريف القرآن الكريم ٩

٢ ـ أسماء القرآن الكريم ١٢

٣ ـ الفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسي والحديث النبوى ... ١٤

٤ ـ مراحل نزول القرآن الكريم ١٨

أ ـ التنزل الأول ١٨

ب ـ التنزل الثاني ١٨

جـ ـ التنزل الثالث ٢٢

٥ ـ كيفية أخذ جبريل للقرآن وعمن آخذ ؟ ٢٣

٦ ـ ما الذي نزل به جبريل عليه السلام ؟ ٢٤

٧ ـ مدة هذا النزول ٢٧

٨ ـ دليل تنجيم نزول القرآن الكريم ٢٩

٩ ـ الحكم والاسرار في نزول القرآن منجما ٢٩

أ ـ الحكمة الأولى ٣٠

ب ـ الحكمة الثانية ٣٠

جـ ـ الحكمة الثالثة ٣٢

د ـ الحكمة الرابعة ٣٣
١٠ ـ جمع القرآن الكريم ٣٦
أولا ـ جمع القرآن بمعنى حفظه في الصدور ٣٦
ثانيا ـ جمع القرآن بمعنى كتابته ٣٩
١ ـ في عهد النبى صلى الله عليه وسلم ٣٩
أ ـ لماذا لم يجمع القرآن أيا مئذ في صحف ولا مصاحف ٤٢
٢ ـ جمع القرآن في عهد أبى بكر ٤٣
أ ـ سبب هذا الجمع ٤٣
ب ـ تنفيذ أبى بكر لفكرة الجمع ٤٤
جـ ـ دستور أبى بكر في كتابة الصحف ٤٥
د ـ مزايا هذه الصحف ٤٧
٣ ـ جمع القرآن في عهد سيدنا عثمان رضى الله عنه ٤٧
أ ـ سبب هذا الجمع ٤٧
ب ـ تنفيذ عثمان لقرار الجمع ٤٩
جـ ـ دستور عثمان في كتابة المصاحف ٥٠
د ـ تحريق عثمان للمصاحف المخالفة ٥٢
هـ ـ مزايا المصاحف العثمانية ٥٣
و ـ موقف الصحابة من المصاحف العثمانية ٥٣
م ـ عدد المصاحف العثمانية والبلاد التي أرسلت إليها ٥٤
ن ـ هل رسم المصحف توقيفى ٥٥
ف ـ أقوال العلماء في التزام الرسم العثمانى ٥٧
ك ـ أين المصاحف العثمانية الآن ٦١
ل ـ الفرق بين جمع القرآن في عهوده الثلاثة ٦٢
١١ ـ مصاحف أخرى اشتهرت في عصر الصحابة ٦٢

أ ـ مصحف عمر بن الخطاب ٦٣
ب ـ مصحف علي بن أبي طالب ٦٣
جـ ـ مصحف عائشة أم المؤمنين ٦٣
د ـ مصحفا حفصه وأم سلمة ٦٤
هـ ـ مصحف عبد الله بن الزبير ٦٤
و ـ مصحف أبي بن كعب ٦٤
م ـ مصحف عبد الله بن عباس ٦٤
ن ـ مصحف عبد الله بن مسعود ٦٥
١٢ ـ القرآن المكي والمدني ٦٨
أ ـ علامات القرآن المكي ٦٨
ب ـ علامات القرآن المدني ٧٠
١٣ ـ أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل ٧٣
أ ـ أول ما نزل على الاطلاق ٧٣
ب ـ آخر ما نزل على الاطلاق ٧٤
١٤ ـ ترتيب سور القرآن وآياته ٧٧
أولا ـ معنى السورة والآية والكلمة والحرف ٧٧
أ ـ معنى السورة في كلام العرب ٧٧
ب ـ معنى الآية ٧٨
هـ ـ معنى الكلمة ٧٩
د ـ معنى الحرف ٨٠
ثانيا ـ ترتيب السور ٨١
ثالثا ـ ترتيب الآيات ٨٥
١٥ ـ الحكمة في جعل القرآن الكريم سورا ٨٧

١٦ ـ أقسام سور القرآن ٨٨
١٧ ـ حكم الترتيب في التلاوة ٨٩
١٨ ـ عدد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه ٩١
أولا ـ عدد السور ٩١
ثانيا ـ عدد الآيات والكلمات والحروف ٩١
١ ـ عدد الآيات وفوائد هذا العدد ٩١
أ ـ عدد الآيات ٩١
ب ـ فوائد عدد الآيات ٩٢
٢ ـ عدد الكلمات والحروف ٩٤
أ ـ عدد الكلمات ٩٤
ب ـ عدد الحروف ٩٤
١٩ ـ أنصاف القرآن ثمانية ٩٦
٢٠ ـ أسماء السور توقيفية ٩٧
٢١ ـ من أسرار فواتح السور ٩٩
٢٢ ـ ترتيب نزول السور المكية والمدنية ١٠١
أ ـ السور المكية ١٠١
ب ـ السور المدنية ١٠٣
٢٣ ـ نزول القرآن على سبعة أحرف ١٠٥
أ ـ الأحاديث الواردة في هذا المعنى ١٠٥
ب ـ شواهد بارزة في هذه الأحاديث الواردة ١٠٧
جـ ـ فوائد أخرى لاختلاف القراءة وتعدد الحروف ١٠٨
د ـ معنى نزول القرآن على سبعة أحرف ١١٤
هـ ـ الوجوه السبعة في المذهب المختار ١١٦

و ـ لماذا اخترنا هذا المذهب ١١٨
م ـ بقاء الأحرف السبعة في المصاحف ١١٩
٢٤ ـ قراءة الأئمة السبعة وصلتها بالأحرف السبعة ١٢١
أ ـ كيف نسبت القراءة إلى هؤلاء الأئمة ١٢٢
٢٥ ـ أقسام القراءات من حيث التواتر والصحة والشذوذ ١٢٤
أولا ـ التواتر ١٢٤
ثانيا ـ القراءة الصحيحة وهي قسمان ١٢٤
١ ـ القسم الأول ١٢٥
٢ ـ القسم الثاني ١٢٥
٢٦ ـ حكم القراءة بالشاذ ١٢٩
٢٧ ـ حكم العمل بالقراءة الشاذة ١٢٩
٢٨ ـ وجوب اتباع الرسم العثمانى في كتابة المصاحف ١٣١
٢٩ ـ النقط والشكل ١٣٢
١ ـ معنى النقط والشكل ١٣٢
٢ ـ النقط نوعان ١٣٢
أ ـ النوع الأول ١٣٢
ب ـ النوع الثاني ١٣٢
٣ ـ الشكل ١٣٢
٣٠ ـ أول من وضع النقط ١٣٢
أ ـ سبب وضعه ١٣٣
٣١ ـ وضع الأجزاء والأحزاب والأرباع ١٣٥
٣٢ ـ نتيجة هذا التقسيم ١٣٦
٣٣ ـ ما يجب على كاتب المصحف وناشره ١٣٧
أ ـ الحكمة في المحافظة على الرسم العثماني ١٣٩

ب ـ مضار لا يمكن تلافيها في مخالفة الرسم العثماني..... ١٤٠
ذ ـ فضل القرآن الكريم..... ١٤١
٣٥ ـ أفضل القرآن وفاضله..... ١٤٨
٣٦ ـ فضل حملة القرآن..... ١٥٧
٣٧ ـ آداب قارىء القرآن الكريم..... ١٦٣
أ ـ الجهر والاسرار بالقرآن..... ١٦٧
ب ـ حكم مس المصحف لغير المتوضيء..... ١٧٠
جـ ـ حكم مس المصحف وحمله للصبيان ومعلم القرآن..... ١٧٢
د ـ حكم قراءة القرآن للجنب والحائض..... ١٧٣
هـ ـ كتابة المصاحف..... ١٨٠
٣٨ ـ آداب الاستماع لقراءة القرآن..... ١٨٤
أ ـ حكم الاستماع خلف الإمام..... ١٨٥
٣٩ ـ آداب المعلم..... ١٨٩
أ ـ حكم أخذ الأجرة على تعليم القرآن..... ١٩٠
٤٠ ـ آداب المتعلم..... ١٩٤
٤١ ـ تحسين الصوت بالقرآن..... ١٩٦
أ ـ أمور مبتدعة في قراءة القرآن..... ٢٠٠
٤٢ ـ سجود التلاوة..... ٢٠٥
أ ـ ما يشترط في سجود التلاوة..... ٢٠٥
ب ـ فضل سجود التلاوة..... ٢٠٥
جـ ـ كيفية سجود التلاوة..... ٢٠٧
د ـ حكم سجود التلاوة..... ٢٠٨
و ـ مواضع السجود في القرآن..... ٢٠٩

و ـ دعاء سجود التلاوة ٢١١
م ـ حكم سجود التلاوة في الصلاة ١١٢
٤٣ ـ ثواب قراءة القرآن الكريم ٢١٤
٤٤ ـ فضل قراءة سورة بعينها ٢٢٦
أ ـ فضل قراءة سورة الفاتحة ٢٢٦
ب ـ فضل قراءة سورة البقرة وآل عمران ٢٢٩
جـ ـ فضل قراءة آية الكرسي ٢٣١
د ـ فضل قراءة سورة الكهف ٢٣٦
هـ ـ فضل قراءة سورة يس ٢٣٧
و ـ فضل قراءة سورة تبارك الذي بيده الملك ٢٤٣
م ـ فضل قراءة سورة التكوير والانفطار والانشقاق ٢٤٤
ن ـ فضل قراءة سورة الزلزلة ٢٤٥
فضل قراءة سورة : (قل هو الله أحد) ٢٤٦
ف ـ فضل قراءة المعوذتين ٢٤٨
٤٥ ـ تعاهد القرآن الكريم ٢٥٠
٤٦ ـ أحوال السلف عند ختم القرآن ٢٥٤
٤٧ ـ معانى بعض ألفاظ القرآن الكريم ٢٥٦